القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين

إعداد

سعيد محمد اسماعيل علي

المشرف

الدكتور جعفر عبابنه

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية

الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

نيسان،٢٠٠٦

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة (القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين)
وأجيزت بتاريخ: ٢٠٠٦/٤/٩

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور جعفر نايف عبابنة، مشرفاً أستاذ مشارك اللغويات العربية	
الدكتور محمد حسن عواد، عضواً أستاذ النحو العربي	
الدكتور محمود عبد الله الحديد، عضواً أستاذ مشارك فقه اللغة العربية	
الدكتور عبد القادر مرعي، عضواً أستاذ علم الأصوات العربية/جامعة مؤتة	

الإهـداء

إلى والديّ – رحمهما الله–

إلى زوجتي التي صبرت وكانت لي خير عون. . .

إلى فلذات كبدي " محمد و رفيق ومريم ومحمود ومهند ومعاذ ومجدي الذي لم أسمع صرخته الأولى لبعد المسافات" – حفظهم الله–.

الشكر والتقدير

أجد لزاماً أن أشكر ذوي الفضل عليَّ؛ إذ كانوا السبب في إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر الدكتور جعفر نايف عبابنة، إذ كانت له أيادٍ بيضٌ على هذا البحث، فقد رعاه فكرةً وتعهده بالمتابعة والمناقشة حتى اكتملت فكرته، واستوت خطته. كما كانت له يدٌ على صاحب هذا البحث؛ إذ كان يتلقاه باسم الثغر، منشرح الصدر، مناقشاً مرة ومحاوراً مرة أخرى، وهو في هذه الحال أو تلك يفيض من علمه ما يفتح أبواباً للبحث واسعة فله مني كل الاحترام والتقدير.

وشكري الخالص لأساتذتي الأفاضل الذين أكرموني بقبول مناقشة هذا البحث، الدكتور محمد حسن عوّاد والدكتور محمود جقّال الحديد والدكتور عبدالقادر مرعي الذين شرفت بصحبتهم وتجشموا عناء القراءة فلهم مني كل احترام وتقدير.

وأتقدم بوافر شكري وامتناني لأساتذتي في قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية الذين شرفت باللقاء بهم والتلقي عنهم.

الرموز الصوتية المستخدمة في الرسالة

نوع الصوت	اسم الصوت	الرمز العربي	الرمز الدولي	وصف الصوت
السواكن أو الصوامت	الهمزة	ء	ɔ	حنجري انفجاري لا مجهور ولا مهموس(على بعض الآراء)
	الباء	ب	b	شفوي ثنائي انفجاري مجهور
	التاء	ت	t	أسناني لثوي انفجاري مهموس
	الثاء	ث	θ	أسناني احتكاكي مهموس
	الجيم	ج	g	غاري مجهور مركب
	الحاء	ح	h	حلقي احتكاكي مهموس
	الخاء	خ	x	طبقي احتكاكي مهموس
	الدال	د	d	أسناني لثوي انفجاري مجهور
	الذال	ذ	∂	أسناني احتكاكي مجهور
	الراء	ر	r	لثوي مكرر مجهور
	الزاي	ز	z	لثوي احتكاكي مجهور
	السين	س	s	أسناني لثوي احتكاكي مهموس
	الشين	ش	s	غاري احتكاكي مهموس
	الصاد	ص	s	أسناني لثوي احتكاكي مهموس مطبق
	الضاد	ض	d	أسناني لثوي انفجاري مجهور مطبق
	الطاء	ط	t	أسناني لثوي انفجاري مهموس مطبق
	الظاء	ظ	∂	أسناني احتكاكي مجهور مطبق
	العين	ع	c	حلقي احتكاكي مجهور
	الغين	غ	&	طبقي احتكاكي مجهور
	الفاء	ف	f	أسناني شقوي
	القاف	ق	q	لهوي انفجاري مهموس
	الكاف	ك	k	طبقي انفجاريي مهموس
	اللام	ل	l	لثوي جانبي مكرر مائع
	الميم	م	m	شفوي ثنائي أنفي مجهور مائع
	النون	ن	n	لثوي أنفي مجهور مائع
	الهاء	هـ	h	حنجري احتكاكي مهموس

نوع الصوت	اسم الصوت	الرمز العربي	الرمز الدولي	وصف الصوت
أنصاف الحركات	الواو	و	w	طبقي أو شفوي ثنائي مجهور
	الياء	ي	y	غاري مجهور
الحركات	الكسرة الخالصة	ِ	i	أمامية ضيقة
	الكسرة الطويلة		i:/ii	أمامية ضيقة
	الفتحة القصيرة	َ	a	أمامية واسعة(المرققة)
	الفتحة الطويلة	ا	aa/:a	أمامية واسعة
	الضمة القصيرة	ُ	u	خلفية ضيقة(الخالصة)
	الضمة الطويلة		u:/uu	خلفية ضيقة

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الرموز الصوتية	هـ
فهرس المحتويات	ز
الملخص	ك
المقدمة	١
الفصل الأول **الحركات وحروف المد واللين بين القدماء والمحدثين**	
أولاً: الحركات عند القدماء	٤
أ. عدد الحركات عند القدماء.	٧
ب. الحركات الطويلة (حروف المد) عند القدماء.	٨
ج. أصوات اللين عند القدماء.	١١
ثانياً: الحركات عند المحدثين	١٤
أ. عدد الحركات عند المحدثين.	١٦
١- الحركات القصيرة.	١٦
٢- الحركات الطويلة.	٢١
ب. أسس تصنيف الحركات.	٢٣
ج. الحركات المزوجة.	٢٨
د. أصوات اللين عند المحدثين	٣٥
ثالثاً: حروف المد واللين بين القدماء والمحدثين.	٣٨

الفصل الثاني **قواعد الإبدال والإعلال عند القدماء**	
أولاً: قواعد الإبدال عند القدماء.	٤٢
أ. تعريف الإبدال.	٤٢
ب. قواعد الإبدال.	٤٣
١. إبدال التاء من الواو.	٤٣
٢. إبدال التاء من الياء	٤٤
٣. إبدال الدال من التاء.	٤٥
٤. إبدال الطاء من التاء.	٤٩
ثانياً: قواعد الإعلال عند القدماء.	٥٦
أ. تعريف الإعلال.	٥٦
ب. حروف العلة.	٥٧
ج. أنواع الإعلال.	٥٨
١. الإعلال بالقلب.	٥٨
أ. قلب الواو والياء همزة.	٥٩
ب. قلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء.	٦٧
ج. قلب الألف إلى ياء.	٧١
د. قلب الواو ياءً.	٧٣
هـ. قلب الياء واواً.	٨٢
و. قلب الألف إلى واو.	٨٦
ز. قلب الواو والياء ألفاً.	٨٨
٢. الإعلال بالنقل.	٩٠
٣. الإعلال بالحذف.	٩٥
الفصل الثالث **القواعد الصوتية لموضوعي الإبدال والإعلال عند المحدثين:**	١٠١
أولاً: المماثلة .	١٠٤
ثانياً: المخالفة .	١٠٧
ثالثاً: المقطع الصوتي في اللغة العربية.	١٠٨

- أشكال المقطع الصوتي في اللغة العربية.	١١٠
- الخصائص النبوية للمقطع العربي.	١١٤
١. قواعد الإبدال عند المحدثين	١١٥
أ) مماثلة نصف الحركة للصامت.	١١٦
ب) مماثلة صامت لآخر.	١٢١
- مماثلة التاء للطاء.	١٢١
- مماثلة التاء للدال.	١٢٣
٢. قواعد الإعلال عند المحدثين	١٢٩
١. الإعلال بالقلب.	١٢٩
أ. قلب نصف الحركة إلى همزة.	١٢٩
ب. قلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء.	١٣٦
ذ	١٤٠
د. قلب الواو إلى ياء.	١٤٤
هـ. قلب الياء إلى واو .	١٥٢
و. قلب الألف إلى واو.	١٥٥
ز. قلب الواو والياء ألفاً.	١٥٧
٢. الإعلال بالحذف.	١٦٣
أ. حذف الهمزة.	١٦٣
ب. حذف نصف الحركة.	١٦٥
ج. تقصير الحركة.	١٦٩
٣. الإعلال بالنقل.	١٧٣
الفصل الرابع نقد وبناء	١٧٧
١- نقد قواعد القدماء	١٧٧
أ) نقد قواعد الإبدال	١٧٧
ب) نقد قواعد الإعلال	١٧٨
٢- نقد قواعد المحدثين	١٨٨
أ) نقد قواعد الإبدال	١٨٨

ب) نقد قواعد الإعلال	١٨٨
٣- بناء قواعد جديدة	١٩١
أ) بناء قواعد الإبدال	**١٩١**
ب) بناء قواعد الإعلال	١٩٢
١. بناء قواعد الإعلال بالقلب	١٩٣
أ. قلب نصف الحركة إلى همزة	١٩٣
ب. قلب الهمزة الثانية عند اجتماع همزتين.	١٩٣
ج. قلب الحركة إلى حركة أخرى.	١٩٤
د. قلب الحركة إلى شبه حركة.	١٩٤
هـ. قلب شبه الحركة إلى حركة.	١٩٥
و. قلب شبه الحركة إلى شبه حركة أخرى.	١٩٦
٢. بناء قواعد الإعلال بالحذف.	١٩٧
أ. حذف الصامت (الهمزة).	١٩٧
ب. حذف نصف الحركة.	١٩٨
ج. تقصير الحركة.	١٩٩
الخاتمة وأهم النتائج	٢٠١
اقتراحات وتوصيات	٢٠٤
المصادر والمراجع	٢٠٥
الملخص باللغة الانجليزية	٢١٣

القواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين

إعداد
سعيد محمد اسماعيل علي

المشرف
الدكتور جعفر عبابنه

ملخص

قامت الدراسة بتفسير أهم القواعد الصرف الصوتية لموضوعي الإبدال والإعلال في اللغة العربية, من منظور التفسير الصوتي, إيماناً بتعالق المستويات اللغوية, واعتماد كل مستوى على الآخر.

وتناولت الدراسة الحركات في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين, وحددت الفروق بين المد من جهة واللين من جهة أخرى, وأثرهما في توجيه الدراسات الصرف صوتية وفسرت الظواهر الصرف صوتية من خلال ما قُعِّدِ عند القدماء, ثم وضحت التفسيرات الصوتية لموضوعي الإبدال والإعلال عند المحدثين. مُقارِنةً ما جاء عند الفريقين من تفسيرات لهذين الموضوعين, وعملت على إعادة تبويب القواعد الصرف صوتية وتصنيفها بما يتلاءم ومعطيات الدرس الصوتي الحديث.

وقد استقامت خطة الدراسة على الخطوات الآتية: مقدمة, وأربعة فصول, وخاتمة.

أما المقدمة فتضمنت أسباب اختيار الموضوع والمنهج المتبع في الدراسة, وخطة الدراسة.

وجاء الفصل الأول متناولاً الحركات، وحروف المد واللين، بين القدماء والمحدثين, وأثرهما في بناء القواعد الصرف صوتية في اللغة العربية.

ثم بسط الفصل الثاني قواعد الإبدال والإعلال عند القدماء, وتفسيراتهم لتلك القواعد.

وتناول الفصل الثالث قواعد الإبدال والإعلال عند المحدثين, وكيفية تفسيراتهم للبنى الصرفية بما توافر لديهم من معطيات صوتية حديثة.

وجاء الفصل الرابع لنقد قواعد الفرقين, وبناء قواعد جديدة، ثـم عرضـت الخاتمة أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث, ومجموعة من التوصيات والاقتراحات.

المقدمة

بدأتُ بحمد الله فهو سنـــــاءُ ... وللنطق منه بهجةٌ وبهـــــــــــاءٌ
وأهديتُ مختار السلام مصلياً ... على المصطفى الموحى إليه شفاءُ
فيارب عوناً، والمعانُ مُؤيـــدٌ ... وما لمرىء إن لم تعنه كفِـــــــاءُ

(ابن مالك)

وبعد،

نضع اسطارنا هنا عرفاناً وتقديراً لجهود علمائنا القدامى، التي لا يمكن اغفالهـــا، فقـــد وضعوا المعايير والقواعد لضبط البنى اللغوية، فكانت قواعدهم منطلقاً للدراسات اللغوية الحديثة.

ترمي هذه الدراسة إلى معاينة التداخلات الصوتية الصرفية في كتب التـــراث اللغـــوي، عند جل علماء اللغة العربية في القديم، وبيان القواعد الصوتية المتعلقة بـــالبنى الـــصرفية فـــي قضيتي الإبدال والإعلال ووصفها وتعليلها ونقدها.

وتناولت هذه الدراسة الحركات وحروف اللين ودورهما في توجيه القضايا الـــصرفية، وبينت أقسام الحركات البسيطة والمركبة وكيفية تناولها من قبل القدماء، وألقت الـــضوء علـــى بعض المفاهيم التي شابها الغموض وبيان أثر هذا الغموض في بناء القواعد الصرف صـــوتية، إضافة إلى التفريق بين الحركات وأشباه الحركات، إذ قد خلط الدقماء بينهما مما أدى إلى خلـــط في تحليل الظواهر الصرفية.

نوقشت الظواهر الصرف صوتية في كتب السلف مناقشات عديدة وفـــسرت تفـــسيرات مختلفة، فبعضها فسّر ضمن الحمل والقياس، ومنها ما كان تحت ظاهرة التقاء الساكنين أو فـــي مباحث مختلفة مثل الإبدال والإعلال وغيرها.

أما في العصر الحديث فقد تطورت الدراسات اللغويـــة، وتعـــددت منابعهـــا وخاصـــة الدراسات الصوتية منها، لما تهيأ لعلماء اللغة من إمكانات كانت مفقودة بالنسبة للسلف، وناقشوا الظواهر الصرف صوتية وعللوها بما يتأتى لهم من دراسات غربية وقوانين صوتية، وآليـــات مخبرية، كانت دراساتهم مبنية على الأسس العملية، بعيدة بعـــض الـــشيء، عـــن التـــأويلات، والتقديرات التي قد تجانب الصواب في كثير منها.

وقد انطلقت هذه الدراسة من الإحاطة بالدراسات السابقة حول الموضـــوع ســـعياً منـــا لإضافة لبنة جديدة على ما بنوه، فمن ذلك ما كتبه عبد الصبور شاهين فـــي كتابـــه الموســـوم بـــ(المنهج الصوتي للبنية العربية)، وشكلت قواعده بواكير التحليل الصوتي للبنى الصرفية.

وما كتبه محمد جواد محمد جواد النوري في كتابه (علم أصوات العربية) فقد سار فيه على نهج أستاذه عبد الصبور شاهين، فلم يستقري قواعد الإعلال والإبدال في كتب التراث وإنما اكتفى بتحليل تلك القواعد صوتياً.

وجاءت دراسة الطيب بكوش في كتابه (التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث) وقد تناول فيها الهدف بشكل عام، دون أن يعلل سبب الإبدال والإعلال.

ومن الدراسات القيّمة دراسة داود عبده في كتابيه (أبحاث في اللغة العربية) و (دراسات في علم أصوات العربية) واطلق فيها العنان لبناء قواعد، لكنها كانت متناثرة وليست معيارية.

والملامح الأساسية في الدراسات السابقة تتمثل في التأثر بدراسات المستشرقين أمثال بروكلمان، وهنري فليش، والتباين في التعليلات للقواعد الصرف صوتية، نظراً لتباين مصدر الثقافة، إضافة إلى عدم بناء قواعد جديدة. تؤسس لنظرية صوتية عربية يمكن الاتفاق عليها والانطلاق منها لإعادة تنظيم البنى اللغوية الصرفية وتقعيدها، لذا عمدت هذه الدراسة إلى ضبط القواعد الصرف صوتية لموضوعي الإبدال والإعلال لدى الفريقين، وقامت بنقدها وتبني الرأي الأصوب، وعملت على بناء قواعد جديدة قد تكوّن رؤية يمكن الإنطلاق منها، في توجيه البنى الصرفية وتعليلاتها بما يتلاءم مع معطيات الدرس الصوتي الحديث.

وقد اعتمدت الدراسة منهجاً ذا بعدين، البعد الأول: استقرائي يقوم على استقراء القاعدة اللغوية. البعد الثاني: تحليلي تفسيري حيث يعتمد على تفسير القواعد الصرف صوتية لدى القدماء والمحدثين، وهذه الدراسة تقوم على معاينة البنى الصرف صوتية ووصفها وتحليلها، وبناء قواعد تتجلي أثناء تناول القضية موضع الدراسة، لذا تضافرت مناهج عدة فيها. منها التاريخي و الوصفي والمعياري وغيرها.

استقامت خطة الدراسة على النحو الآتي: مقدمة – وأربعة فصول، وخاتمة.

عرض الفصل الأول الحركات وحروف المد واللين بين القدماء والمحدثين، وتناول بين طياته الحركات عند القدماء، والحركات عند المحدثين، والحركات بين الفريقين، وحروف اللين ودورها في توجيه التفسيرات الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين.

وجاء الفصل الثاني معالجاً قواعد الإبدال والإعلال عند علماء اللغة القدامى ومبيناً دور العلماء الريادي الذين توصلوا إلى هذه القواعد بما توافر لديهم من إمكانات بسيطة، وهي وجود الظاهرة اللغوية فقط. فأبدعوا في تفسيراتهم وتحليلاتهم، وإن شابها بعض الخطأ فهم معذورون، فقد كانت آلياتهم فكرهم النير والملاحظة، واطراد الظاهرة اللغوية.

ثم بسط الفصل الثالث قواعد موضوعي الإبدال والإعلال الصوتية عند المحدثين، وعرض أهم القوانين الصوتية التي تحكمت في البنية اللغوية واطردت تفسيراتهم على القضايا الصرف صوتية من خلالها وهي: قانون جرامونت وقانون الجهد الأقل، وقانون التردد النسبي، إضافة إلى المماثلة والمخالفة والنظام المقطعي للغة العربية. ثم تناول تفسيراتهم الصوتية للبنى اللغوية المبدلة والمعلة.

أما الفصل الرابع والاخير فقد تناول نقد قواعد الفريقين، وبناء قواعد جديدة يمكن أن تكون منطلق الدراسات الصرف صوتية.

وبعد ذلك عرضت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم قدمت مجموعة من التوصيات.

ومهما يكن من أمر، فهذا البحث لا يعدو كونه محاولة لدراسة جانب من جوانب اللغة العربية، وذلك من خلال المعطيات المتوافرة لدى علمائنا القدامى، ومن خلال ما يقدمه علم الأصوات الحديث من معطيات تخدم المستويات اللغوية المختلفة، وأني لأرجو بهذه الدراسة المتواضعة أن أكون قد قدمت شيئاً نافعاً يمكث في الأرض لخدمة لغتنا العظيمة، لغة القرآن الكريم، فإن كنت قد أصبت فمن الله فهو خير عون، وإن كنت قد أخفقت فمن نفسي.

وحسبي أن أكون كما قال القاضي الفاضل –رحمه الله – : " إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

والله الموفق

الفصل الأول

الحركات وحروف المد واللين بين القدماء والمحدثين

اولاً: الحركات عند القدماء:

لم يتطرق القدماء إلى الحركات بوصفها أصوات تقوم بدور رئيس في البنى الصرفية، وإنما كان الاهتمام منصباً على الحركات من الناحية الإعرابية، والمتتبع لكتب التراث اللغوي يلاحظ أن مصطلح الحركات لم يذكر في بدايات الدرس اللغوي وللوصول إلى شيء من هذا لا بد لنا من البحث عن تطور المصطلح عند علماء اللغة القدامى.

يبدو أن النطق القرآني كان له الدور الأكبر في ولادة الحركات، والاهتمام بها، علاوة إلى ظهور اللحن على ألسنة بعض الناطقين بالعربية، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن الحركات كوقائع نطقية كانت موجودة كغيرها من الأصوات، إذ لا نستطيع أن نتكلم بأصوات ساكنة، فلا بد من الحركة في أثناء الكلام. وقد ذهب إلى هذا كمال بشر حيث يقول:" أما الحركات قبل أبي الأسود والخليل فكانت تستنتج استنتاجاً بمساعدة السياق"(١) .

وكان اختلاط الأمم غير العربية مع العرب عاملاً رئيساً في ظهور اللحن؛ لأن تعلمهم للغة العربية لم يكن من خلال الفصيح، بل من خلال اللهجات السائدة في التعامل اليومي، وليس سهلاً على صاحب اللسان غير العربي أن يتقن ما يسمع؛ لذلك ظهر اللحن، ووصل إلى القرآن الكريم، من حينها بدأ الاهتمام بالحركات لوضع حد لهذه المعضلة. وقد وردت هذه البداية عند ابن النديم فيذكر: " أخذ النحو عن علي بن أبي طالب أبو الأسود الدؤلي، وكان لا يخرج شيئاً أخذه عن علي ... فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأتى بآخر فقال أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف. وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف"(٢).

وبهذا التوجيه نلحظ أن أبا الأسود وضع الشكل الأول للحركات من حيث الكتابة، ولكنه لم يتعرض لها من الناحية الصوتية إلا من خلال حركة أعضاء النطق، وأخص منها حركة الشفتين وهيئتهما أثناء نطق الصوت، ولكن بقي التشابه قائماً بين الحركات الثلاث، لكن التمييز بينها – إضافة لما سبق– يقوم على مكان النقطة من الحرف.

---

(١) بشر، كمال (١٩٨٠)، علم اللغة العام (الأصوات)، ط ٧، دار المعارف، القاهرة. ص ١٤٧.

(٢) ابن النديم، محمد بن اسحق(١٩٧١)، الفهرست، تحقيق رضا تجدد بن علي، مكتبة الأسدي، طهران، ص ٤٠.

والمتبصر في كلام أبي الأسود يجده ينم عن فكر نيّر، من خلال وضع النقطة الدالة على الفتحة فوق الحرف؛ لأن الشفتين تتجه إلى أعلى ، والضمة بين يدي الحرف لأن الصوت يخرج من ضم الشفتين أو استدارتهما معاً، فكأنه بين يدي الشيء، والكسرة تحت الحرف لأن الشفه السفلى تنكسر إلى أسفل عند نطق الكسرة في الأصوات الشفوية. ووصف أبي الأسود كان يعتمد على الملاحظة ومع ذلك وصل إلى ما وصل إليه من تأسيس لجزء مهم في أصوات اللغة.

بعد جهد أبي الأسود سالف الذكر نجد الخليل بن أحمد يقوم بجهد متميز يدل على فكر صوتي، فقد وضع رسماً جديداً للحركات يختلف عن الرسم النقطي الذي وضعه أبو الأسود، أخذه من صورة الحرف وصغّره. وقد ورد هذا عند أبي عمر الداني في إشارته إلى عمل الخليل يقول: " الضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف؛ لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف"(١).

وتقصير الحرف أو تصغيره عند الخليل يدل على العلاقة التي كان يعيها علماؤنا القدامى القائمة بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة. ولكنهم في هذه المرحلة لم يطلقوا اسم حركات عليها. فقد وردت عند الخليل بأسمائها. فجاء في الكتاب " وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به. والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه.فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو. فكل واحدة شيء مما ذكرت لك"(٢).

ويبدو أن الخليل قصد بقوله زوائد أنها ليست من أصل الكلمة أي جذر الكلمة. وهو لم يقلل من أهمية الحركات؛ لأنه يبين أهميتها في العملية النطقية إذ لا يمكن أن تنطق الحروف المتصلة دون حركة.

ووردت كلمة الحركات عند سيبويه في أثناء معالجته للأبواب الصرفية والنحوية، ومن أمثلة ذلك قوله في باب الإدغام : " وكلما توالت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن. وإن شئت بينت"(٣).

---

(١) الداني،أبو عمر عثمان بن سعيد(١٩٦٠)، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن، دمشق ، ص ٧

(٢) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان،(١٩٦٦) كتاب سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، عالم الكتب والطباعة والنشر، ط٦، ص ٤|٢٤١-٢٤٢.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ص ٤|٤٣٧.

ونجد أنّ الفراء يسميها الضم والكسر والفتح، ولم يرد مصطلح الحركات بوصفه تسمية لهذه الأصوات يقول: " فإنما يستثقل الضم والكسر لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين... والفتحة تخرج من طرف الفم بلا كلفة"(١).

وبقيت الحركات هكذا دون اهتمام كبير حتى جاء ابن جني وتعامل معها معاملة خاصة، وتحدث عنها في كتابه الخصائص في باب " في مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف"، إذ يقول : " وسبب ذلك أن الحركة حرف صغير، ألا ترى أن متقدمي القوم من كان يسمي الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة والفتحة الألف الصغيرة"(٢).

ويذكر في سر الصناعة : " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين"(٣).

والفرق بين ابن جني وغيره من العلماء السابقين أن الأول استخدم مصطلح الحركات في الأبواب الصوتية، ومع ذلك لم ينسبه لنفسه، فمصطلح الحركات ورد قبل ابن جني في معالجات نحوية وصرفية.

وعند معالجة ابن سينا للأصوات اللغوية من جانب صوتي، فقد سمى هذه الأصوات بالمصوتات حيث قال: " وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة ... وأما الواو المصوتة وأختها الضمة.... وأما الياء المصوتة وأختها الكسرة"(٤).

ومما يلاحظ أن الحركات لم تكن محوراً رئيساً في الدراسات اللغوية القديمة وإنما كان الاهتمام منصباً على الحروف (الصوامت). ولم يظهر مصطلح الحركات ضمن دراسة مفردة ومفصلة في المراحل الأولى. بل جاء عرضة ضمن الحديث عن الجوانب النحوية. ولم يطلق القدماء على الحركات الطويلة اسم حركات وإنما تم معالجتها ضمن الأصوات الصامتة. ونجد المعالجة من قبل القدماء لهذه الأصوات (الحركات الطويلة) أكثر من الاهتمام بالحركات القصيرة وذلك لأنها تدخل في بناء الكلمة أو الهيكل الرئيس في نظرهم.

وعلى الرغم من الاهتمام بهذه الأصوات إلا أنهم اختلفوا في توصيفها. فالخليل وصفها بالهوائية يقول: " وأربعة حروف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة وسميت جوفاً

---

(١) الفراء، أبو زكريا يحيى بين زياد(١٩٨٠)، معاني القرآن، بيروت، عالم الكتب، ١٣|٢.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ط٢، بيروت ، دار الهدى للطباعة والنشر، ٣١٥|٢.

(٣) ابن جني(١٩٨٥)، سر صناعة الإعراب، تحقيق :حسن هنداوي، ط١، دمشق دار القلم، ١٩|١.

(٤) ابن سينا، أبو علي الحسن،(١٩٢٣)، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد ويحيى قيمة العلم، دمشق: دار الفكر، ، ص ٨٤.

لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرج من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"[١].

ويتضح من كلام الخليل أنه قصد باللسان الفم، وهذا التوصيف للأصوات الثلاثة الأولى لا تشوبه شائبة سوى اعتباره الألف لينة، والألف هي حركة طويلة، ولكن ما يؤخذ على الكلام توصيفه للهمزة وجمعها مع هذه الأصوات، فالهمزة لها مخرجها وخصائصها المميزة لا تماثل الأصوات المجتمعة معها في مخرج واحد.

أما سيبويه فقد أشار إلى أنها حروف اتسع مخرجها يقول: "... وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف"[٢].

ويظهر من كلام سيبويه أن هذه الأصوات اتسع مخرجها بمعنى أنه في أثناء إنتاجها لم يعترض تيار الهواء المنتج لها أيٌّ تضييق أو إغلاق. وبين أن الألف أكثر هذه الأصوات حرية في طريقة إنتاجها.

أ – عدد الحركات عند القدماء

يرى علماء اللغة القدامى أن الحركات في العربية ثلاث، ولم يطلقوا اسم الحركات على حروف المد التي تندرج تحت مصطلح الحركات على أنها حركات طويلة. غير أن القدماء لم يعدوها حركات، مع الربط بين الحركات القصيرة والطويلة من خلال ما نصوا عليه. فابن جنى يقول: " فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو"[٣].

فإشارة ابن جني هذه تدل من حيث الكمية أن هناك حركات قصيرة وأخرى طويلة، فالبعضية جزء من كل. فإطلاقه اسم الحركات على الفتحة والكسرة والضمة، وهي بعض الحروف السابقة؛ فالحركة لا تكون بعض حرف صامت بل تكون بعضاً من حركة مماثلة لها.

وقد سبق الخليل بن أحمد إلى الإشارة السابقة عندما أخذ رسم الحركات من صور الحرف، وهذا يدل على معرفة القدماء لهذه الحركات الطويلة، وأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين أصوات المد القصيرة، وأصوات المد الطويلة في الصفات الصوتية. غير أن العلماء القدامى لم

---

(١) ابن أحمد، الخليل،(١٩٨٨)، العين، سلسلة المعاجم والفهارس، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت : توسعة الأعلمي للمطبوعات،. ١|٥٧.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٣٥-٤٣٦.

(٣) ابن جني، سر الصناعة ، ١|١٧.

يهتموا بتوصيف الحركات القصيرة من ناحية صوتية كتحديد المخرج وكيفية إنتاجها والصفات المميزة لها، وإنما اكتفوا بتوصيف الصوامت لأنها لبنة من لبنات الكلمة.

ب – الحركات الطويلة (حروف المد) عند القدماء

اهتم علماء اللغة القدامى بإظهار الصفات الصوتية لحروف المد من حيث المخرج، والصفات المميزة لها، ولكنهم خلطوا بين حروف المد (الحركات الطويلة) وحرفي اللين (وي). بوصفهما حرفين يدخلان في جذر الكلمة.

وقد تباينت رؤى العلماء القدامى في إعطاء الصفات المميزة لحروف المد الألف والواو والياء بوصفها حركات طويلة.

لقد بقيت هذه الحركات ترد لدى القدماء بأسماء لا تتضمن مصطلح الحركة. فهي عند الخليل هوائية، ونجد سيبويه يضعها تحت صفتين:

الأولى: اللينة وتجمع الواو والياء يقول: ومنها اللينة وهي الواو والياء؛ لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما"(١).

والأخرى الهاوية وهي صفة الألف يقول: " ومنها الهاوي حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل، الحنك وهي الألف"(٢).

وتحدث عن ترتيب هذه الأصوات حسب اتساع مخرجها، يقول: " وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً الألف ثم الياء ثم الواو"(٣).

وتحدث ابن جني عن المواضع النطقية للحركات من خلال الأعضاء العاملة في إنتاجها يقول: " والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو. والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال، أما الألف فنجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فنجد معها الأضراس سفلاً وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته وتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان.. وأما ا لواو فتضم لها معظم

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤| ٤٣٥.

(٢) المرجع نفسه، ٤|٤٣٥-٤٣٦.

(٣) المرجع نفسه، ٤|٤٣٦.

الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر"[١].

وقد ورد مثل هذا القول عند الاستراباذي حيث يقول :" لأنك تضم شفتيك للواو فيتضيق المخرج، وترفع لسانك قبل الحنك للياء ، وأما الألف فلا تعمل له شيئاً من هذا، بل تفرج المخرج؛ فأوسعهن مخرجاً الألف"[٢].

وقد فرق ابن عصفور بين الواو والياء من جهة والألف من جهة أخرى، من حيث تيار الهواء المنتج لهذه الأصوات،" فالواو والياء اتسع مخرجها لهواء الصوت فجرى الصوت بعض الجري، وأما الألف فاتساع مخرجها أشد من اتساع مخرج الواو والياء، وذلك لأنك تضم الشفتين في الواو وترفع لسانك قبل الحنك في الياء، أما الألف فليس لها شيء من ذلك، فهذه الأحرف الثلاثة لها أصوات في غير موضعها من الفم فأشبهن الرخوة، ولكن ليس للصوت جري في مواضعها، وأشبهن الشديدة للزومها مواضعها"[٣].

وقد تعرض ابن يعيش إلى هذه الأصوات حيث يقول: " والهاوي الألف يقال له الجرس، لأنه صوت لا معتمد له في الحلق، والجرس الصوت وهو حرف اتسع مخرجه لهواء الصوت أشد من اتساع مخرج الواو, والياء لأنك تضم شفتيك في الواو، وترفع لسانك إلى الحنك في الياء وأما الألف فتجد الفم والحلق منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط ولا حصر، وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجهما، وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً الألف"[٤].

ثم يأتي دور ابن سينا حيث يشير إلى المواضع النطقية للحركات بقوله: " وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم، وأما الواو المصوتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق وميل به سلسل

---

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١|٨.

(٢) الاستراباذي(١٩٨٢)، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية ، ٣|٢٦١.

(٣) ابن عصفور،أبو الحسن علي بن مؤمن،(١٩٧٩)، الممتع في التصريف، ط ٣، تحقيق فخر الدين، قبادة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ٦٧٣-٧٧٤.

(٤) ابن يعيش ، أبو البقاء موفق الدين، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، القاهرة: مكتبة المنتهي، د. ت، ١٠|١٣٠|١٣١.

إلى فوق، أما الياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلسل إلى أسفل"[١].

نلحظ أن جُلّ العلماء القدامى تعرض لهذه الأصوات من خلال التيار المنتج لهذه الأصوات، وهم على علم أن هذه الأصوات لا تنتمي لمخرج معين وهذا ما أثبته الدراسات الصوتية الحديثة.

وتجلى الآراء السابقة مواضع تطور الحركات القصيرة في المواضع النطقية لحروف المد مع أنهم لم يطلقوا على حروف المد مصطلح حركات غير أن جل العلماء القدامى يرى أن الفتحة لا تعمل بها أعضاء النطق في الفم، وإنما يرون أنها تنتج من الحلق، ولكنهم تنبهوا إلى عمل اللسان والشفتين والحنك الأسفل كما وجدناه عند الفراء.

ورأي ابن جني السابق يدل على اهتمامه الملحوظ بالحركات وتحديد مواضعها النطقية من خلال عرضه المفصل للأعضاء النطقية العاملة في إنتاجها.

ويختلف عمن سبقوه بدقة رأيه وشموليته ، ولكنه لم يذكر دور اللسان عند إنتاج الضمة مع أنه ذكر هذا الدور في إنتاج الكسرة، ونجده يحدد الحلق موضعاً لإنتاج الفتحة، والفم لإنتاج الكسرة والشفتين لإنتاج الضمة وهذا التحديد وإن كان يدل على دقة تأملية في إنتاج الأصوات إلا أن عمومية المخرج، وعدم تحديده تحديداً دقيقاً، يقلل من دقة إعطاء الصفات المخرجية لهذه الأصوات؛ لأن هذه الأعضاء مجتمعه تقوم بإنتاج هذه الأصوات.

أما ابن سينا فيلاحظ من كلامه أن الألف تخرج من الحلق دون أن يعيقها أي عائق فلا دور في اللسان ولا الشفتين في إنتاجها، ولكنه جعل وضع اللسان وتعامله مع مجرى الهواء المنتج للواو والياء، هو العامل في إنتاج هذين الصوتين، مع الواو يضيق المجرى بواسطة عضلات اللسان وما ينتج عنه من تضييق لمجرى الهواء والاتجاه به إلى أعلى، أما الكسرة فيضيق مجرى الهواء لإنتاجها مع خفض الحنك السفلي، وخفض مقدمة اللسان ليندرج الهواء المنتج للكسرة إلى أسفل؛ إن هذا الاختلاف في آراء القدامى حول المواضع النطقية للحركات جاء كما يبدو من الرؤية الأولى، ثم بنوا آراءهم على ما توصل إليه سيبويه أولاً، ثم ابن جنى ثانياً، مع عدم إغفال دور الخليل بن أحمد في هذا المضمار، وانطلقت الدراسات الصوتية من تلك القاعدة, إضافة لما سبق كان له الأثر الأكبر في توجيه الدراسات الصوتية عندهم اعتمادهم في توصيف هذه الأصوات على الملاحظة والذوق، فجاء تحديد المخرج عندهم غير دقيق في

---

(١) ابن سينا(١٩٨٣)، رسالة أسباب حدوث الحروف ،تحقيق : محمد حسان الطحان ويحيى مير العلم، دمشق، دار الفكر، ص ٨٤.

مواطن كثيرة. ولكن هذا لا يقلل من الجهد الكبير الذي قام به هـؤلاء العلمـاء، فهـو منطلـق الدراسات الصوتية الحديثة.

ج – أصوات اللين عند القدماء

خلط القدماء بين أصوات المد (الحركات الطويلة) وبين حرفي اللـين(الـواو والياء) بوصفهما نصفي حركة أو أشباه صوامت، أو أشباه حركات، كما أطلق عليها المحدثون.

وقد فرق جعفر عبابنة بين المد واللين عند القدماء بقوله: " فمن المفاهيم الشائعة لـدى القدماء أن حرف المد هو حرف العلة الساكن المسبوق بحركة من جنسه مثل الألف فـي قـام وسار، والواو في نور وسوق وعجوز، والياء في دين وسعيد وعرين. وحرف اللين هو الواو أو الياء الساكنتان المسبوقتان بفتحة، مثل الواو في حوْض وذوْق، والياء في بيْت وزيْت. وحـرف العلة عندهم هو الواو والياء المتحركتان كالواو في وَرق والياء في يُـسر وهمـا مـضارعتان للحروف الصحيحة لاحتمالهما الحركة"(١).

وقد ورد مثل هذا القول عند مكي بن أبي طالب يقول: " الواو الساكنة هي التي قبلهـا فتحة والياء الساكنة التي قبلها فتحه، وإنما سميتا بذلك لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفـة علـى اللسان، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلها عن جنسهما، فنقصتا المد الذي في الألف، وبقي فيهما اللين لسكونهما فسميتا بحرفي اللين"(٢).

وقد جمع القدماء بين حروف المد واللين في مجموعة صوتية واحدة، على الرغم مـن التفريق في الصفات من الناحية النظرية، يقول سيبويه :" ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيء من المتقاربة لأن فيهما ليناً ومداً"(٣).

وبهذا الخلط فسروا بعض السلوكات الصرفية في اللغة العربية. فقد وصفوا الألف على أنها ساكنة، وعلة عدم الإدغام بين ألفين في نظرهم بسبب سكونها. يقول سيبويه فـي ذلـك: " وكذلك الألف لا تدغم في الهاء ولا فيما تقاربه؛ لأن الألف لا تدغم في الألف؛ لأنها لو فعلـت

---

(١) عبابنة، جعفر نايف،(٢٠٠٤)، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، مجلة مجمع الفقه العربية الأردني، ع٦٦، كانون ثاني– حزيران، ص٤٦.

(٢) ابن أبي طالب، مكي،(١٩٧٤)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية، ص١٠١–١٠٢.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه ، ٤|٤٤٦.

ذلك بها فأجريتهما مجرى الدالين والتاءين تغيرتا فكانتا غير ألفين فلما لم يكن ذلك في الألفين، لم يكن فيهما مع المتقاربة"[١].

ويذهب المبرد إلى وصف الألف بالساكنة حيث يشير إلى ذلك بقوله: " إن الألفين لا يصلح فيهما إدغام، لأن الألف لا تكون إلا ساكنة"[٢].

وورد مثل هذا عند ابن يعيش: " وأما الألف فإنها لا تدغم في مثلها لأنها ساكنة، وبالإدغام يلتقي ساكنان وهذا ما لا تجيزه العربية"[٣].

ويرى ابن عصفور أن كل مثلين قد يدغمان إلا الألفين والهمزتين وبين سبب ما ذهب إليه لأن الألف ساكنة فلا يدغم في ساكن[٤].

إن هذا التوصيف للألف بأنها ساكنة أو لينة فيه نظر وخلط كبير ويمكن أن يكون هذا الوصف للألف عند القدماء ناتج عن عدم معرفتهم للخصائص الصوتية لها من جهة، وعدم ظهور الحركة عليها كما توهموا من جهة أخرى. وهذا التوصيف لا يتفق مع ما توصلت إليه الدراسات الحديثة الذي ترى، أن الألف حركة طويلة، وهي بالأحرى فتحة طويلة (aa). والنسيج المقطعي للغة العربية لا يسمح باجتماع حركتين طويلتين، لأن إحداهما ستكون في بداية مقطع. والمقطع العربي لا يبدأ بحركة aa|aa– وامتناع الإدغام هنا ليس لكونها ساكنة كما ذهب القدماء.

غير أننا نجد عند سيبويه إشارات تدل على الفرق بين الواو والياء بوصفهما حرفي مد، والواو والياء بوصفهما حرفي لين فيذكر في باب الإدغام : " ونقول : هذا دلوُ واقد وظبيُ ياسر فتجري الواوين والياءين ههنا مجرى الميمين في قولك اسم موسى فلا تدغم"[٥].

ويقول أيضاً:" وإذا قلت مررت بوليّ يزيد وعدوّ وليد فإن شئت أخفيت وإن شئت بينت، ولا تسكن لأنك حيث أدغمت الواو في عدوّ والياء في وليّ فرفعت لسانك رفعة واحدة ذهب المدّ، وصارتا بمنزلة ما يدغم من غير المعتل، فالواو الأولى في عدوّ بمنزلة اللام في دلو والياء الأولى في وليّ بمنزلة الباء في ظبي" [٦].

ويفهم من كلام سيبويه السابق أن حروف اللين تدغم، وتعامل معاملة الحروف الصحاح فهي شبيهة بها، فهي بمنزلة اللام والباء كما ذكر. وهذا التوصيف وإن كان غير دقيق؛ لأنه ذكر

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤٤٦/٤

(٢) المبرد، المقتضب(د.ت)، ٢٠٤|١، تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٤|١٠

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٣٤|١٠-١٣٦.

(٤) ينظر: ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٦٣٣|٢.

(٥) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤٤٢|٤.

(٦) المصدر نفسه.

أن بالإدغام يذهب المد. فهو توصيف قريب مما وصل إليه العلماء في العصر الحديث فالواو والياء اللينتان تشبهان الحروف الصحيحة وتشبهان حروف المد. فلذلك أطلق عليها أشباه الصوامت أو أنصاف الحركات.

وفرق ابن يعيش بين الياء المدّية والياء اللينة بقوله: " اعلم أن الياء وإن كانت من مخرج الجيم والشين فإنها من حروف المد ولها فضيلة على غيرها بما فيها من المد واللين... والياء تدغم في مثلها إن كانت متصلة بأن كانتا في كلمة واحدة فمثالها في الكلمة الواحدة قولك حيّ وعيّ في حيي وعيي... وأما المنفصل وهو الذي يكون المثلان فيه من كلمتين فإن كانت الياء الأولى قبلها فتحة جاز الإدغام نحو: أخشَىّ ياسراً، فإن انكسر ما قبلها لم تدغم كقولك: " أظلمي ياسراً " والفرق بينهما أن الكسرة إذا كانت قبلها كمل المد فيها فتصير بمنزلة الألف لأن الألف لا يكون قبلها إلا مثلها[١].

إن ما ذهب إليه ابن يعيش من تفريق بين حرفي اللين وأحرف المد فيه شيء من الدقة مع التوهم بوجود كسرة ما قبل الياء وفتحة ما قبل الألف هذا الوهم الذي ذهب إليه القدماء ومنهم ابن يعيش وجّه التفسيرات الصرفية إلى منحنى الخطأ. لأن سبب عدم الإدغام في ياء المد مع الياء اللينة ليس كما ذهب ابن يعيش وإنما لأن الأولى حركة طويلة (كسرة طويلة)، والثانية نصف حركة فكيف يصبحان مثلين؟

وقد صرح ابن السراج أن : " إذا قلت وأنت تأمر : أخشَىّ ياسراً واخشوّا واقداً أدغمت لأنهما ليسا بحرفي مد كالألف، لأنه انفتح ما قبل الياء والواو"[٢].

ويتضح من كلامه أن الألف حرف مد أي أنها حركة طويلة وأن الواو والياء إذا جاء قبلهما حركة ليس من جنسهما كما توهم القدماء فهما ليسا حرفي مد. أي أن حرفي اللين عند القدماء الواو والياء إذا لم يسبقا بحركة من جنسهما وهذا فيه خلط. والدليل أن (واقد وياسر) لم يسبقا بحركة ومع ذلك فهما حرفا لين أو هما نصفا حركة، فاهتموا بتوصيف الحرف الأول في أخشيّ ياسراً ولم يهتموا بتوصيف المثل الثاني.

إن ما ذهب إليه القدماء في الخلط بين حروف المد (الحركات الطويلة) وحرفي اللين (الواو والياء) أشباه الصوامت أو أنصاف الحركات. إن هذا الخلط جعلهم يخطئون في تفسير بعض السلوكات الصرفية. ويخطئون في إعطاء الصفات المميزة للصوت التي تجعله يختلف

---

(١) ابن يعيش ، شرح المفضل، ١٠|١٣٩.

(٢) ابن السراج ، محمد بن سهل، (١٩٨٥)، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي،بيروت ، مؤسسة الرسالة، ٣|٤١٢.

عن الصوت الشبيه به في الرسم الكتابي ، وليس هذا الرسم المتشابه هو السبب في هذا الخلط، لأن هذا الرسم من صنع علمائنا الذين قعدوا هذه اللغة. وفي رأي الباحث أن الرسم الكتابي المتشابه هو الذي جعل العلماء يبحثون في السمات المميزة لكل صوت من هذه الأصوات. والدليل على ما يذهب إليه أن القدماء جهدوا أنفسهم في التفريق بين هذه الأصوات من حيث حركتها وحركة ما قبلها، وبنوا تعليلاتهم الصرفية على ما توصلوا إليه من نتائج فكرهم الذي اعتمد على الملاحظة والذوق.

ثانياً : الحركات عند المحدثين

تطورت الدراسات الصوتية في العصر الحديث، وأصبحت تقوم على التجارب المخبرية، فكانت الصفات المميزة للصوت أكثر دقة من توصيف علماء اللغة القدامى له. فكانت نتائج القدماء في وصف المخارج للأصوات وتيار الهواء المنتج لها يختلف عما جاء عند المحدثين.

واللغة العربية شأنها شأن اللغات الأخرى تتشكل من مجموعة من الأصوات اللغوية. والقدماء قسموا هذه المجموعة الصوتية إلى قسمين:

حروف علّة وحروف صحاح، غير أن المحدثين قسموا هذه المجموعة إلى ثلاثة أقسام حسب تيار الهواء المنتج لها. وهي : الصوامت، والحركات، وأشباه الصوامت أو أشباه الحركات. وما يهمنا هنا هو طريقة إنتاج الحركات وتوصيفها.

يرى إبراهيم أنيس أن "الصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين Vowels هي أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة أو يحبس النفس ولا تسمح له بالمرور كما يحدث مع الأصوات الشديدة، فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل وموانع" (١).

ويبدو إبراهيم أنيس في اطلاق مصطلح اللين على الحركات متلأثراً بالقدامى من علماء اللغة.

ويذكر عبد الصبور شاهين أن الحركات تنتج " إذا لم يحدث اعتراض في الفم فإن الصوت ينطلق إلى خارجه مكوناً ما يعرف بالحركات. والحركات أصوات انطلاقية تحدث من

---

(١) إبراهيم أنيس(١٩٧٥)، الأصوات اللغوية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ص ٢٦.

ذبذبة الأوتار الصوتية عند مرور الهواء بها، وليس للفم من دور في إنتاجها سوى اتخاذه شكلاً معيناً باعتباره غرفة رنين يعطي الصوت المار بها طابعاً خاصاً"[١].

ويحددها محمود السعران بقوله : " يحدد الصائت في الكلام الطبيعي بأنه الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم وخلال الأنف معهما أحياناً دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً، أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً"[٢].

ويعرفها رمضان عبد التواب بقوله: " الأصوات المتحركة، أو أصوات العلة ويسميها الإنجليز " vowels " تعرف بأنها الأصوات المجهورة الذي يحدث في تكوينها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحياناً دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء"[٣].

وتناولها عبد القادر عبد الجليل بصفتها فونيماً تركيبياً، يقول : " الفئة الثانية من الفونيمات التركيبية، وقد أطلق عليها في العربية تسميات عدة الأصوات اللينة- الطليقة- حروف المد- المصوتات- حروف العلة الصائتة- الحركات الطليقات، الأصوات المتحركة"[٤].

ويذكر في موضع آخر: " تتميز هذه الأصوات بصفة الجهر الملازم لها، لأن الحركة لا يمكن أن تكتسب جانبها التمييزي وتؤدي وظيفتها داخل البنى اللغوية إلا إذا كانت مجهورة وإلا فإنها لا تغدو أن تكون زفيراً... تؤدي كل من الحركات القصيرة والطويلة وظائف مستقلة داخل البنى اللغوية ومعنى هذا أن كل واحدة منها تمثل فونيماً مستقلاً، كما أنها تمتلك خاصية التبادل الموقعي داخل الوحدات اللغوية"[٥].

إذن الحركات أصوات انطلاقية لا يحدث أي عائق للتيار المنتج لها أثناء خروجه من الرئتين غير أن اللسان يأخذ وضعاً معيناً والشفتان كذلك. وهي مجهورة باتفاق العلماء غير أن الباحث يجد عند عبد الصبور شاهين قولاً فيه نظر حيث يقول: "والجهر والهمس صفتان تشترك فيهما الصوامت والحركات على سواء، على الرغم من دقة ملاحظة الهمس في الحركات" [٦].

---

(١) شاهين، عبد الصبور (١٩٨٠)، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص ٢٨-٢٩.

(٢)السعران، محمود، (د.ت)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة، ص١٨٤.

(٣)عبد التواب، رمضان،(١٩٨٢)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص٤٢.

(٤) عبد الجليل، عبد القادر،(٢٠٠٢)، علم اللسانيات الحديثة، ط١، عمان: دار صفاء للنشر، ص ٣١٨.

(٥) المرجع نفسه ص ٣١٨،٣١٩.

(٦) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢٧.

إن ما ذهب إليه عبد الصبور شاهين بهمس الحركات رأي غير دقيق؛ لأن لولا اهتزاز الوترين الصوتيين لأصبحت الحركات زفيراً، فالجهر سمة مميزة للحركات علاوة علـــى عـــدم تعرض تيار الهواء المنتج لها إلى أي اعتراض.

أ- عدد الحركات عند المحدثين

قسم علماء اللغة المحدثون الحركات حسب كميتها وأثرها في المعنى إلى قسمين:

قصيرة، وطويلة.

أولاً: الحركات القصيرة.

يتفق جل علماء اللغة في العصر الحديث على أن عدد الحركات القصيرة ثلاث هي:

الفتحة القصيرة: a

والكسرة القصيرة: I

والضمة القصيرة: u

ومع كثرة الأدلة والآراء على عدد الحركات القصيرة، وتحديدها بثلاث حركـــات إلا أن بعض علماء اللغة المحدثين اختلفوا في الحركة الرابعة " وقد عرفت العربية الفـــصحى أربـــع حركات هي:

١-الفتحة المفخمة بعد الأصوات المفخمة: الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والغين والخاء والراء ولام لفظ الجلالة إن سبقت بفتح أو ضم.

٢- الفتحة المرققة مع بقية الصوامت.

٣- الكسرة الضيقة الأمامية, وقد تتسع قليلاً فتنطق كالفتحة الممالة في المقطع المقفل مثل: طِر وبِع أمرين من طار وباع.

٤- الضمة الضيقة الخلفية... بيد أن التسميات التي وضعت لهذه الحركات كانت ثلاثة بإدمـــاج حركتي الفتحة (مفخمة ومرققة) في تسمية واحدة من حيث كان اختلافهما لا أثر له من الناحية الصرفية"[١].

ولمناقشة هذا الرأي لا بد من توضيح بعض المصطلحات لقصدية فهم الموقف وهي:

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢٩.

الفونيم: تناول عدد من العلماء تحديد الفونيم وتعريفه ويمكن إجمال هذه التعريفات حسب علمائها، فعند " دوسوسير: " مجموعة التأثيرات السمعية، والحركات النطقية للوحدات المسموعة والوحدات المنطوقة كل منها بشرط الآخر"(١).

أما تروبتسكوي فيعرف الفونيم بأنه " أصغر وحدة فنولوجية في اللسان المدروس"(٢).

ويعرفه دانيال جونز بأنه " عائلة أو أسرة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة من الكلمات في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها"(٣).

ويمكن تعريف الفونيم بأنه أصغر وحدة صوتية صامتية أو صائتية قادرة على تغيير الدلالة في بنية الكلمة.

الألفون: هو التنوع الصوتي السياقي الذي يطرأ على نطق الفونيم"(٤).

المورفيم: " أصغر وحدة ذات معنى"(٥).

بعد هذه التعريفات نطرح الملاحظات الآتية على رأي عبد الصبور شاهين :

١- لم يأت بدليل يبرهن على ما ذهب إليه من اللغة أو تجارب مخبرية، بل اعتمد على النطق الناتج عن تأثير الصوت المطبق في الألف وهو تأثر سياقي ألفوني لا يغير معنى، لذلك لا يعتبر فونيماً مستقلاً.

٢- الألف فونيم أما الترقيق والتفخيم فلا يعطيها صفة فونيمية أخرى بدليل أن الألف تبقى ذات دلالة واحدة في التفخيم أو الترقيق.

٣- لم يطبق عبد الصبور شاهين ما قاله على الكسرة والضمة فهي تتبادل مواقع الألف في السياقات المختلفة. فلماذا لم يقل كسرة مفخمة, وضمة مفخمة ويعتبر كلاً منهما فونيماً مستقلاً.

٤- ويذهب إلى أبعد من ذلك حين يقول: " ويصعب من الناحية النطقية أن تحل الفتحة المرققة محل الفتحة المفخمة والعكس, ففي الفعلين طاب وتاب تعتبر الفتحة بطابعها

---

(١) شاهين، عبد الصبور(١٩٨٠)، في علم اللغة العام، ص٣، بيروت،: مؤسسة الرسالة، ص١١٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١٢١.

(٣) النوري،(١٩٩٧)، محمد جواد، علم أصوات العربية، عمان، مطبوعات جامعة القدس المفتوحة، ص١٣٢.

(٤) النوري، محمد جواد، وحمد علي خليل،(١٩٩١)، فصول في علم الأصوات، نابلس: مطبعة النصر التجارية، ص١٢٢.

(٥) باي، ماريو،(١٩٩٨)، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، ط٨، القاهرة،:عالم الكتب، ص٥٣.

شرطاً في دلالة الكلمة على معناها, أي أن الاختلاف بين الكلمتين في حرفين لا في حرف واحد"[١].

لقد نقلنا إلى الفتحة الطويلة وهو يتحدث عن الحركات القصيرة، ومع ذلك يذهب إلى جعل الفتحة الطويلة في كلا الفعلين فونيمين مستقلين، وهذا ليس صحيحاً؛ لأن الفرق في المعنى بين الفعلين السابقين ناتج عن اختلاف الفونيمين الأولين (ط، ت)، والتفخيم المكتسب في الفتحة الطويلة في (طاب) ناجم عن تأثير صوت الطاء في الفتحة الطويلة فأكسبها صفة الأطباق، فهو تأثير جزئي، فالألف المفخمة هنا ألفون لأنها اكتسبت التفخيم من خلال ما جاورها من أصوات في السياق النطقي.

لهذا يذهب الباحث إلى أن الحركات القصيرة ثلاث، وما ينتج من تفخيم أو ترقيق لها إنما هو من قبيل الألفونات السياقية.

وقد أشار المطلبي إلى ذلك بقوله: " إن ألف التفخيم ليست إلا صورة من صور نطق الألف وهي بهذا لا تحمل أية قيمة فونيمية خاصة بها، خارجة عن فونيم الألف العربية المعروفة"[٢].

وهناك من الباحثين من عدّ السكون حركة صوتية تماثل الحركات الأخرى ومنهم محيي الدين رمضان يقول: " وواضح في ذلك أن الساكن إذا أدرج ليس له حال الموقوف عليه أنك قد تجمع في الوقف بين الساكنين نحو بكْر وعمْرو، فلو كانت حال سكون كاف بكر كحال سكون رائه لما جاز أن تجمع بينهما... وهذا يعني أن السكون ليس تركاً لنطق الصوت وإنماهو درجة من النطق تشبه حال النطق بالصوت المحرك بالفتح... وهو حركة مثل الفتح وقريب منه"[٣].

إن ما ذهب إليه محيي الدين رمضان يتنافى مع الطبيعة الصوتية للسكون الذي يعني سلب الحركة، ويبدو أنه غاب عن ذهنه جلب الحركة عند التقاء الساكنين في التراث اللغوي، علاوة على أن صوت الراء ليس ساكناً تماماً لأن تكرارية الراء تجعل الهواء المنتج لها يتسلل دون توقف من خلال ضربات اللسان في الحنك الأعلى.

إن ما نادى به رمضان لا يختلف كثيراً عما ذهب إليه ابن جنى في اختلاف سكون كاف بكر عن رائه، فقد نص على ذلك ابن جنى بقوله: " ومما يدل على أن الساكن إذا أدرج ليست له

---

(١) مالبرج، برتيل ،(١٩٨٤)، علم الأصوات، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ص٧٨.

(٢) المطلبي، غالب،(١٩٨٤)، في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربيةن العراق: وزارة الثقافة والإعلام، ص ١٦٨.

(٣) رمضان،محي الدين(د.ت)، في صوتيات العربية، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ص٢٠٢-٢٠٣.

حال الموقوف عليه، أنك قد تجمع في الوقف بين الساكنين، نحو: بكْر، وعمْرو فلو كانت حال سكون كاف بكر كحال سكون رائه لما جاز أن تجمع بينهما، من حيث كان الوقف للسكون على الكاف كحاله لو لم يكن بعده شيء، فكان يلزمك حينئذٍ أن تبتدئ بالراء ساكنة والابتداء بالساكن ليس من هذه اللغة العربية"(١).

لقد فرق القدماء وكان رأيهم صائباً في اختلاف موضع السكون، فسكون الدرج يختلف عن سكون الوقف، وقد تنبه إلى ذلك ابن جنى بقوله: " إن العين إذا كانت ساكنة فليس سكونها كسكون اللام... وذلك أن الحرف الساكن ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحاله لو وقفت عليه، وذلك لأن من الحروف حروفاً إذا وقفت عليها لحقها صويت ما من بعدها، وإذا أدرجتها إلى ما بعدها ضعف ذلك الصويت وتضاءل"(٢).

ومن قبله ذكر سيبويه في وصفه لحروف القلقلة ذلك الصويت بقوله: " واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه"(٣).

إن ما دعا إليه محيي الدين رمضان بالتحقيق النطقي للسكون، وأنها عكس الحركة، ومنع الحركة كما يبدو في رأيه حركة، وربما اعتمد في وصفه على التوتر الذي يصيب أعضاء النطق المنتجة للصوت عند النطق بالساكن فتتحول أعضاء النطق من حالة إلى حالة ربما كان في نظره حركة. لا يختلف اثنان في حقيقة وجود السكون في اللغة العربية، ولكن ما الصفة الحقيقية للسكون؟

لقد ناقش كمال بشر السكون في اللغة العربية ومما ذهب إليه " أن إطلاق اسم حركة على السكون على المستوى النطقي المحض إطلاق غير دقيق ولا يستند إلى أي أساس من الواقع؛ لأن الحركة من هذه الناحية – النطق الفعلي والتأثير السمعي– لها صفات معينة لا يوجد شيء منها البتة في السكون " (٤).

غير أنه لا ينفي أن هناك قيماً معينة للسكون في النظام اللغوي العربي ويذكر على سبيل المثال لا الحصر القيمة الوظيفية، وتتجلى هذه القيمة في الأمور الآتية:

---

(١) ابن جني، الخصائص، ١|٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ١|٥٧.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|١٧٤.

(٤) بشر، كمال(١٩٦٩)، دراسات في علم اللغة، القاهرة: دار المعارف، ص ٢١٨.

١-السكون امكانية من إمكانيات أربعة تعرض للحروف أو الأصوات الصامتة وهذه الأصوات قد تتبع بفتحة أو ضمة أو كسرة، وبلا شيء منها، وهذه الإمكانية الرابعة لها قيمة صوتية على المستوى الوظيفي إذ هي تميز الحرف الخالي من الإمكانيات الثلاث الأخرى، وهذا التميز ذو أهمية خاصة لأنه يشير إلى حالة صوتية رابعة وموجودة بالفعل.

٢- السكون له وظيفة في التركيب المقطعي في اللغة العربية، إذ هو يعطي الهوية الخاصة، بالمقطع، فهو يميز نهاية المقطع المنتهي بحرف خالٍ من الحركات الثلاث كما في المقطع (ص ح ص)، فهو صوت صامت+ حركة+ صوت صامت. وهو مقطع متوسط مغلق، يقابل المقطع (ص ح ح) = صامت+ حركة طويلة ، أو المقطع (ص ح)= صامت + حركة قصيرة. وهو المقطع القصير.

٣- للسكون وظيفة موسيقية في نهاية الكلمة أو الجملة في بعض المقامات اللغوية وقد أطلقوا على القواعد المتعلقة بهذا الأمر باب الوقف.

٤- وتظهر هذه القيمة الموسيقية للسكون في التفعيلات العروضية فهي مبنية على أنساق صوتية معينة، للسكون دور كبير في تشكيل أنماطها وأنماط وحداتها المكونة لها.

٥- هناك تبادل في الموقع بين الخلو من الحركة والفتح في بعض السياقات الصرفية في صيغ صرفية خاصة، كتلك التي نص عليها علماء العربية مما كان عينها صوتاً من الأصوات التي نعتوها بالأصوات الحلقية وهي (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء) كما في نهْر ونهَر وبحْر وبحَر.... الخ[١].

ويرى أيضاً أن "تسمية السكون حركة مقصور على الجانب الوظيفي، وهو جانب لا يعتمد على النطق المادي، أو هو يعتمد عليه ولكنه بالمعنى السلب إذ السكون سلبي أو عدم... ولهذا نقترح أن تسمى السكون " الحركة الصفر" " ZERO VOWEL " [٢].

إن ما ذهب إليه كمال بشر فيه شيء من الدقة ولكن يبدو أن مصطلح الحركة الصفرية لا يتماشى مع منطق اللغة؛ لأن كلمة حركة في اللغة لها صفاتها المميزة من حيث طريقة إنتاجها ومواضع نطقها ولكن السكون لا نجد لها مكاناً في الحركات. وإطلاق القيمة الصفرية على السكون يعني أن لها وجوداً فعلياً لأن الصفر في الرياضيات ذو قيمة عظيمة. وإذا أردنا أن نضع لها قيمة رياضية فالأفضل أن نطلق عليها في مجموعة الحركات عنصر فاي أي مجموعة خالية

---

(١) بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، ص ٢١٩-٢٢٠ بتصرف.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

بمعنى لها شكل مادي ولكن خالية من التأثيرات النطقية والسمعية. لأننا نستطيع أن ننطق الحركات منفردة ولكن لا نستطيع أن ننطق السكون دون الصامت.

إن من أطلق عليها حركة من علماء اللغة المحدثين اعتمد على وصف القدماء لها بأن السكون أخف الحركات وإنها تضارع الفتحة ، ويقول ابن جنى: " ألا ترى إلى مضارعة الفتحة للسكون في أشياء منها أن كل واحد منها يهرب إليه مما هو أثقل منه نحو قولك في جمع فُعْلَه وفِعْله فُعُلات وفِعِلات ثم يستثقل توالي الضمتين والكسرتين ، فيهرب عنهما تارة إلى الفتح، وأخرى إلى السكون . أفلا تراهم كيف سوّوا بين الفتحة والسكون في العدول عن الضمة والكسرة إليهما"(١).

إن السكون كوجود فعلي مادي شكلي؛ أي كتابي موجود في اللغة ولكن من حيث التحقق النطقي غير موجود، ولا يوجد لها أثر سمعي، فالحركات القصيرة في اللغة العربية لا تتعدى الثلاث، الفتحة القصيرة، والضمة القصيرة، والكسرة القصيرة.

ثانياً: الحركات الطويلة

تختلف هذه الحركات عن سابقتها، الحركات القصيرة ، في كون الزمن الذي يستغرق إنتاجها أطول نسبياً، واللغة العربية تشمل على مقابلات ثلاث للحركات القصيرة، وهي الفتحة الطويلة والضمة الطويلة والكسرة الطويلة.

وقد اختلف المحدثون في كمية الحركات الطويلة إلى الحركات القصيرة فيذهب إبراهيم أنيس إلى أن كمية الحركات الطويلة تساوي ضعف القصيرة حيث قال: " واللغويون عادة يقسمون أصوات اللين إلى نوعين فقط، قصير وطويل، فالفتحة مطلقة صوت لين قصير، فإذا أصبحت ما يسمى بالألف الممدودة فهي صوت لين طويل، والفرق عادة بين الفتحة الطويلة والقصيرة هو أن الزمن الذي تستغرقه الأولى ضعف ذلك الذي تستغرقه الثانية"(٢).

وذهب جواد محمد جواد النوري إلى مثل هذا فيذكر أن الحركات الطويلة تختلف عن القصيرة في الزمن يقول: " تختلف هذه الحركات عن سابقتها، الحركات القصيرة، في كون الزمن الذي يستغرقه، أطول نسبياً. واللغة العربية تشتمل على نظائر ثلاثة للحركات القصيرة السابقة، هي الكسرة الطويلة(ii) والفتحة الطويلة (aa) والضمة الطويلة (uu)(٣).

---

(١) ابن جني ، الخصائص، ١|٥٩.

(٢) أنيس ، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ١٥٥.

(٣) النوري محمد جواد، علم أصوات العربية، ص١٩٢.

ويذكر أحمد الحمو أنه " .... قد استقر حالياً أن المصوت الطويل يعادل ضعف المصوت القصير، وأن الحركة من حيث زمنها نصف زمن حرف المد "(١).

وهناك من علماء اللغة من ذهب إلى تفاوت الكمية بين القصيرة والطويلة حسب الأصوات المجاورة ومنهم إبراهيم أنيس الذي ذكر في السابق أنه يساوي ضعف الحركة القصيرة ولكنه يذكر في موضع آخر أن : " أصوات اللين الطويلة في اللغة العربية قد يزداد طولها ضعفاً أو ضعفين حين يليها همزة أو صوت مدغم ... فالقراء في مثل "يشاء" وفي مثل "ولا الضّالين" قد يطيلون صوت اللين فوق طوله أضعافاً. وهذا النوع من الإطالة لا يراعى إلا في القراءات القرآنية"(٢).

ويذكر في موضع آخر " والصوت اللغوي قد يتأثر من حيث طوله بما يجاوره من الأصوات، ومما لا حظه المحدثون أن صوت اللين يزداد طولاً إذا وليه صوت مجهور"(٣).
وقد ورد عند القدماء ومنهم ابن جنى في باب في مطل الحروف، تمادي كمية الحركات عندما تكون متبوعة بهمزة أو صوت مضعف يقول : " إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها وتتمكن مدتها ثلاثة. وهي أن تقع بعدها.... الهمزة أو الحرف المشدد"(٤).

وهذا يعني أن القدماء تنبهوا لتمادي كمية الحركات الطويلة ومنهم أيضاً ابن سينا الذي كان عنده تصور يفوق تصور بعض المحدثين الذين يجزمون باستقرار كمية الحركة الطويلة إلى القصيرة حيث يقول :"ثم أمر هذه الثلاثة علي مشكل، ولكني أعلم يقيناً أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة، وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف، وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة والياء المصوتة إلى الكسرة"(٥).

إن رأي ابن سينا أدق من رأي بعض المحدثين ومنهم أحمد الحمو و صلاح الدين حسنين الذي أشار الأخير إلى أن كمية الحركات الطويلة تساوي ضعف كمية الحركات القصيرة"(٦).

---

(١) الحمو، أحمد(١٩٨٩)، محاولة ألسنية، في الإعلال، مجلة عالم الفكر، مج٢٠، ع٣٩.
(٢) أنيس،إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص١٥٨.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٥٩.
(٤) ابن جني، الخصائص، ٣|١٢٥.
(٥) ابن سينا ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص ٨٥.
(٦) ينظر : حسنين، صلاح الدين(١٩٨١)، المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، ط١، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ص ٤١.

ويذهب داود عبده إلى أن " العلة الواقعة قبل صحيح مجهور تكون أطول من نظيرتها الواقعة قبل صحيح غير مجهور"(١).

ويشير برتيل مالبرج إلى أن " كمية الحركة تعتمد على الساكن التالي لها، فالحركة إذا تلاها ساكن احتكاكي أطول منها إذا تلاها وقفي"(٢).

وقد قام زيد خليل القرالة بدراسة اعتمد فيها على التجارب المخبرية في تحديد كمية الحركة الطويلة إلى القصيرة، ويعد رأيه من أدق الآراء لأنه أجرى تجاربه على عينات لغوية مختلفة وخلص إلى نتائج رقمية، ومما توصل إليه:

١- لا تنحصر كمية الحركات الطويلة في ضعف كمية الحركات القصيرة، بل تقع في ضعفها في مواطن، وتتجاوز ضعفها في مواطن أخرى، ونسبة زيادة كمية الحركات الطويلة عن ضعف كمية الحركات القصيرة أغلب وأشمل من نسبة حصرها في الضعف.

٢- تتفاوت كمية الحركات تبعاً لملامح الصوامت المجاورة وخاصة الصوامت اللاحقة وذلك من حيث الجهر والهمس والاستمرار والوقف والتضعيف وعدمه(٣).

إن ما ذهب إليه المحدثون في كمية الحركات الطويلة إلى مقابلاتها القصيرة فيه نظر، ويدعونا إلى القول أن كمية صوت المد الطويل تساوي أو يمكن أن تساوي ضعف القصير في حالة التجرد والانفراد. ولكن هذه الكمية لا يمكن أن تنطبق على هذه الأصوات في حالة مجاورتها للأصوات الأخرى فصوت المد يطول أو يقصر حسب ما يأتي بعده من أصوات، وطبيعة الصوت التالي هو الذي يحدد طول صوت المد.

ب - أسس تصنيف الحركات

لقد بالغ علماء اللغة المحدثون في نسبة الحركات إلى دانيال جونز فقد.

ذكر جواد محمد جواد النوري في ذلك : " يعد العالم اللغوي دانيال جونز من أوائل اللغويين الذين ابتكروا تصوراً لإمكانات الحركات في النطق الإنساني ولقد تمثل ذلك التصور فيما أطلق عليه، في مجال الدراسات اللغوية بالحركات المعيارية Cardinal Vowels. وقد وصل

---

(١) عبده، داود،(١٩٧٠)، دراسات في علم الأصوات العربية، الكويت: مؤسسة الصباح، ص٣١.

(٢) مالبرج، برتبل، علم الأصوات، ط١.

(٣) القرالة، زيد خليل ،(٢٠٠٤)، الحركات في اللغة العربية، اربد ، عالم الكتب الحديثة، ٢٥-٦٠ بتصرف.

هذا اللغوي إلى تصوره لهذه الحركات بالنظر إلى عضوين هامين في إنتاج الحركات وتكوينها، وهذان العضوان هما اللسان والشفتان"[١].

ويذكر إبراهيم أنيس أن " أول من عني بهذه المقاييس بروفسور " دانيال جونز" في جامعة لندن إذ استطاع بعد تجارب دقيقة وبحوث متواصلة أن يخرج لنا تلك المقاييس العامة لأصوات اللين"[٢].

إن دانيال جونز لم يكن له السبق في تحديد مفهوم الحركات بل ينسب له الجهد الواضح في تحديد منطقة الحركة عند إنتاجها حسب وضع اللسان والشفتين. وقد ورد هذا عند جل العلماء المحدثين.

لقد استطاع دانيال جونز بنظرته إلى موضع اللسان في الفم ونظرته إلى وضع الشفتين في أثناء النطق بالحركات أن يتوصل إلى وضع تسع حركات معيارية. يمثلها الشكل التالي[٣].

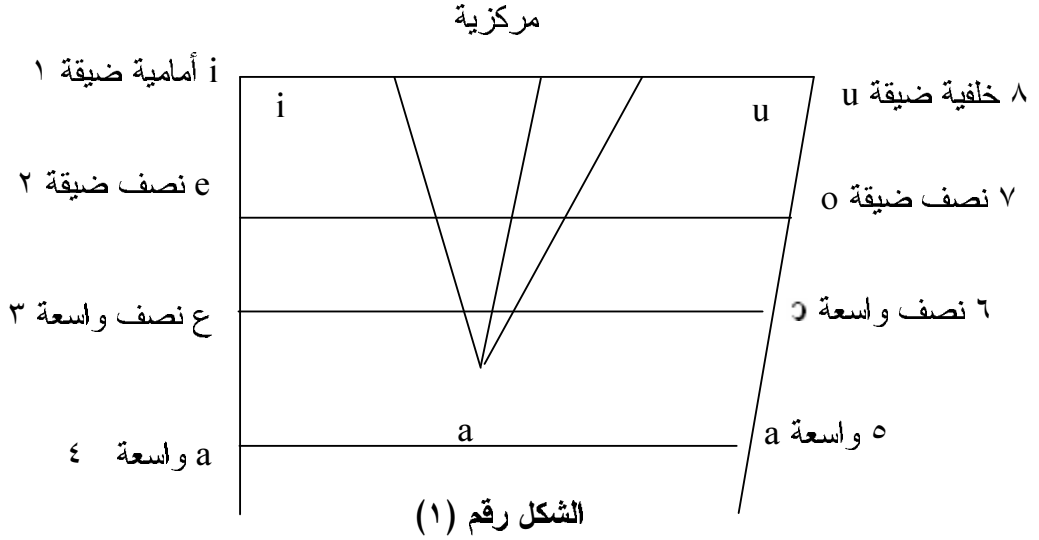

الشكل رقم (١)

يوضح هذا الشكل مواقع الحركات العربية التقريبية التي ترد عليها في جدول جونز، وهي داخل الشكل والمعيارية خارجه.

---

(١) النوري ، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص١٨٤ .

(٢) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ٣١.

(٣) النوري محمد جواد، علم أصوات العربية، ص١٨٧.

١- يتضح من الشكل السابق أن حركة الكسرة العربية هي أمامية ضيقة وهي الحركة رقم (١) في جدول جونز، وتختلف عن الحركة المعيارية بأنها أقل ضيقاً وأقل أمامية، ويكون مقدم اللسان عند النطق بها أقل ارتفاعاً منه مع المعيارية وتتجه أعلى نقطة في الجزء الأمامي من اللسان نحو الخلف قليلاً ويكون وضع الشفتين مع الحركات الأمامية منفرجاً مع تفاوت في نسبته.

٢- إن حركة الفتحة العربية هي حركة أمامية واسعة تقريباً، إلا أنها تختلف عن الحركة المعيارية الأمامية الواسعة وهي الحركة رقم (٤) في جدول "جونز" بأنها أقل اتساعاً وأقل أمامية، بمعنى أن أعلى نقطة في اللسان عند النطق بالفتحة العربية تكون قريبة من وسطه مع ارتفاع خفيف في هذا الجانب من اللسان وعلى هذا فإن حركة الفتحة العربية هي حركة أمامية ولكنها أقل اتساعاً من الحركة المعيارية رقم (٤)، أو الحركة المعيارية رقم (٥).

٣- إن حركة الضمة العربية هي حركة خلفية ضيقة إلا أنها تختلف عن الحركة المعيارية الخلفية الضيقة وهي الحركة رقم (٨). في جدول "جونز" بكونها أقل ضيقاً وأقل خلفية[١].

ويذهب جواد محمد جواد النوري إلى أن الحركة التي تصاحب أصوات القلقلة هي حركة مركزية يقول : " وتعد الحركة المصاحبة للحروف، التي اصطلح القدماء من اللغويين العرب على تسميتها بحروف القلقلة من قبيل الحركة المركزية"[٢].

إن ما قام به "جونز" في جدوله لا يتعدى موضع اللسان وشكله فقد أخذ أعلى نقطة للسان قبل أن يتصل بموضع نطق آخر خوفاً من أن يدخل في نوعية صوتية أخرى, وهي الصوامت، وتدرج في الحركات من فاصل الصامت إلى الانبساط في اللسان. ووضع هذه الحركات. فاللسان عند جونز لا يحد في نقطة ملزمة بل القلة والكثرة لها نصيب كبير في توصيف جونز.

علاوة على ذلك إن ما ذهب إليه محمد جواد النوري من اعتبار الصويت الذي يلحق حروف العلة من قبيل الحركة المركزية فيه نظر؛ لأن اللسان مع هذه الأصوات لا يتخذ موضعاً محايداً، فالحركات المركزية كما يعرفها محمد جواد النوري هي: " الحركات التي ترد غير منبورة في العادة ويتم إنتاجها عندما يكون اللسان في وضع محايد؛ أي عندما يكون في وضع

---

(١) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص ١٨٧-١٨٨ بتصرف.

(٢) المرجع نفسه، ص١٩٢.

مركزي متوسط غير مرتفع ولا منخفض، وكذلك فإنه، أي اللسان، لا يكون أمامياً ولا خلفياً "[١].

فاللسان مع أصوات القلقلة يتخذ أوضاعاً مختلفة تبعاً للصوت المنطوق من تلك الأصوات.

وقد أشار أحمد مختار عمر إلى اختلاف الحركات الطويلة عن القصيرة من حيث المواضع النطقية يقول: " العلل الطويلة : أفردنا العلل الطويلة عن القصيرة واعتبرنا كلاً منها فونيمات مستقلة لما يأتي:

أ- أن التقابل بين الحركات الطويلة والحركات القصيرة قد يؤدي إلى تغير المعنى أو الصيغة، ومعنى هذا أن كلاً منهما فونيم مستقل.

ب- أن الدراسة التشريحية أثبتت أن الخلاف بين العلل الطويلة والعلل القصيرة (منعزلة) ليس خلافاً في الكمية فقط، وإنما في الكيفية كذلك. فموقع اللسان مع إحدى العلتين المتقابلتين مختلف قليلاً كما يتضح من الرسم الآتي[٢]:

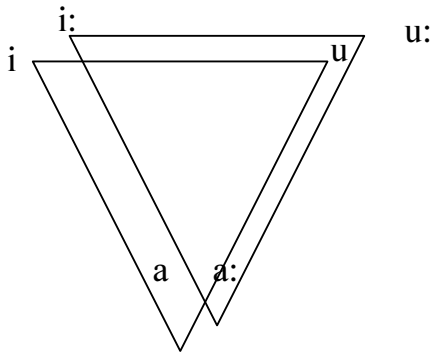

ويتضح من الشكل السابق تراجع عضلات اللسان للخلف، وارتفاعه للأعلى، في حال نطق الحركات الطويلة.

وهذه الحركات قد تأتي مفخمة، ومرققة وبين التفخيم والترقيق، حسب السياق الصوتي الذي تقع فيه كل حركة منها، وهذه التنوعات هي من قبيل الألوفونات ويمكن بيان ذلك من خلال هذا المخطط الحركي.

---

(١)المرجع نفسه، ص١٩٢.

(٢) عمر، أحمد مختار،(١٩٧٦)، دراسة الصوت اللغوي، ط١، القاهرة، عالم الكتب ، ص ٢٨٢-٢٨٣.

كسرة قصيرة :

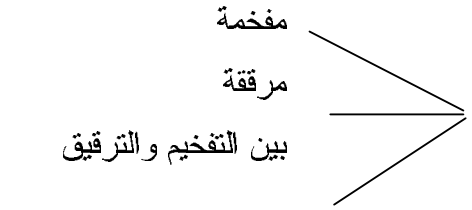

كسرة طويلة :

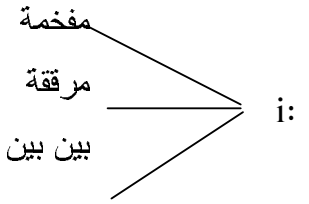

وهكذا تأتي الفتحة القصيرة والطويلة، والضمة القصيرة والطويلة . يتضح مما سبق أن اللغة العربية تشتمل على ثلاثة فونيمات للحركة القصيرة وهي: فونيم الفتحة القصيرة |a|، وفونيم الكسرة القصيرة |i| وفونيم الضمة القصيرة |u|. ومثلها في العدد للحركات الطويلة، وهي فونيم الفتحة الطويلة ويمكن أن يرمز لها بـ |a:|أو |aa| والكسرة الطويلة |ii| أو |i:| والضمة الطويلة |uu| أو | u:|.

وهذه الفونيمات الستة قد تتعرض بسبب السياق الصوتي إلى تنوعات نطقية فكل فونيم له ثلاثة تنوعات نطقية. أحد هذه التنوعات فونيم وهو النطق المرقق للحركة، لأن الحركة المفخمة ترد مع أصوات التفخيم الكلي وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء، والحركة ذات التفخيم المتوسط مع الصوامت ذات التفخيم الجزئي وهي:

الغين والخاء والقاف، وترد مرققة مع الصوامت الباقية. وهي الأكثر عدداً فالحركة تأخذ طابعها الوصفي من صيغة ورودها. فهي مع المرققة أكثر ما تكون لذلك عدت الحركة المرققة فونيماً وما تبقى من قبيل الألوفونات. فالحركات في العربية بحسب النطق الفعلي السياقي لها هي ثماني عشرة حركة قصيرة وطويلة، غير أنه من الناحية الفونولوجية أي من ناحية كونها قادرة على تغيير الدلالة فإن اللغة العربية تشتمل على ست حركات.

إن تحديد موضع نطقي للحركات كالصوامت أمر غير مقبول؛ لأنها لا تحدث من اعتراض يؤدي إلى احتكاك أو إغلاق يؤدي إلى انفجار، فالمواضع النطقية للحركات متداخلة فتيار الهواء المنتج لها يأتي من الرئة، والمصدر الرئيس في إنتاجها ووضوحها السمعي يتأتى من الوترين الصوتيين، واللسان بأوضاعه المختلفة، والحنك السفلي والشفاه, إضافة إلى اللهاة حيث تنبه لها عبد الرحمن أيوب يقول :" وتعمل اللهاة في إنتاج الحركات عملاً مهماً حيث تقوم بإغلاق الفراغ الأنفي ليستمر الهواء في مجراه الفموي"[١].

ولهذا توصف الحركات حسب ملامحها النطقية, وحسب الأعضاء النطقية العاملة في إنتاجها على النحو التالي:

---

(١) أيوب، عبد الرحمن،(١٩٦٨)، أصوات اللغة، ط٢،مصر: مطبعة الكيلاني، ص ١٨٥.

" ١- الكسرة |i| حركة أمامية مغلقة غير مدورة .

٢-الفتحة |a| حركة أمامية مفتوحة غير مدورة.

٣- الضمة |u| حركة خلفية مغلقة مدورة " [١].

وقام جواد محمد جواد النوري بتقديم وصف للحركات كما يأتي:

١- الكسرة العربية |i| حركة أمامية ضيقة غير مستديرة وترد هذه الحركة قصيرة وطويلة.

٢- الفتحة العربية |a| حركة أمامية أو خلفية، تميل إلى الاتساع ولا تكون الشفتان عند النطق بها في وضع استدارة، وترد هذه الحركة قصيرة وطويلة.

٣- الضمة العربية |u| حركة خلفية ضيقة مستديرة وترد هذه الحركة قصيرة وطويلة[٢].

ويبدو أن محمد جواد النوري خلط في وصفه للفتحة بين الفونيم والألفون لأن الوصف الفونيمي للفتحة أنها أمامية، أما وصفه لها بالخلفية فهو عند مصاحبتها للأصوات المفخمة فهي تنوع سياقي ألفوني.

ويقصد بالأمامية تلك الحركات التي تكون نقطة إنتاجها واقعة في الجزء الأمامي من الفم، والخلفية الحركة التي تقع نقطة إنتاجها في الجزء الخلفي من التجويف الفموي، والضيقة عندما يكون الانفتاح في الفم ضيقاً واللسان مرفوعاً نحو الجزء الأمامي أو الجزء الخلفي من سقف الحنك الأعلى بقسميه: الغار والطبق.

والواسعة وهي الحركات التي يتم إنتاجها عندما يكون اللسان في وضع منخفض في الفم والمستديرة و يراد بها الحركات التي يصاحب نطقها إستدارة في الشفتين وغير المستديرة عكس ذلك.

ج - الحركات المزدوجة Diphthong

يقصد بالحركات المزدوجة، تلك الحركة التي تقع ضمن مقطع واحد والتي يتغير نوعها Quality في أثناء إنتاجها، ومعنى هذا أن اللسان ينتقل في أثناء إنتاج هذه الحركة من موضع نطق حركة إلى موضع نطق حركة أخرى باستمرار ودونما توقف. فاللسان يتخذ في أثناء نطق الحركة المزدوجة وضعاً معيناً ثم ما يلبث أن يغيره إلى وضع جديد.

---

(١) استيتة، سمير،(١٩٨٨)، ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات جهاز مبتكر لقياسها، أبحاث اليرموك،مج٦، ع ١ .

(٢) ينظر النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص ١٩٢-١٩٦ بتصرف.

فالحركة المزدوجة بناء على ذلك هي " تتابع مباشر لصوتي علة، أي حركة يوجدان في مقطع واحد فقط " (١).

ويعرفها ماريوباي بأنها: " هي صوتا علّة ينطقان في فترة زمنية لا تكفي إلا لنطق صوت واحد فقط " (٢).

ويذهب محمد علي الخولي بأنها صوت يتكون من صائتين، أي حركتين بسيطتين أو صائت بسيط وشبه صائت أي شبه حركة أو نصف حركة متتاليين في مقطع واحد مثل (ay) في : bife و | aw| في cow (٣).

ويعرفها إبراهيم أنيس بقوله: " التقاء صوتي لين أحدهما مقطعي والآخر غير مقطعي ينتج عادة ذلك الصوت المركب الذي يسمى Diphthong"(٤).

" ويقصد بالصوت المقطعي: الحركات وهي التي تشغل موقع النواة في المقطع وتشمل الفتحة والكسرة والضمة قصيرة وطويلة. والصوت غير المقطعي: وهي الصوامت العربية وأشباه الصوامت أو أشباه الحركات " (٥).

وقد حاد إبراهيم أنيس عن جادة الصواب حين وصفها بصوتي لين، لأن صوتي اللين هما الواو والياء بوصفهما نصفي حركة أو أشباه الصوامت. ولكن يبدو أنه مازال ملتزماً بمصطلحات القدماء.

ويذهب عبد القادر عبد الجليل إلى أن ": من هذه العلل ما يكون بسيطاً Monophthong ومنها ما يكون مركباً Complex- vowel، والأولى حين تلتزم مقطعاً ثابتاً وهو ما يؤشر في النسبة الغالبة من الصوائت العربية، أما الثانية فإنها تتميز عند نسجها، بجملة من الانتقالات التكيفية من أجل البناء القيمي لها. إن ما يميز هذا النوع من العلل هو كونها ثنائية التركيب Diphthongs.ويوجد منها نوعان في العربية وهما (ay) و (aw) " (٦).

ويطلق عليها عبد الصبور شاهين مصطلح انزلاق حيث يقول :" إننا نفرق بين حالتين تقع فيهما كل من الواو والياء.الأولى: أن يكون الانزلاق نهاية مقطع مقفل مثل بَيْتٌ bay|tun وَقومُ qaw|mun .

---

(١) النوري، محمد جواد،: فصول في علم الأصوات، ص ٢٥٦.

(٢) باي ماريو، أسس علم اللغة، ص ٢٥٦.

(٣) الخولي، محمد علي،(١٩٨٢)، معجم علم اللغة النظري ، ط ١ ، بيروت، مكتبة لبنان، ص ٧٥

(٤) أنيس ، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ١٦١.

(٥) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص ٢٢٣.

(٦) عبد الجليل، عبد القادر، علم اللسانيات الحديثة، ص ٣١٩.

والثانية : أن تكون بداية مقطع مثل: واعد waa|cid ، وياسر yaa|sir فالحالة الأولى تؤكد الخاصة الحركية للصوتين، وهو ما يسمى بالمقطع الهابط.
والحالة الثانية: تبرز الخاصة الصامتية لهما وهي ما يسمى بالمقطع الصاعد "[١] .

إن ما ذهب إليه عبد الصبور شاهين هو تعريف للمقطع الهابط الذي يبدأ بحركة ثم ينتقل اللسان إلى موضع نصف الحركة. أما المقطع الصاعد فهو أن يبدأ بنصف حركة ثم ينتقل اللسان إلى النطق بالحركة . فهذا يوضح الخاصية السمعية للحركة ويبين بنية المقطع.

ويقسمها المحدثون إلى قسمين: حركة مزدوجة صاعدة، وحركة مزدوجة هابطة.

يقول إبراهيم أنيس: " وإذا كان المقطعي منها أولاً سمي أل (Diphthong) هابطاً (Falling) وهو الشائع في اللغة الإنجليزية. وأما إذا كان غير المقطعي هو الأول سمي أل (Diphthong) صاعداً (Rising) . وتشمل اللغة العربية على النوعين فالهابط مثل بيْت والصاعد مثل يُسر، وقد مالت العربية في تطورها إلى التخلص من النوع الأول ، فقد انقلب في معظم اللهجات العربية الحديثة، إلى صوت لين طويل، كما في نطق المصريين الآن لكلمتي (بيت وحوض) " [٢].

وقد ورد مثل هذا التصنيف عند محمود السعران حيث قال: " فقد تصنف إلى حركة صاعدة Rising Diphthong وأخرى هابطة Falling Diphthong ، فتكون صاعدة إذا كان طرف الحركة الثاني أكثر وضوحاً في السمع من طرفها الأول، أما إذا كان طرفها الأول هو أكثر وضوحاً في السمع من طرفها الثاني فإنها عندئذ تكون حركة هابطة"[٣].

وذكر محمد جواد محمد جواد النوري أن " الحركة المزدوجة المكونة من فتحة قصيرة + ياء (نصف حركة) مثل: بيت، والحركة المزدوجة المكونة من: فتحة قصيرة+ واو(نصف حركة). مثل لوْن، قد تعرضتا في معظم اللهجات العربية للتطور، فتحولت الحركة الأولى (ay) إلى كسرة طويلة بسيطة ممالة نحو: بيْت > بيت bayt > be:t وكذلك تحولت الحركة المزدوجة الثانية إلى ضمة طويلة بسيطة ممالة نحو:لوْن > لون Lawn > Lo:n " [٤].

إن الصيغة النظرية المفترض وجودها لهذين النوعين – أي الصاعدة والهابطة– هي:

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص ٣١-٣٢.
(٢) أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص١٦١.
(٣) السعران، محمود، علم اللغة، ص ٢٠٤.
(٤) النوري، محمد جواد ، فصول في علم الأصوات ، ٢٥٩.

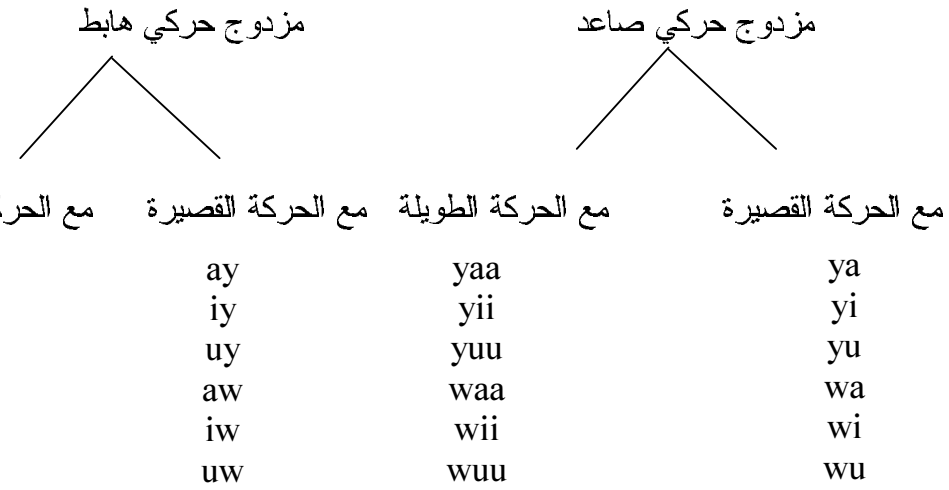

غير أن الشايب يرى أن العربية تبقي من بين هذه المزدوجات:

١-الصاعدة (ya) و (wa) أما المزدوجات الأربعة الباقية فقد التزمت بالمخالفة بين عنصري كل منهما إذا وقعت في حشو الكلمة، وخصوصاً في الأفعال. ولكنها تبقي عليها إذا كانت في بداية الكلمة بشكل عام نحو: وجد، وشاح، يناضل ، يسار، يعار[١].

٢- الهابطة: يقول الشايب " لم تبق العربية إلا اثنتين منهما وهما (aw) و (ay) والتزمت بالمخالفة بين عنصري المزدوج من الأنواع الأربعة الباقية " [٢].

ويرى رمضان عبد التواب أن " انكماش الأصوات المركبة المسماة باللاتينية Diphthong ظاهرة من ظواهر السهولة والتيسير في اللغة فتحول الصوت المركب:

(aw) إلى ضمة طويلة ممالة (ō) في مثل كلمة: " يوم" ونوم وصوم بدلاً من يَوْم نَوْم وصَوْم.

وكذلك تحول الصوت المركب: (ay) إلى كسرة طويلة محالة (é) في مثل نطقنا لكلمة: "بيت"

---

(١) ينظر الشايب، فوزي،(٢٠٠٤)، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ، اربد ، عالم الكتب الحـــديث، ص٤٢٣.

(٢)المرجع نفسه، ص ٤٠٩.

و"ليل" بدلاً من بَيْت وليْل كل ذلك سببه إيثار اللغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات"[١].

إن الحركة المزدوجة عبارة عن صوتين يقعان متتاليين، وأن النطق بهذين الصوتين يستدعي انتقالاً للسان من موضع النطق بحركة إلى موضع النطق بحركة أخرى، ولا شك أن آلية النطق والانتقال لهذا النوع من الأصوات يعد أمراً صعباً ولهذا تعرضت بعض أنواع الحركة المزدوجة إلى التطور الصوتي وخاصة في اللهجات العربية كما مرّ سابقاً [٢].

لقد اختلف المحدثون وتباينت آراؤهم في ماهية هذا المركب، من جهة وفي وجوده في العربية من جهة أخرى يقول أحمد مختار عمر: " هل يوجد هذا النوع من العلل في اللغة العربية؟ سبق أن ذكرنا العلة المركبة تقتضي انتقال اللسان أثناء النطق بها من موقع نطق علة إلى موقع نطق علّة أخرى، وأن العلماء اختلفوا في تحليلها.

أ- فمنهم من اعتبرها علّة واحدة تقوم بوظيفة فونيم واحد.

ب- ومنهم من اعتبرها تتابعاً من العلل المنفصلة.

ج- ومنهم من اعتبرها علة + نصف علّه يقوم فيها نصف العلة بوظيفة الصوت الساكن" [٣]

أما عن وجود الحركة المزدوجة في العربية فيقول :" إذا أردنا بوجود مجرد إمكانية العثور في بعض الأمثلة أو الكلمات بغض النظر عن دوره الوظيفي في اللغة، أو فسرنا العلة المركبة بأحد التفسيرين : ب أو ج السابقين فهذا النوع موجود ولا شك، فاللغة تحوي التتابع (ay) و (aw) " [٤]

وهذا ما يذهب إليه عبدالرحمن أيوب، قال " وفي العربية كلمات توجد فيها حركات مزدوجة، ولكن من الأوفق عند الدراسة التنظيمية اعتبار كل منهما صوتين منفصلين، بالرغم من أنها من الناحية الوصفية البحتة لا تفترق عما نسميه في اللغة كالانجليزية بالحركات المزدوجة ومثال ذلك في العربية "أو" و" أي"[٥]

وأنكر كمال بشر أن يكون في حوْض وبيت حركة مزدوجة. قال: وقد وهم بعض الدارسين فظن أن الواو والياء في حوْض وبيت جزءان من حركة مركبة diphthong، وهو

---

(١) عبد التواب، رمضان، (١٩٩٧)،التطور اللغوي مظاهرة وعلله وقوانينه، ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص ٧٨-٧٩.

(٢) ينظر، النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ٢١٩، بتصرف.

(٣) مختار, أحمد عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٠٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٥) أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، ص ١٧٢.

وهم خاطئ ولا شك، إذ الحركة المركبة وحدة واحدة one unit والموجود في حوض وبيت ليس وحدة واحدة وإنما هناك وحدتان مستقلتان هم الفتحة + الواو في حوض، والفتحة + الياء في بيت"(١)

إن ما ذهب إليه اللغويون في توصيف هذه الحركة فيه شيء من عدم الدقة, لأن آلية نطق هذين الصوتين فيها انتقال من موضع الحركة إلى نصف الحركة أو من موضع نصف الحركة إلى الحركة فالانتقال الأول فيه صعوبة لأنه انتقال من سهل إلى صعب أما الانتقال الثاني أي من نصف الحركة إلى الحركة نجده أسهل على الناطق لأنه انتقل من الصعب إلى السهل. ولا أجد فيها تركيباً وإنما انتقال نطقي. ويبدو أن هؤلاء العلماء قد تأثروا بعلماء اللغة الغربيين حتى أنهم تعاملوا مع قسرية اللغة.

وذهبوا إلى وجود حركة مزدوجة في اللغة العربية قياساً على اللغات الغربية كالإنجليزية مثلاً. غير أن توصيف عبد الصبور شاهين لها بالمقطع الهابط والمقطع الصاعد أكثر دقة من وصفها بالحركة المزدوجة؛ لأن النسيج المقطعي للغة العربية لا يبدأ بحركة، فكلمة مثل يدع |ya|dac نلاحظ أن المقطع الأول منها مكون من نصف حركة + حركة.

ولو اعتبرنا أن هذين الصوتين حركة مزدوجة لأصبح المقطع مكوناً من حركة وهذا ما لا تقبله العربية. ويتنافى مع القيود المقطعية للغة العربية التي تمنع الابتداء بحركة.

وكذلك بوصف المقطع الأول في كلمة لوْن Law |nun بأنه مقطع مغلق ولا نستطيع أن نصفه بالمفتوح لأنه أقفل بنصف حركة . ولو كانت (aw) حركة لأصبح المقطع مفتوحاً.

إن الحركة المزدوجة لا تتعدى كونها صوتاً انتقالياً، بمعنى أن اللسان ينتقل من موقع نطق الحركة إلى مخرج نصف الحركة أو العكس. فهي ليست من موقع واحد ولا يرى الباحث فيها الصفات المميزة للحركة. لأنها لا تشغل قمة المقطع برمتها بل الجزء الصائت منها هو الذي يشغل ذلك الموقع, والجزء الثاني منها ينطبق عليه الخصائص الصوتية والوظيفية للصامت, من حيث إشغاله موقع المطلع أو الخاتمة في المقطع. ولو كانت حركة لاعتبرت صوتاً واحداً، وهذا الصوت لا يكوّن مقطعاً وحده؛ لأن النسيج المقطعي يمنع أن يتكون المقطع من صوت واحد. يقول عبد الصبور شاهين: " ولم تعرف العربية مقطعاً يتكون من صوت واحد، صامت أو حركة" (٢).

---

(١) بشر، كمال، علم اللغة العام- الأصوات – ص ٨٥.

(٢) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص ٤٢.

ويبدو أن علماء اللغة المحدثين وصفوا هذا التركيب بالحركة المزدوجة أو المركبة لأنها تحولت في اللهجات العامية إلى حركة بسيطة ممالة. والنطق العامي أو البيئات النطقية المختلفة لا تعطي الملامح التميزية لمكونات اللغة الفصحى, فتحول نصف الحركة+ الحركة إلى حركة بسيطة مغايرة للجزءين، لا يعني هذا أنها حركة مركبة تحولت إلى حركة بسيطة، وإنما هذا التحول كان سببه –كما يبدو– السهولة في النطق, والاقتصاد في المجهود العضلى الناتج عن الانتقال. أو الطبيعة الانتقالية من الحركة إلى نصف الحركة أو العكس.

د – أصوات اللين عند المحدثين

تميز المحدثون عن القدماء في التفريق بين أصوات المد (الحركات الطويلة) وأصوات اللين (و،ي) بوصفهما نصفي حركة.

يقول إبراهيم أنيس: " هناك صوتان بين الأصوات اللغوية يستحقان دائماً أن يعالجا علاجاً خاصاً؛ لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه مع أصوات اللين ، ومع هذا فقد دلت التجارب النطقية على أننا نسمع لهما نوعاً ضعيفاً من الحفيف وهذان الصوتان هما ما اصطلح علماء العربية على تسميتهما بالياء والواو في مثل بيت ويوم" (١).

وقد خلط إبراهيم أنيس شأنه شأن القدامى من علماء اللغة بين اللين والمد. وقد عنى بقوله أصوات اللين الحركات الطويلة (حروف المد) ويمكن أن يعزى هذا الخلط إلى البواكير في الدراسات الصوتية الحديثة التي ما زالت متأثرة بمصطلحات القدامى.

ويذهب عبد الصبور شاهين إلى اعتبارهما تتابع حركات يقول: " ويبقى من أصوات الهجاء التي عرفتها العربية صوتان هما: الواو والياء، أو حرفا العلة كما يقال، وهما من الناحية الصوتية نتيجة تتابع الحركات المختلفة طويلة أو قصيرة، فإذا تتابعت حركتان الفتحة والكسرة هكذا: a + i ← y

وإذا تتابعت حركتان الفتحة والضمة هكذا: a + u ← w

أي أن الانزلاق بين الحركتين المختلفتين هو في الحقيقة ما يسمى بالياء والواو "(٢) .

يشير كلام عبد الصبور شاهين إلى أن الياء مزيج من حركتين قصيرتين متباعدتين والواو كذلك ولكنهما يشتركان في المكون الأول وهو الفتحة القصيرة. أي أن الياء في رأيه مزيج من موقعين: موقع الفتحة وانزلاقها باتجاه الكسرة، والواو مزيج من موقع الفتحة باتجاه الضمة، فإذا كان هذا الكلام صحيحاً؛ فماذا ينتج عن تتابع الكسرة مع الفتحة أو الضمة مع الفتحة ؟ هل ينتجان الصوتين نفسهما؟

إن معالجة هذين الصوتين منفردين يكمن في طبيعة إنتاجهما فعند النطق بالياء نلحظ أن اللسان يكون تقريباً في موضع النطق بالكسرة القصيرة غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة نطق الكسرة القصيرة فنسمع له ذلك النوع

---

(١) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٤٢.

(٢) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص ٣٠ .

الضعيف من الحفيف وكذلك الواو لا فرق بينها وبين الضمة القصيرة إلا في أن الفراغ بين أقصى اللسان، وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو أضيق منه في حالة النطق بالضمة [١].

وينفي كمال بشر الطبيعة الانزلاقية لهذين الصوتين يقول: " إن الواو والياء في هذا الموقع ونحوه ليستا جزءين من حركتين (ولا حركتين بالطبع)، بل هما صوتان صامتان Consonants أو ما يسميان بالاسم (أنصاف حركات) لشبههما الواضح بالحركات في النطق. وهذا الذي ندعيه مبني على أساس الخواص النطقية والوظيفية للصوتين... والحكم بأن الواو والياء في نحو حوض وبيت جزءان من حركة مركبة خطأ مشهور وقع فيه المستشرقون منذ زمن طويل " [٢].

وبين محمد جواد النوري آلية إنتاج هذين الصوتين بقوله: " ويقصد بها تلك الأصوات التي يكون التضييق، الذي بواجهة تيار الهواء ، عند إنتاجها، ضئيلاً، بيد أن نسبة هذا التضييق تكون أقل من نسبته عند إنتاج الصوامت، وأكثر من نسبته عند إنتاج الحركات. أو هي الأصوات التي تقوم بدور صامت، ولكن تنقصها بعض الخصائص الفوناتيكية المرتبطة بالصوامت، مثل : الاحتكاك ،والانغلاق ويشمل ذلك صوتي الواو والياء في نحو : ولد، ويلد"[٣].

ويذكر عبد القادر عبد الجليل وظيفة هذين الصوتين بقوله : " أما أشباه الصوامت (أنصاف الصوائت) في اللغة العربية فهما الصوتان (الواو)، و(الياء) فكما هو معلوم أن الواو صوت ورمز

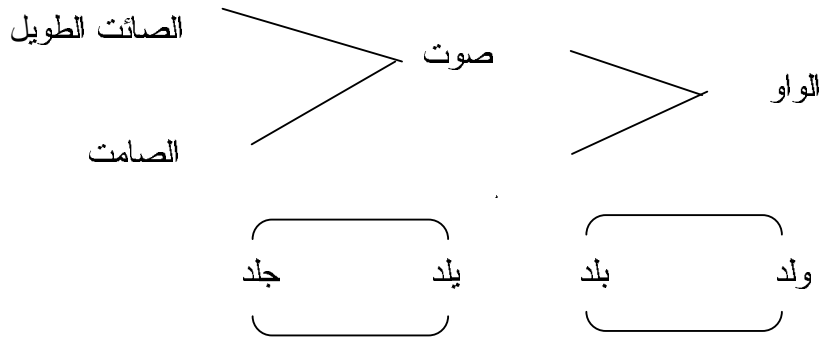

(١) ينظر: أنيس ، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٤٢.

(٢) بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، ص ٧١-٧٢.

(٣) النوري، علم أصوات العربية، ص١٣٢.

الثاني: موقع الصوائت الطويلة لتقوم بوظيفتها في تشكيل معالم الدلالة، وتبادل الموقع"[١]:

ويذهب محمد جواد محمد جواد النوري إلى أن الفرق بين هذين الصوتين والحركات الصرفة في طبيعة تيار الهواء المنتج لهما. يقول: " ومن المعلوم في الدرس الصوتي، أن الواو (w) والياء(y) تشتركان مع الحركات الصرفة vowels، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، في الملمح التقاربي، Approximant feature، ويقصد بهذا الملمح اقتراب عضو نطق من عضو نطق آخر دون أن يصل هذا التقارب بينهما حد الاحتكاك ويطلق بعض اللغويين على هذا النوع من الأصوات مصطلح الصوت المستمر غير الاحتكاكي.

بيد أن الفارق بين نصفي الحركة الواو والياء من جهة والحركات الأخرى من جهة أخرى، يكمن في أن ممر الهواء في القناة الصوتية في أثناء إنتاج الأصوات الأولى يكون أقل اتساعاً من الوضع الذي يكون عليه ذلك الممر في أثناء إنتاج الحركات، ولكن الجامع بين هذين النوعين من الأصوات. هو أن مجرى الهواء في أثناء عملية الإنتاج الصوتي يكون أكثر انفتاحاً واتساعاً مما هو عليه في أثناء الصوامت الاحتكاكية " [٢].

وقد اهتم أحمد مختار عمر بإبراز دور الواو كنصف علّة، وكعلة، وكذلك صوت الياء كنصف علة، وكعلة، وقد رصد ثلاثة فروق هي:

أ – قلة وضوح الأولى بالنسبة للثانية.

ب– ضيق المجرى مع الأولى بالنسبة للثانية، ولذا فكما ألحقها بعضهم بالعلة واعتبرها نصف علة (Semi-vowel)ألحقها بعضهم بالساكن، واعتبرها نصف ساكن (Semi- consonant).

ج– الخواص الوظيفية لكل منهما مختلفة عن الأخرى، فالواو، والياء كنصفي علّة تقومان بدور الأصوات الساكنة وتقعان موقعها تماماً في التركيب الصوتي اللغة العربية "[٣].

فالواو والياء في العائلة الصوتية العربية تقعان ضمن الصوامت بما فيها من تضييق في مجرى الهواء المنتج لهما، ولكنه لا يصل إلى حد الاحتكاك التام. وتتبادل مع الصوامت في الموقع حيث يبدأ بهما المقطع الصوتي في العربية، وهذا دليل على صامتية كل منهما. وتشبهان

---

(١) عبد الجليل ، عبد القادر، علم اللسانيات الحديثة، ص ٣٢٦–٣٢٧، والأصوات اللغوية، ص١٠٨.

(٢) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٢٣.

(٣) مختار، أحمد عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٣٠.

الحركات الطويلة من حيث آلية مرور تيار الهواء المنتج لها إذ لا يحدث احتكاك في أثناء إنتاجها.

ثالثاً: حروف المد واللين بين القدماء والمحدثين

من المفاهيم الشائعة لدى القدماء "أن حرف المد هو حرف العلة الساكن المسبوق بحركة من جنسه مثل الألف في قام وسار وكتاب، والواو في نور، وسوق، وعجوز، والياء في دين وسعيد وعرين، وحرف اللين هو الواو أو الياء الساكنتان المسبوقتان بفتحة مثل الواو في حوْض، والياء في بيْت " [١]، وقد جمع القدماء بين حروف المد واللين في مجموعة صوتية واحدة، على الرغم من التفريق النظري بينهما ، وملاحظة أن الحروف اللين تتصرف كالحروف الصحيحة في مواضع متعددة. وقد نص سيبويه في باب الوقف في الواو والياء والألف على أن " هذه الحروف غير مهموسات وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها " [٢] .

ونلحظ أن سيبويه جمع بين الألف والواو والياء، وأسقط عليها الصفات نفسها، وأطلق عليها مداً ولياً مع عدم التفريق بين خاصية المد وخاصية اللين. ويذكر في موضع آخر: " وإذا كانت الواو قبلها ضمة، والياء قبلها كسرة فإن واحدة منها لا تدغم إذا كان مثلها بعدها. وذلك قولك: ظلموا واقداً وأظلمي ياسراً ... وإنما تركوا المد على حاله في الانفصال، كما قالوا: قد قوول حيث لم تلزم الواو وأرادوا أن تكون على زنة قاوَل، فكذلك هذه ، إذا لم تكن الواو لازمة لها، أرادوا أن يكون ظلموا على زنة ظلما واقداً وقضى ياسراً " [٣].

وكلام سيبويه السابق يدل على أنه فرق بين المد واللين ، ومنع الإدغام حرصاً على خاصية المد في الواو والياء. وجعلهما مثل الألف، والألف لا تكون إلا حرف مد (فتحة طويلة). لم يكن القدماء يميزون بين اللين والمد، وخلطوا بين المصطلحين، وساووا بينهما ومن الأمثلة على هذه المساواة ما ورد عند سيبويه حيث يقول :" ... ولا يكون هذا في زيْد وعوْن ونحوهما لأنهما حرفا مد... وكذلك الألف" [٤].

---

(١) عبابنة، جعفر، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، ص ٤٦.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|١٧٦.

(٣) المرجع نفسه، ٤|٤٤٢.

(٤) المرجع نفسه، ٤|١٧٦.

وقد أطلق ابن جنى اللين على حروف المد يقول: " ... وذلك أنهم أجروا فعولة مجرى فعيلة لمشابهتما إياها من عدة أوجه ... ثم إن ثالث كل واحدة منهما حرف لين، يجري مجرى صاحبه"(٥)

والواو والياء في قول ابن جنى هما حركتان طويلتان . أو حرفا مد.

ويذكر جعفر عبابنه " بل حاول بعض العلماء تصنيف الألف على أنها حرف مدولين معاً؛ لأنها ساكنة مسبوقة بحركة من جنسها، وساكنة مسبوقة بفتحة. وهذا قول غير صحيح بتاتاً، ومبني على استدلال منطقي لا على الحقائق الصوتية نفسها، فالألف من حيث طبيعتها الصوتية لا تكون إلا حرف مد أي حركة طويلة خالصة " (١) .

وثمة خلاف بين القدماء والمحدثين في النظرة إلى حروف المد واللين، فالمحدثون ينكرون أن تسبق حروف المد بحركات من جنسها، لأن حروف المد حركات. يقول إبراهيم أنيس: " ولكن القدماء ضلوا الطريق السوّي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد، فقالوا مثلاً إن هناك فتحة على التاء في كتاب، وكسرة تحت الراء في كريم، وضمة فوق القاف في يقول والحقيقة أن هذه الحركات في الحقيقة لا وجود لها في تلك المواضع ... ويظهر أن الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع الفتحة على التاء والكسرة تحت الراء والضمة فوق القاف قد جعل القدماء يتوهمون وجود حركات قصيرة في هذه المواضع " (٢).

إن ما ذهب إليه إبراهيم أنيس من أن الكتابة سبب في هذا الوهم ليس فيه شيء من الدقة؛ لأن الكتابة العربية وصفت الظاهرة حسب ما اعتقد علماء اللغة، فليست اللغة سبباً في هذا الوهم، وإنما الاعتقاد لدى علماء اللغة القدامى هو ما جعلهم يضعون الرمز الكتابي.

ويذكر كمال بشر:" أما أن هذه المدات مسبوقة بحركات من تجانسها فهو وهم لا أساس له من الصحة؛ ليست هناك حركات سابقة أو لاحقة وإنما المدات نفسها هي الحركات وهي الحركات الطويلة " (٣).

وما ذهب إليه المحدثون ينسجم مع القوانين المقطعية للغة العربية فالنسيج المقطعي للغة العربية يمنع أن تتوالى حركتان في المقطع الواحد، والمقصود بالحركتين هنا القصيرة

---

(٥) ابن جني، الخصائص، ١/١١٥.

(١) عبابنه، جعفر، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، ص٤٧.

(٢) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٣٩.

(٣) بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، ص٢٠١.

المتوهمة + الحركة الطويلة الحقيقية، فلا نستطيع أن نقول كتاب ki|taaa| bun فالمقطع الثاني لا وجود له في اللغة العربية فلا بد من وجود ساكن يفصل بين الحركتين.

وقد نص على هذا عبد الصبور شاهين حيث قال: " ... فالقاف في قال والميم من رمى- كلا الحرفين محتمل لحركة تسبق الألف، وهو خلط لا تقبله الدراسات الحديثة؛ لأن القاف متحركة بالفتحة الطويلة بعدها وكذلك الميم، وإذا كانت الفتحة الطويلة التي أخذت هنا صورة الألف تساوي فتحتين قصيرتين، فليس بمعقول أن تسبقهما فتحة ثالثة؛ لأننا ننطق في الواقع فتحتين اثنتين لا غير" (١).

ومن أوجه الخلاف بين القدماء والمحدثين سكون حرف المد، إذ إنها حركات والحركة لا تكون ساكنة؛ لأن الحركة ضد السكون وقد نص على ذلك كمال بشر حيث يذكر: " إن علماء العربية جروا على التوسع في مفهوم الكلمة (ساكن أو ما بإطلاق- خطأ- على حروف المد) (الألف والواو والياء) أو ما يسمى الحركات الطويلة وهذا – كما ترى – إطلاق مضلل.... لا يصح بحال إطلاق اسم الساكن عليها في أي موقف كانت "(٢).

ويفصل المحدثون الواو والياء اللينتين عن سائر حروف المد، ويلحقونها من حيث النوع بالواو والياء المتحركتين مستندين بذلك إلى فروق أساسية بين حروف المد من ناحية، والواو والياء المتحركين أو اللينتين من ناحية أخرى، فحروف المد لا يصاحب نطقها أي احتكاك أو اعتراض لمجرى الهواء ولا تفتح المقاطع ولا تغلقها، ويسمى المقطع المنتهي بها مفتوحاً، ولا تكون من حروف المادة الأصلية.

أما الواو والياء اللينتان، أو المتحركتان (نصفا الحركة) فيرافق نطقهما احتكاك ما، أي نوع ضعيف من الحفيف، وتفتتحان المقاطع وتغلقانها، فالواو المتحركة في (وَقف) wa|qa|fa تفتح مقطعاً، والواو الساكنة في (موْقف) ، maw|qif تغلق قطعاً " (٣).

والمقطع العربي يجب أن تكون قمته أو نواته عنصراً حركياً أما الواو والياء اللينتان لا يمكن لهما أن تكوّنا قمة المقطع، والمقطع هو: " نمط أدنى من التجمعات الفونيمية، تقوم فيها وحدة الحركة بدور النواة، وتكون مسبوقة ومتلوة بوحدة صامتية أو تجميع صامتي ممكن الوقوع"(٤).

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٣٥.

(٢) بشر، كمال: دراسات في علم اللغة ، حاشية (١) ص٥٥.

(٣)عبابنة، جعفر، التقاء الساكنين، ص٤٨.

(٤)النوري،محمد جواد، فصول في علم الأصوات، ص١٦٦-١٦٧.

ويذكر عبابنة أنه " لا بد لكل مقطع من عنصر صائت يشكل قمته أو نواته وهو الجزء الذي يحمل أقصى التوتر فيه، فلا يقوم بهذه الوظيفة في العربية إلا حركة قصيرة أو حركة طويلة (أي حرف مد)، ولا تقوم الواو أو الياء اللينتان أو المتحركتان بهذه الوظيفة على الرغم من شبههما بالحركات لاتساع مخرجهما "[١].

إن حروف المد عند المحدثين حركات طويلة خالصة، فالألف هي الفتحة الطويلة وواو المد هي الضمة الطويلة وياء المد هي الكسرة الطويلة، وذلك بسبب الطبيعة الإنتاجية لهذه الأصوات، حيث يخرج تيار الهواء المنتج لها دون أن يتعرض لأي تضييق أو أيّة إعاقة تعيق تيار الهواء المنتج لها. فيخرج حراً طليقاً.

غير صوتي اللين والواو (w) والياء (y) في عملية إنتاجهما يرتفع اللسان في نقطة للياء شبه الحركة يؤدي إلى سماع احتكاك ضعيف، وفي الواو شبه الحركة تنضم الشفتان بدرجة أكثر من انضمامها في نطق واو المد (الضمة الطويلة) (uu) ويتراجع اللسان ويرتفع مؤخره لدرجة وقوع الاحتكاك الخفيف.

لذلك تقع الواو والياء اللينتان أو المتحركتان موقعاً فريداً في النظام الصوتي العربي، فهي تحمل من الصوامت صفة الاحتكاك وتكون من أصول الجذر، وتفتتح بها المقاطع وتقفلها، علاوة على أنها تقبل الحركة والسكون، وتشبه الحركات باتساع مخرجها.

ويذكر جعفر عبابنة: " أن المحدثين لا يقبلون كثيراً من حجج القدماء والأسس التي انطلقوا منها في بعض معالجاتهم الصرفية مثل مساواتهم في النظرة بين حروف المد واللين ، ومثل القول بأن حروف المد ساكنة، وأنها مسبوقة بحركات من جنسها "[٢].

لقد خلط القدماء في توصيف أصوات المد واللين، وبناء على ذلك خلطوا في تفسير بعض السلوكات الصرفية، بسبب عدم تفريقهم بين هاتين المجموعتين الصوتيتين. فالواو والياء في الدرس الصوتي الحديث تنضام إلى مجموعتين صوتيتين: الأولى وهي الحركات الطويلة كما في يدعو ويقضي، والثانية هي: أنصاف الحركات كما في بيْت ولوْن، ووَعد، ويعد ولكنهما من جيث الوظيفية ينضمان إلى الصوامت. أما من ناحية صوتية فهي تشبه الحركات ولكنها أقل وضوحاً في السمع من الحركات؛ بسبب ذلك التضييق المصاحب لإنتاجها، ومن ناحية وظيفية (فونولوجية) تقوم بدور الصامت من حيث النسيج المقطعي للغة العربية.

---

(١) عبابنة، جعفر، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، ص٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٥١.

الفصل الثاني

قواعد الإبدال والإعلال عند القدماء

أولاً: قواعد الإبدال عند القدماء

قبل أن نتناول قواعد الإبدال في التراث اللغوي ، نرى من الضروري بيان المقصود بهذا المصطلح أي الإبدال– فقد ارتبط هذا المصطلح عند القدماء بمصطلح آخر شبيه به وهو مصطلح الإعلال، غير أن هناك فرقاً واضحاً بين المصطلحين، فالإعلال وهو جزء من الإبدال، ويختص بإبدال أحرف العلة والهمزة عند جل العلماء القدامى. أما الإبدال فهو مصطلح أعم من الإعلال لأنه يشتمل على إبدال ما هو معتل وما هو صحيح فكل إعلال إبدال وليس العكس.

أ- تعريف الإبدال:

ويعرف الإبدال بأنه: " جعل حرف مكان حرف غيره "[١].

أو هو: " إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة "[٢].

ويعرفه الخضري بقوله : " جعل حرف مكان آخر مطلقاً، فيشمل القلب لأن كلاً منهما تغيير في الموضع إلا أن القلب خاص بحروف العلة والهمزة، والإبدال عام"[٣].

ويشير الحملاوي إلى تعريف الإبدال بقوله :" جعل مطلق حرف مكان آخر، فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب لاختصاصه بحروف العلة"[٤] .

ويمكن تعريف الإبدال بأنه جعل حرف مكان آخر لسبب ظاهر حسب ما يقرره السياق والنظام اللغوي، ما بين القواعد الصوتية، والظواهر الموقعية من خلال البنى المختلفة.

إن ما يعنينا في هذا الموضوع هو قواعد القدماء في الإبدال، وليس حروف البدل عند القدماء؛ لأنها تجمع بين القاعدة والشاذ واللهجات. وفيها خلط بين الإبدال من أجل الإبدال، وبين الإبدال من أجل الإدغام، وبين الإبدال اللهجي. وهذا ليس من قواعد الإبدال بشيء.

وقد خلط القدماء بين الإبدال القاعدي والإبدال اللهجي من جهة، وبين حروف البدل من جهة أخرى، وخاصة في ضمهم الهمزة مع حروف العلة. ويفضل الباحث إرجاء قواعد إبدال الهمزة من حروف العلة إلى قواعد الإعلال، خوفاً من التكرار فقد أ وردها القدماء ضمن باب إبدال الحروف وضمن قواعد الإعلال. فجاء الحديث فيها مكروراً.

---

(١) الإستراباذي، شرح الشافعية، ٣|١٩٧.

(٢) اللغوي، أبو الطيب(١٩٦٠)، الإبدال في كلام العرب، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، ص٩.

(٣) الخضري، محمد،(١٩٤٠)، حاشية الخضري، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ٢|١٩٠.

(٤)الحملاوي ، محمد، شذا العرف في فن الصرف، ص١٤٣.

ب- قواعد الإبدال عند القدماء:

١- إبدال التاء من الواو:

يذكر سيبويه في باب ما يلزمه بدل التاء من هذه الواو. يقول: " وذلك في الافتعال، وذلك في قولك : متّقد ومتّعد، واتّعد واتّقد، واتّهموا في الاتقاد والاتّعاد، من قبل أن هذه الواو تضعف ههنا، فتبدل إذا كان قبلها كسرة وتقع بعد مضموم وتقع بعد الياء. فلما كانت هذه الأشياء تكتنفها مع الضعف الذي ذكرت لك، صارت بمنزلة الواو في أول الكلمة وبعدها واو في لزوم البدل، لما اجتمع فيها، فأبدلوها حرفاً أجلد منها لا يزول، وهذا كان أخف عليهم"(١).

وورد مثل هذا القول عند ابن جنى حيث يقول: " فأما ما تقيس عليه لكثرته ، فافتعل وما تصرف منه إذا كانت فاؤه واواً، فإن واوه تقلب تاء وتدغم في تاء افتعل التي بعدها وذلك نحو: اتّزن أصله أو تزن، فقلبت الواو تاء، وأدغمت في تاء افتعل، فصارت اتّزن.... والعلة في قلب هذه الواو في هذا الموضع تاء، أنهم لو لم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء، فيقولون: ايْتزن، وإذا انضم ما قبلها ردت إلى واو فيقولون: مَوْتزن، وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فقالوا: ياتزن، فلما كانوا لو لم يقلبوها تاء صائرين من قلبها مرة ياء ومرة ألفاً ومرة واواً، أرادوا أن يقلبوها حرفاً جلداً تتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله، وكانت التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصول الثنايا، والواو من الشفة فأبدلوها تاء"(٢).

نلحظ من كلام ابن جنى أنه أكثر دقة في معالجة إبدال التاء من الواو من سيبويه وذلك لأنه تطرّق إلى القضايا الصوتية من خلال قرب المخرج وإن كان غير دقيق في وصف مخرج الواو.

ويذكر ابن يعيش صفات تقارب بين الواو والتاء أكثر من سابقيه حيث يقول: " فأما إبدالها -أي التاء- من الواو فإنه ورد على ضربين مقيس وغير مقيس، فالمقيس افتعل وما يصرف منه إذا بنيته مما فاؤه واو نحو: اتّعد واتّزن ويتّعد ويتّزن ومتّعد ومتّزن، والأصل أو تعد وهو موتعد فقلبوا الواو تاء وأدغموها في تاء افتعل.. وإنما فعلوا ذلك لأنهم لو لم يقلبوها تاء هنا لزمهم قلبها ياء إذا انكسر ما قبلها نحو ايتعد وايتزن... وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفاً نحو ياتعد... ثم ردوها واواً إذا انضم ما قبلها، ولما رأوا مصيرهم إلى تغيرها لتغير أحوال ما قبلها قلبوها إلى

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٣٤.

(٢) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١|١٤٧-١٤٨.

تاء لأنها حرف جلد قوي لا يتغير بتغير أحوال ما قبله ، وهو قريب المخرج من الواو وفيه همس مناسب لين الواو ليوافق لفظه لفظ ما بعده فدغم فيها، ويقع النطق بها دفعة واحدة"(١).

إن صوت التاء في مثل هذه البنى هو الذي يتسم بملامح قوة، وذلك لأنه انفجاري علاوة على أنه تحصن بالحركة في حين أن الواو لبسه السكون والحرف الساكن حرف ميت كما نعته القدماء. فعمد الناطق إلى مثل هذا الإبدال للتخلص من الضعف، وليكون نطقهم من وجه واحد.

ويذكر ابن الحاجب أن التاء تبدل من الواو إبدالاً مطرداً، فقد نص على ذلك بقوله: " فمن الواو والياء لازم في نحو اتّعد واتّسر على الأفصح"(٢).

ويتضح من الآراء السابقة اتفاق جل العلماء القدامى على سبب هذا الإبدال وهو أن التاء صوت جلد وفيه ملامح قوة تجعله قادراً على الاحتفاظ بصورته دون تغير.

٢- إبدال التاء من الياء:

تبدل الياء، إذا جاورت التاء في صيغة افتعل وما تصرف منها، تاء وتدغم في تاء افتعل. وقد نص على ذلك سيبويه بقوله: " والياء توافق الواو في افتعل في أنك تقلب الياء تاء في افتعل من اليُبس، بقول: ايّبس ومُتبس ويتّبس لأنها قد تقلب تاء، ولأنها قد تضعف ههنا فتقلب واواً ولو جاءوا بها على الأصل. في مفتعل وافتعل وهي موضع الواو، وهي اختها في الاعتلال فأبدلوا مكانها حرفاً هو أجلد منها، حيث كانت فاء وكانت أختها فيما ذكرت لك، فشبهوها بها"(٣).

يعزو سيبويه سبب هذا البدل إلى المشابهة ما بين الواو والياء من حيث الاعتلال، فما يطبّق على الواو يطبّق على الياء.

وقد ورد مثل هذا القول عند ابن جنى حيث قال: " وقد فعلوا هذا أيضاً في الياء وأجروها مجرى الواو، فقالوا في افتعل من اليُبس واليُسر، ايّبس ، واتّسر، وذلك لأنهم كرهوا انقلابها واواً حتى انضم ما قبلها في نحو مُوتبس، وألفاً في ياتبس، فأجروها مجرى الواو فقالوا: ايّبس واتّسر"(٤).

ويذكر ابن يعيش هذا الإبدال بقوله : " ومن الواو في نحو اتّسر وهو افتعل من اليسر أبدلوا من الياء تاء كما أبدلوها من الواو في نحو : " اتّعد واتّزن"(٥).

---

(١) ابن يعيش،شرح المفصل، ١٠|٣٦-٣٧.

(٢) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|٢١٩.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٣٨.

(٤) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١|١٤٨.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٤٠.

وجاء مثل هذا الإبدال عند ابن عصفور، فقد نص على هذا بقوله: " وأبدلت من الياء على قياس في " افتعل" إذا كانت فاؤه ياء، وفيما، تصرف منه، فقالوا في " افتعل" من اليُسر: ايّسر ومن اليُبس ايّبس، والعلة في ذلك ما ذكرناه في الواو" [١].

وقد ورد مثل هذا الإبدال عند الإستراباذي فهو ينص على أن: " الياء وإن كانت أبعد عن التاء من الواو وإبدالها منها أقل، ولكن شاركت والواو ههنا، في لزوم التخالف لو لم تقلب، إذ كنت تقول : ايتسر وفي المبنى للمعلوم اوتسر وفي المضارع ييتسر وفي لم يسم فاعله يوتسر فأتبعت الواو الياء في وجوب القلب والإدغام فقيل: ايّسر"[٢].

إن ما ذهب إليه القدماء في هذا الإبدال هو التخلص من الصوت الضعيف غير المحصن بحركة ما قبله، وأبدلوا الياء إلى تاء؛ لأن الياء أخت الواو في اللين مع البعد ما بين التاء والياء من حيث المخرج . فأبدلوها كما أبدلوا الواو.

٣-إبدال الدال من التاء:

تبدل الدال من صوت التاء في افتعل إذا كانت فاء افتعل أحد ثلاثة أحرف : الزاي، والدال، والذال. وقد نص على ذلك علماء اللغة القدامى فها هوذا سيبويه يقول: " وأما الدال فتبدل من التاء في افتعل إذا كانت بعد الزاي في ازدجر ونحوها... والذال إذا كانت بعدها التاء في هذا الباب بمنزلة الزاي"[٣].

ولم يذكر سيبويه الدال هنا لأنها من إبدال إدغام يقول: " ولم نذكر ما يدخل في الحرف لأنه بمنزلة ما يدخل في الحرف وهو من موضعه يعني مثل قدت حيث تدغم الدال في التاء لأنها بمنزلة تاء أدخلت على تاء"[٤].

ويذكر ابن جنى: " وأما البدل فإن فاء افتعل إذا كانت زايا فقلبت التاء دالاً وذلك نحو : ازدهر وازدهى"[٥].

ويذكر أيضاً: " وقد قلبوا تاء افتعل مع الذال لغير إدغام دالاً... وأما ما اذّكر واذّكر فإبدال إدغام"[٦].

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١|٣٧٨.

(٢) الإستراباذي: شرح الشافية، ٣|٨٣.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٢٣٩-٢٤٠.

(٤) المرجع نفسه، ٤|٢٤٠.

(٥) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١|١٨٥.

(٦)ا لمرجع نفسه، ص١٨٧-١٨٨.

وقد جاء هذا الإبدال عند الإستربـاذي بقولـه : " إذا كان فاء افتعل ثلاثة أحرف: الزاي، والدال، والذال، قلبت تاء الافتعال دالاً وأدغمت الدال والذال فيها نحو: ادّان وادّكر، وقد يجوز ألا يدغم الذال نحو: اذدكر"(١).

ويمكن تفصيل هذا الإبدال على النحو الآتي:

أ- إبدال الدال من التاء إذا كانت فاء افتعل زايا:

ز+تّ ← (زد) مجهور صفيري+ مهموس ← مجهور صفيري+ مجهور.

إذا وقعت الزاي والتاء متجاورتين داخل بنية واحدة، وكانت هذه البنية على صيغة افتعل أو إحدى مشتقاتها، فإن تاء افتعل تقلب دالاً.

وقد نص سيبويه على أن : " الزاي تبدل لها مكان التاء دالاً، وذلك قولهم مزدان في مزتان، لأنه ليس شيء أشبه بالزاي من موضعها من الدال وهي مجهورة مثلها"(٢).

ويقول ابن جنى في تعليل هذا البدل: " ولكن الزاي لما كانت مجهورة، وكانت التاء مهموسة، وكانت الدال أخت التاء في المخرج، وأخت الزاي في الجهر، قربوا بعض الصوت من بعض، فابدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها ، الزاي، وهي الدال فقالوا ازدجر..."(٣).

ويعلل ابن عصفور سبب هذا الإبدال : " بأن الزاي مجهورة والتاء مهموسة والتاء شديدة والزاي رخوة، فتباعد ما بين الزاي والتاء، فقربوا أحد الحرفين من الآخر، ليقرب النطق بهما، فأبدلوا الدال من التاء، لأنها أخت التاء في المخرج والشدة وأخت الزاي في الجهر"(٤).

وقد علل الاستراباذي هذا الإبدال بأن الزاي مجهورة، والتاء مهموسة، فقلبت التاء دالاً، لأن الدال مناسبة للزاي في الجهر والتاء في المخرج، وهناك تباين آخر في الصفات، فالتاء شديدة والزاي رخوة، فأبدلوا الدال من التاء لأنها تشارك التاء في المخرج والشدة، وتتسم والزاي بالجهر(٥).

ويلاحظ من التعليلات السابقة أن الغرض من الإبدال إحداث التقارب الصوتي فيتحقق اليسر والخفة في نطق الألفاظ من خلال السياق اللغوي، والطلاقة الكلامية.

ب- إبدال الدال من التاء إذا كانت فاء افتعل ذالاً إبدالاً صرفاً

ذ+ت ← (ذد). مجهور+ مهموس ← مجهور+ مجهور.

---

(١) الإستربـاذي، شرح الشافية، ٣|٢٧٧.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٦٧-٤٦٨.

(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١|١٨٥-١٨٦ .

(٤) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١|٣٥٦.

(٥) الإستربـاذي، شرح الشافية، ٣|٢٢٧.

إذا وقعت الذال والتاء متجاورتين في داخل بنية واحدة، وكانت هذه البنية على صيغة افتعل أو إحدى مشتقاتها فإن التاء تبدل إلى دال.

يقول سيبويه "وكذلك تبدل للذال من مكان التاء أشبه الحروف بها"(١).

ويذكر ابن عصفور : " وأبدلت –يعني الذال– من تاء افتعل إذا كانت الفاء ذالاً من غير ادغام فقالوا: اذدكر ومذدكر " (٢).

غير أن هذا البدل في نظر اللغويين القدامى، الإدغام فيه أفضل . وقد نص على ذلك سيبويه بقوله: " وإنما منعهم من أن يقولوا: مذدكر كما قالوا: مزدان أن كل واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال"(٣).

ويذكر الإستراباذي : " قلب التاء دالاً بعد الذال المعجمة الإدغام أكثر من تركه"(٤).

ج– إبدال الدال من التاء إذا كانت فاء افتعل ذالاً إبدال إدغام.

ذ+ت ⟵ ذّدْ ⟵ مجهور + مهموس ⟵ مجهور مضعّف.

يجوز في هذا التشكّل أحد التشكّلين التاليين:

١– إدغام الأول في الثاني، أي إدغام الذال في الدال نحو:

اذدكر ⟵ ادّكر

وهذا جرى على قاعدة الأصل في الإدغام.

٢– إدغام الثاني في الأول: وهذا خلاف الأصل في الإدغام نحو:

اذدكر ⟵ إدّكر

ويعود السبب إلى إدغام كل من الذال والدال في بعضهما، لأن كل واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال. يقول سيبويه : " وكذلك نبدل للذال مكان التاء أشبه الحروف بها لأنهما إذا كانتا في حرف واحد لزم ألا يُبيّنا إذ كانا يدغمان منفصلين، فكرهوا هذا إلا جحاف، وليكون الإدغام في حرف مثله في الجهر وذلك قولك : مذّكر كقولك: مطّلم. ومن قال: مظّعّن قال: مدّكر... وإنما منعهم أن يقولوا مذدكر أن كل واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال فلم يجز في الحرف الواحد إلا الإدغام"(٥).

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٦٩.

(٢) ابن عصفور ، الممتع في التصريف، ١|٣٥٧.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٦٩–٤٧٠.

(٤)الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|٢٢٧.

(٥) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٦٩–٤٧٠.

ويقول ابن جنى: " وقد قلبوا تاء افتعل أيضاً مع الذال لغير إدغام دالاً... وأما اذّكر واذّكر فإبدال إدغام"(١).

ويقول أيضاً : " أصله اذتكر، والذال مجهورة، والتاء مهموسة ، فأبدلوا التاء دالاً، لتوافق الذال في الجهر كما قربوا التاء من الزاي في ازدجر بأن قلبت دالاً، ومن قلب الزائد للأصلي قال: اذّكر"(٢).

ويقول الإستراباذي : " إذا كان فاء افتعل أحد ثلاثة أحرف: الزاي والدال والذال قلبت تاء الإفتعال دالاً، وأدغمت الدال والذال فيها نحو: ادّان واذّكر ، وقد يجوز ألا يدغم الذال نحو: اذدكر"(٣).

ويعلل ابن يعيش سبب هذا الإدغام بقوله: " وأما قلب التاء مع الدال والذال والزاي دالاً، فنحو قولهم في افتعل من الدين والذكر والزين: ادّان واذّكر وازدان، وإنما وجب إبدالهما دالاً ههنا لأنهم كرهوا اجتماعهما للتقارب واختلاف أجناسهما وذلك أن الدال والذال والزاي مجهورة والتاء مهموسة، فأرادوا تجانس الصوت فأبدلوا من التاء الدال لأنها من مخرجها وهي مجهورة فتوافق بجهرها جهر الدال والذال فيقع العمل من جهة واحدة ثم أدغموا الدال والذال فيها... ويجوز فيه بعد قلب التاء قلبان: أحدهما أن تقلب الذال دالاً وتدغم في الدال التي بعدها فتصيران في اللفظ دالاً واحدة شديدة وهذا شرط الإدغام؛ لأنهم يقلبون الحرف الأول إلى جنس الثاني، والوجه الثاني أن تقلب الدال ذالاً وتدغم"(٤).

د- إبدال الدال من التاء إذا كانت فاء افتعل دالاً إبدال إدغام.

د+ت ⟵ دّ. مجهور+ مهموس ⟵ مجهور مضّعف.

إذا وقعت الدال والتاء متجاورتين داخل بنية واحدة ، وكانت هذه البنية على صيغة افتعل أو إحدى مشتقاتها، نبدل التاء إلى دال وتدغم في الدال الأصلية. وقد نص على ذلك سيبويه بقوله: " وكذلك الدال، وذلك قولك: ادّانوا من الدين لأنه قد يجوز البيان في الانفصال على ما ذكرنا من الثقل وهو بعد حرف مجهور ولما كان ههنا لم يكن له سبيل إلا أن يفرد من التاء كما يفرد في

---

(١)ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١|١٨٧-١٨٨.

(٢) ابن جني،(١٩٩٩)، المنصف، شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق وتعليق. محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٥٤٦.

(٣) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|٢٢٧.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|١٥٠.

الانفصال فيكون بعد الدال غيرها، كما كرهوا أن يكون بعد الطاء غير الطاء من الحروف، فكرهوا أن يذهب جهر الدال"[١].

ويرى القدماء أن سبب هذا البدل يعود إلى ضعف الصوت المهموس. وقد ذكر سيبويه أن "المهموس أخف من المجهور"[٢].

وإنه على حد قول مكي بن أبي طالب والجزري حرف ضعيف بالقياس إلى المجهور"[٣].

٤- إبدال الطاء من التاء:

تبدل الطاء من التاء في افتعل ومشتقاتها إذا كانت فاء افتعل صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً. يقول سيبويه : " والطاء منها- يعني التاء- في افتعل إذا كانت بعد الضاد في افتعل، نحو: اضطهد. وكذلك إذا كانت بعد الصاد في مثل اصطبر وبعد الظاء في هذا " [٤].

ويذكر في موضع آخر: " وقالوا في مفتعل من صبرت: مصطبر، أرادوا التخفيف حين تقاربا، ولم يكن بينهما إلا ما ذكرت لك، يعني قرب المخرج، وصاروا في حرف واحد، ولم يجز إدخال الصاد فيها ، فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالصاد وهي الطاء، ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد من الحروف وليكون عملهم من وجه واحد"[٥].

ويقول أيضاً: " وكذلك الظاء... فلما صارا في حرف واحد ازدادا ثقلاً فألزموها ما ألزموا الصاد والتاء، فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالظاء وهي الطاء ليكون العمل من وجه واحد"[٦].

ويشير أيضاً إلى الضاد بقوله: " والضاد في ذلك بمنزلة الصاد لما ذكرت لك من استطالتها كالشين، وذلك قولك: مضطجع . وإذا كانت الطاء معها- يعني مع التاء- فهو أجدر أن تقلب التاء طاء. ولا تدغم الطاء في التاء... لأنهم لم يريدوا إلا أن يبقى الإطباق"[٧].

وقد ورد عن ابن جنى إبدال الطاء من التاء إذا سبقت التاء بأحرف الاطباق.

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٧٠-٤٧١.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٥٠.

(٣) ينظر : ابن أبي طالب، مكي، الرعاية، ص١١٦. وابن الجزري شمس الدين أبو الخير، محمد من محمد (د.ت) : النشر في القراءات العشر تصحيح ومراجعة محمد الضياع، بيروت: دار لكتب العلمية، ١|٢٠٢.

(٤) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٢٣٩.

(٥) المرجع نفسه ، ٤|٤٦٧.

(٦) المرجع نفسه، ٤|٤٦٨.

(٧) المرجع نفسه، ٤|٤٧٠.

يقول في ذلك: " وأما البدل فإن تاء افتعل إذا كانت فاؤه صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء، تقلب الطاء البتة... وذلك قولهم من الصبر: اصطبر، ومن الضرب اضطرب، ومن الطرد إطّرد، ومن الظهر اظطهر بحاجتي ، وأما اطرد فليس الإبدال فيه من قبل الإدغام، وإنما هو لأن قبلها حرفاً مطبقاً"(١).

ويقول أيضاً : " لا يُقال في " اصطبر اصتبر" ولا في " اضطرب اضترب" ونحو ذلك، وإن كان هذا هو الأصل، ... والعلة في أن لم ينطق بتاء افتعل على الأصل إذا كانت الفاء أحد الحروف التي ذكرها- وهي حروف الاطباق- أنهم أرادوا تجنيس الصوت، وأن يكون العمل من وجه، بتقريب حرف من حرف"(٢).

ويقول أيضاً: " أما اصطبر" فأصله " اصتبر" فكرهوا استعلاء الصاد وبعدها حرف غير مستعلٍ وهو التاء إلا أنه من حيّز حرف مستعلٍ وهو الطاء، فأبدلوا من التاء ما هو مستعل من حيّزها، وهو الطاء، وقالوا مصطبر فاتفقت الصاد والطاء في الاستعلاء.... وأما " اضطرب" فأصله "اضترب" فقربوا التاء من الضاد، بأن قلبوها طاء؛ لتوافقها في الاستعلاء... وأصل اطّلع اطتلع فإذا كانوا قد قالوا: اصطبر واضطرب فأبدلوا التاء طاء،لتوافق ما يقرب من الطاء، وهو الصاد والضاد؛ فهم بأن يقلبوها طاء إذا كانت الفاء طاء أجدر، وأصل "اصطهر" "اصتهر" فقلبت التاء طاء لتوافق الصاد في الاستعلاء والجهر"(٣).

وبين الإستراباذي سبب هذا البدل بقوله: " إذا كان فاء افتعل أحد الحروف المطبّقة المستعلية وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء، وذلك لأن التاء مهموسة لا إطباق فيها، وهذه الحروف مجهورة، مطبقة، فاختاروا حرفاً مستعلياً من مخرج التاء وهو الطاء، فجعلوه مكان التاء؛ لأنه مناسب للتاء في المخرج والصاد والضاد والظاء في الإطباق"(٤).

وينص ابن يعيش على هذا الإبدال بقوله: " قد أبدلت الطاء من التاء إبدالاً مطرداً وذلك إذا كانت فاء افتعل أحد حروف الإطباق وهي أربعة: الصاد والضاد والطاء والظاء ، نحو: اصطبر يصطبر، واضطرب يضطرب واطّترد واظطلم. والأصل اصتبر واضترب واطترد واظتلم، والعلة في هذا الإبدال أن هذه الحروف مستعلية فيها إطباق والتاء حرف مهموس غير مستعل فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافيه، فأبدلوا من التاء طاء، لأنهما من مخرج

---

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١|٢١٧.

(٢) ابن جني، المنصف، ص٥٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٤٣.

(٤) الإستربادي، شرح الشافية، ٣|٢٢٦.

واحد، ألا ترى أنه لولا الاطباق في الطاء لكانت دالاً، ولولا جهر الدال لكانت تاء فمخرج هـذه الحروف واحد إلا أن ثم أحوالاً تفرق بينهن من الإطباق والجهر والهمس، وفي الطـاء إطبـاق واستعلاء يوافق ما قبلها فيتجانس الصوت، ويكون العمل من وجه واحد، فيكون أخف عليهم"(١).

وقد ورد هذا الإبدال عند ابن عصفور وعلله بقوله: " وأما الطاء فأبدلت من التاء لا غير أبدلت بإطراد البتة، ولا يجوز غير ذلك من تاء افتعل إذا الفاء صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظـاء. فتقول في افتعل من الصبر اصطبر ومن الضرب اضطرب والظهر اظطهر ومن الطرد اطّـرد فتدغم... ولم تبدل التاء لأجل الإدغام بل للتباعد الذي بين الطاء والتاء، كما فعلت مـع الـصاد والظاء والضاد، والتباعد الذي بين التاء وبين هذه الحروف أن التاء منفتحـة ومـستفلة وهـذه الحروف مطبقة مستعلية فأبدلوا من التاء أختها في المخرج، وأخت هذه الحروف في الاسـتعلاء والإطباق وهي الطاء"(٢).

غير أن ابن عصفور نفسه يعزو إبدال الطاء من التاء إذا كانت فاء افتعل، لأجل الإدغام يقول:" ... إلا أن ذلك من قبيل البدل الذي يكون بسبب الإدغام فنقول في (افتعل) مـن الطـرد (اطّرد)، لما أبدلت التاء طاء في اططرد، اجتمع لك مثلان فأدغمت"(٣).

إن هذا الإدغام الذي يراه ابن عصفور جاء عارضاً، لم يكن هدف البـدل مـن أجـل الإدغام، وإنما لأن فاء افتعل طاء، وأبدلت التاء إلى طاء فاجتمع المثلان في بنية واحدة، وكـان الأول ساكناً والثاني متحركاً، وجب الإدغام، ولكن لم يكن قصدياً.

وقد نص الأزهري على هذا الإبدال في (فصل في ابدال والطاء) : " وإنما أبدلت تـاء الافتعال إثر المطبق طاء؛ لاستثقال اجتماع التاء مع الحرف المطبق، لما بينهما من اتفاق مخرج واختلاف الصفة، إذ التاء من حروف الهمس، والمطبق من حروف الاستعلاء فأبدلت من التـاء حرف استعلاء من مخرج الطبق، واختيرت الطاء لكونها من مخرج التاء"(٤).

ط+ت ← طّ. مفخّم+ مرقق ← مفخّم مضعّف .

في هذه القواعد تأثرت التاء وهو صوت يتسم بملمح الترقيق-بالطاء- الذي يتسم بملمح التفخيم، ويبدو أن صفة التفخيم كما نص القدماء تعطي الصوت المتسم بها ملمح قوة يجعله قادراً

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٤٦-٤٧.

(٢) ابن عصفور،الممتع في التصريف، ١|٣٦٠-٣٦١.

(٣) ابن عصفور، المقرب، (د،ت)، تحقيق عبد الستار الجواري وعبد الله الجيوري، بغداد: مطبعة العالي، ص٥٤٢.

(٤) الأزهري،خالد بن عبد الله (١٣١٣) شرح التصريح على التوضيح، القاهرة: المطبعة الأزهرية، ٢|٢٩١.

على التأثير في غيره من الأصوات. وقد ذكر سيبويه أن الناطقين " لـم يريـدوا إلا أن يبقـى الإطباق"(١).

وذهب أيضاً إلى أن الصوت " المطبق أفشى في السمع"(٢). ويبدو أن مكي بن أبي طالب كان أكثر وضوحاً عندما علل إمكان وقوع ذلك بقوله: " الطاء حرف قوي متمكن بجهرة (حسب التصنيف القديم) ولشدته وإطباقه واستعلائه، والتاء حرف مهموس فيه ضـعف، والقـوي مـن الحروف إذا تقدم الضعيف مجاوراً له جذبه إلى نفسه، إذا كان من مخرجه ليعمل اللسان عمـلاً واحداً في القوة من جهة واحدة"(٣).

بالإضافة إلى ذلك فإن وقوع هذا الإبدال في هذه الحالة وما كان على غرارها من شأنه أن يحقق بين الصوتين المتجاورين تجانساً فيما سماه القدماء (بالإصعاد). يقول سيبويه:" لما كان يثقل على أن يكونوا في حال تسفل ثم يصعدون ألسنتهم ، أرادوا أن يكونوا في حال اسـتعلاء، وألا يعملوا في الإصعاد بعد التسفل، فأرادوا أن تقع ألسنتهم موقعاً واحداً فكان الإنحـدار أخـف عليهم من الاستعلاء من أن يصعدوا من حال التسفل"(٤).

ص+ت ⟵ (ص ط|ص ّ) ⟵ مفخم صفيري+ مرقق ⟵ مفخم صفيري+ مفخم|مفخم صفيري مضعف.

إذا وردت الصاد والتاء متجاورتين في داخل بنية واحدة، على صـيغة افتعـل أو إحـدى مشتقاتها فإنه يمكن إجراء هذين التشكيلين للبنية في نظر القدماء.

١- الإبدال : أن تبدل التاء طاء فيتحقق بذلك نوع من التماثل الصوتي في صفة الإطبـاق، مثل: اصتبر ⟵ اصطبر.

٢- الإدغام: ويتم ذلك بقلب الطاء المنقلبة عن تحول التاء إلى صاد ثم تدغم الـصاد فـي الصاد الأصلية على النحو التالي: اصطبر ⟵ اصصبر > اصّبر.

يقول سيبويه : " وأراد بعضهم الإدغام حيث اجتمعت الصاد والطاء، فلما امتنعت الصاد أن تدخل في الطاء، قلبوا الطاء صاداً، فقالوا: مصّبر.... وأن بعضهم قرأ: " فلا جناح عليهما أن يصلّحا بينهما صلحاً"(٥). "(٦).

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٧٠.

(٢) المرجع نفسه، ٤|٤٦٠.

(٣) ابن أبي طالب، مكي، الرعاية، ١٩٨و ٢٠٦.

(٤) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|١٣٠.

(٥) سورة النساء، ١٢٨.

(٦) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٦٧.

ويقول أيضاً: " وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن؛ لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع"(١).

ويقول ابن جني: " وأما اصتبر فإنها وإن كانت الصاد مهموسة كالتاء فإن فيها استعلاء ليس في التاء فأرادوا أن يكون عملهم من وجه واحد فأبدلوا الزائد للأصلي. فقالوا: اصبّر. ولا يجوز في اصطبر اطّبر. على أن تدغم الصاد في الطاء؛ لأن في الصاد صفيراً وتمام صوت، فلو أدغمتها لسلبتها ذلك. ومتى كان الإدغام ينقص الأول شيئاً لم يجز"(٢).

يتضح من خلال موانع القدماء أن الأصوات الصفيرية أقوى من الأصوات المطبقة، لذلك أجازوا أن يقلب المطبق إلى مطبق صفيري ولم يجزوا أن يقلب المطبق الصفيري إلى مطبق . فالصفير ملمح متمكن.

ظ+ت ⟵ ظ ط|طّ|ظّ.مفخم + مرقق ⟵ مفخم + مفخم|مفخم مضعف.

إذا وقعت الظاء والتاء متجاورتين داخل بنية واحدة، وكانت هذه البنية على صيغة افتعل أو ما تصرف منها، يرى القدماء أنه يمكن أن يحصل أحد التشكلات التالية.

١- الإبدال: يتم إبدال الطاء من التاء مثل: مظتلم > مظطلم.

وفي هذا يقول سيبويه: " فأبدلوا مكانها – يعني التاء- أشبه الحروف بالظاء وهي الطاء ليكون العمل من وجه واحد... وكان ذلك أخف عليهم"(٣).

٢- الإدغام:

أ- إدغام الأول في الآخر . نحو: مظطلم > مطّلم.

وهو الأفضل جرياً على قاعدة الإدغام. يقول سيبويه : " .... وكذلك قولهم مظطعن ومظطلم وإن شئت قلت: مطّعن ومطّلم كما قال " زهير" (٤).

هذا الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فيطّلم| البسيط

... وأقيسها مطّعن ومطّلم؛ لأن الأصل في الإدغام أن يتبع الأول الآخر"(٥).

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤/٤٦٤.

(٢) ابن جني، المنصف، ص٥٤٣.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٦٨.

(٤) ابن أبي سلمى، زهير(١٣٦٣هـ)، ديوان زهير، مطبعة دار الكتب. ص١٥٢. وسر صناعة الاعراب، ١|٢١٩.

(٥) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٦٨-٤٦٩.

ويذهب ابن جنى أن هذا البيت يروى على ثلاثة أوجه : " فيظّلم، ويظطلم، فيطّلم. فمن قال: يظّلم أبدل الزائد للأصلي... ومن قال: " فيظطلم" أبدل التاء طاء لأجل الظاء قبلها... ومن قال: " فيطّلم" أبدل الظاء طاء وأدغمها في الطاء لقربها منها وموافقتها إياها في الاستعلاء والإطباق"(١).

ب-إن تدغم الطاء المنقلبة عن التاء في الظاء، أي إدغام الآخر في الأول وذلك خلافاً لقاعدة الأصل في الإدغام. ويتم ذلك على النحو الآتي:

مظطلم ⟵ مظّلم.

ض+ت ⟵ (ض ط إضّإطّ) مفخم + مرقق ⟵ مفخم + مفخم| مفخم مضعف.

إذا اجتمعت الضاد والتاء في داخل بينة واحدة وكانت هذه البنية على صيغة افتعل أو إحدى مشتقاتها ، يرى علماء اللغة القدامى أنه يمكن في هذه الحالة إجراء أحد التشكلين التاليين:

١- الإبدال:

في هذه الحالة تبدل الطاء من التاء، فيتحقق بذلك نوع من التماثل الصوتي في الصفة بين الصوتين المتجاوريين ومن أمثلة ذلك.

إضترب > إضطرب.

إضتطع > إضطجع.

٢- الإدغام:

ويتم ذلك بإحدى طريقتين:

أ- أن تدغم الطاء المنقلبة عن التاء في الضاد ويتم ذلك على النحو الآتي:

إضتجع > إضطجع > إضّجع.

وتجدر الإشارة إلى أن صوت الضاد يتسم بالإضافة إلى ملمح التفخيم بملمحي الاستطالة والتفشي. ويقصد بالاستطالة : " امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها" (٢).

أما التفشي فيقصد به : " أن هواء النفس مع الصوت المتفشي لا يقتصر في تسربه إلى الخارج على مخرجه أي من الفراغ الذي بين العضوين المتصلين، بل يتوزع في جنبات الفم"(٣).

---

(١) ابن جني، المنصف، ص٥٤٥.

(٢) حماد، محمد نمر(١٣٢٣)، اتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد، نابلس، ص١٧.

(٣)أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص١١٩.

وقد نص القدماء على أن صفة الاستطالة بالضاد تصلها بمخرج اللام. يقول سيبويه: " ... لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام ، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء"(١).

وقد نص ابن عصفور على أن: " الضاد لا تدغم في شيء من مقارباتها، وسبب ذلك أن فيها استطالة وإطباقاً واستعلاء وليس في مقارباتها ما يشركها في ذلك كله. فلو أدغمت لأدى ذلك إلى الإخلال بها، لذهاب هذا الفضل الذي فيها"(٢).

من هنا نجد أن الضاد تمتلك ملامح قوة تجعلها تحافظ على نفسها وتؤثر في غيرها، فهي تتسم كما ذكرنا- بملامح التفخيم والاستطالة والتفشي-وهي صفات قوة في الضاد تقوى على الصفة الوحيدة للطاء وهي التفخيم.

ب-أن تدغم الضاد في الطاء المنقلبة عن التاء، وهنا إدغام الأول في الآخر وذلك جرياً على قاعدة الأصل في الإدغام. ويتم ذلك على النحو الآتي: اضتجع > اضطجع > اطّجع.

وقد نص سيبويه على ذلك بقوله:"... وذلك قولك مضطجع ، وإن شئت قلت مضجّع . وقد قال بعضهم مطّجع،حيث كانت مطبقة ولم تكن في السمع كالضاد، وقربت منها ، وصارت في كلمة واحدة ، فلما اجتمعت هذه الأشياء ، وكان وقوعها معها في الكلمة الواحدة أكثر من وقوعها معها في الانفصال، اعتقدوا ذلك وأدغموها"(٣).

غير أن ابن جنى يذهب إلى عدم جواز إدغام الضاد في الطاء . يقول: " ولا يجوز في اضطرب: اطّرب؛ لأن الضاد لا تدعم في الطاء ، لأنك لو فعلت ذلك لسلبت الضاد تفشيها بادغامك إياها في الطاء. وإنما المذهب أن تدغم الأضعف في الأقوى، فلذلك أدغم الساكن في المتحرك، لضعفه وقوة المتحرك"(٤).

لا شك أن الضاد تتسم بملامح قوة أكثر من الطاء، لكن ربما كان للسكون أثر في ضعفها، ولكن هذا الضعف لا يمكّن الطاء من التأثير فيها، فهذا البدل لا يعدو كونه عادة لهجية وليست قاعدة لغوية عامة.

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٥٧.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٦٨٩-٦٩٠.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٤٧٠.

(٤) ابن جني، المنصف، ص٥٤٤.

ثانياً: قواعد الإعلال عند القدماء

قبل الشروع في بيان قواعد الإعلال في التراث اللغوي، لا بد لنا أن نبين ما هية الإعلال، وحروفه، وأقسامه كما وردت عند علمائنا القدامى.

أ-تعريف الإعلال:

لم يتعرض سيبويه وابن جنى، وابن عصفور بل وجل القدماء إلى تعريف الإعلال ولكن اكتفى الأخير بذكر أنواعه من قلب وحذف ونقل، وبين أحرف العلة وهي: الألف والواو والياء، وأضاف إليها الهمزة في بعض البنى"(١).

غير أننا لا نعدم منهم من بين المقصود بهذا المصطلح. فها هو الإستراباذي يعرفه بقوله: " الإعلال مختص بتغيير حروف العلة : أي الألف والواو والياء بالقلب أو الحذف أو الإسكان"(٢).

ويعرفه ابن يعيش بقوله: "معنى الإعلال التغيير، والعلة تغيير المعلول كما هو عليه، وسميت هذه الحروف حروف علّة لكثرة تغيرها"(٣).

أما ابن منظور فيرى أن سبب تسميتها بهذا الاسم يعود إلى موتها ولينها يقول:

" حروف العلة والاعتلال، الألف والواو والياء سميت بذلك للينها وموتها"(٤).

وعرفه الحملاوي بقوله: " هو تغيير حرف العلة للتخفيف، بقلبه أو إسكانه أو حذفه، فأنواعه ثلاثة: القلب والإسكان والحذف"(٥).

وأشار عباس حسن إلى تعريف الإعلال بقوله: " تغيير يطرأ على أحد حروف العلة الثلاثة (و-ا-ي) وما يلحق بها- وهو الهمزة- بحيث يؤدي هذا التغيير إلى حذف الحرف، أو تسكينه، أو قلبه حرفاً آخر من الأربعة، مع جريانه في كل ما سبق على قواعد ثابتة يجب مراعاتها"(٦).

---

(١) ينظر: ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٤٢٥. والمقرب ، ٥٤٢، بتصرف.

(٢) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|٦٦-٦٧.

(٣) ابن يعيش، شح المفصل، ١٠ |٥٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، بيروت: دار الصادر،ط ٣، مادة علل، ص ٤٧١.

(٥) الحملاوي، أحمد، شذا العرف في فن الصرف، ص١٤٣.

(٦) حسن، عباس (١٩٨٠)، النحو الوافي، ط٤، القاهرة: دار المعارف، ٤|٧٥٦-٧٥٧.

إن جل التعريفات السابقة تتفق على أن أحرف العلة الأصلية هي الألف والواو والياء، أما الهمزة فهي لاحقة لهذه الأحرف- وأن هذا الإعلال يقصد به الخفة ولكنه يحتكم إلى قواعد ثابتة يجري في قنواتها.

ب- حروف العلة:

لقد خلط القدماء في أحرف العلة بضمهم الهمزة إليها، ويبدو أن هذا التضام في حزمة واحدة مع اختلاف الصفات المميزة للهمزة عن بقية الأحرف، ساقتهم إلى الخطأ في تفسير بعض السلوكات الصرفية.. وربما يعود سبب ربط الهمزة بأحرف العلة إلى التغيير الذي يصيب الهمزة. والإعلال عندهم هو تغيير في أحرف العلة فهذا جعلهم يعتقدون بالقرب بينها وبين أحرف العلة. فهي تحذف وتقلب وتبدل شأنها في ذلك شأن أحرف العلة المتصفة بهذه الصفات . زيادة على أنهم يعتقدون أن هناك قرباً مخرجياً بينها وبين الألف. وقد وضعها سيبويه مع الهاء والألف في موضع واحد. حيث يقول: " فأقصاها مخرجاً الهمزة والياء والألف"(١).

وينص الزمخشري وشارح مفصله على مثل هذا حيث ورد في شرح المفصل: " اعلم أن حروف المعجم عند الجماعة تسعة وعشرون حرفاً على ما هو المشهود من عددها أولها الهمزة ويقال لها الألف، فلفظها مختلف، وصورتها وصورة الألف اللينة واحدة"(٢).

غير أن المبرد أسقط الهمزة من الأصول، وعدّ حروف العربية الأصول ثمانية وعشرين حرفاً. يقول : " اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفاً، منها ثمانية وعشرون لها صور"(٣).

ويعود سبب إسقاطه للهمزة إلى كونها لا تثبت على صورة، فهي عنده من قبيل الضبط(٤).

غير أن ابن جنى وابن عصفور فندا قول المبرد ونعتاه بالفساد، وأوردوا العلل على فساد ما ذهب إليه. بما يأتي:

١- توجد جذور ثلاثية في العربية تبدأ بالهمزة مثل (أكل) و (أمر) و (أخذ) وغيرها، ولو لم تكن الهمزة حرفاً، لكانت هذه الكلمات على أصلين، وهذا باطل لأن أقل أصول الكلمة ثلاثة أحرف. فاء وعين ولام.

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤ |٤٣٣.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|١٢٦.

(٣) المبرد، المقتضب، ١|١٩٢.

(٤) ينظر: المبرد، المقتضب ، ١|١٩٠.

٢- يرى ابن عصفور أن تسهيل الهمزة سبب في عدم استقرار صورتها على حال واحدة؛ لأنها كتبت حسب تسهيلها، ولولا ذلك لكانت على صورة واحدة وهي الألف، والدليل على ذلك أن الموضع الذي لا تسهل فيه تكتب ألفا بأية حركة تحركت، وذلك إذا كانت أولاً مثل: أحمد وأبلم وإثمد.

٣- إن أسماء حروف المعجم موضوعة على أن يكون في أول الاسم لفظ الحرف المسمى بذلك الاسم نحو (جيم) و (دال) و (ياء) فالألف اسم للهمزة لوجود الهمزة في أوله، أما ألف المد فهي ساكنة فلم يتمكن ذلك في اسمها ولا يبتدأ بساكن فسميت ألفاً باسم أقرب الحروف إليها في المخرج وهو الهمزة.

٤- الهمزة حرف وليس من قبيل الضبط كما ادّعى المبرد لأن الضبط لا يتصور النطق به إلا في الحرف، والهمزة يتصور النطق بها وحدها كسائر الحروف[١].

من الواضح أن الهمزة حرف، وحجج ابن جنى وابن عصفور كانت أكثر إقناعا من حجج المبرد. إن الطبيعة النطقية للهمزة، والصفات المميزة لها تجعلنا نقرر مطمئنين أنه لا علاقة صوتية مطلقاً بين الهمزة وأصوات المد واللين، فهناك ما يشبه التعارض الكامل بين طبيعة الهمزة من الناحية الصوتية من جهة، وطبيعة حروف العلة من جهة أخرى. فالهمزة صوت حنجري انفجاري، وحروف المد أصوات انطلاقية، والهمزة كما أقر العلماء في العصر الحديث صوت لا بالمجهور ولا بالمهموس، وحروف المد مجهورة . فالتبادل بينهما فيه خلط من قبل التوصيف القديم للهمزة.

ج- أنواع الإعلال:

يرى علماء اللغة أن الإعلال حسب حالاته الواقعية يقسم إلى ثلاثة أقسام: إعلال بالقلب، وإعلال بالنقل وإعلال بالحذف. وسنحاول في هذا المضمار- قدر الإمكان- جمع جل آراء اللغويين القدامى، وبيان القواعد التي ساروا عليها في ضبط هذه الظاهرة،وسبب قواعدها وهدفها .

١- الإعلال بالقلب:

ويقصد بهذا الإعلال هو تحويل أحد الحروف الأربعة إلى آخر منها بحيث يختفي أحدهما ليحل محله غيره، طبقاً لضوابط محددة يجب الخضوع لها. ويشمل هذا الإعلال ما يلي:

---

(١) ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١|٤٠-٤٢. وابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٦٣٣-٦٦٤.

أ-قلب الواو والياء همزة:

ذكرت كتب التراث الصرفي الحالات التي يمكن أن تقلب فيها الواو والياء إلى همـــزة. ويمكن بيان هذه الحالات على النحو الآتي:

١- أن تتطرف إحداهما بعد ألف زائدة : نحو كساء وبناء وأصلهما كساو وبناي على التوالي.

يقول سيبويه : " فإن كان الساكن الذي قبل الواو ألفاً زائدة همزت، وذلك نحو: القضاء والنمـــاء والشقاء.. فجعلوا اللام كأنها ليس بينها وبين العين شيء. وكذلك جعلوها في قضاء ونحوها كأنه ليس بينها وبين فتحة العين شيء، وألزموها الإعتلال في الألف لأنها بعد الفتحة أشد اعتلالاً"(١).

ويذهب ابن يعيش إلى أن الهمزة بدل من الألف وليس من الواو والياء. يقول: " كـــساء ورداء ونحوهما فالهمزة فيها بدل من الألف، والألف بدل من الواو والياء وذلك أن أصل كساء كساو ولامه واو لأنه فعال من الكسوة ورداء أصله رداي من قولهم حسن الردية ومثلـــه ســـقاء وغطاء فوقعت الواو والياء طرفاً بعد ألف زائدة. وفي ذلك مأخذان : أحدهما: أن لا يعتد بالألف الزائدة ويصير حرف العلة كأنه ولي الفتحة فقلبت ألفاً.

والثاني: أن يعتد بها وتتنزل منزلة الفتحة لزيادتها وإنها من جوهرها ومخرجها فقلبـــوا حرف العلة بعدها ألفاً"(٢).

وينص ابن عصفور على مثل هذا بقوله: " ومن هذا القبيل إبدالها من الواو واليـــاء إذا وقعتا طرفاً بعد ألف زائدة، نحو كساء ورداء، وذلك أن الأصل كساو ورداي فتحركـــت الـــواو والياء وقبلهما فتحة، وليس بينها وبينهما حاجز إلا الألف وهي حاجز غير حـــصين لـــسكونها وزيادتها والواو والياء محل التغيير فقلبنا ألفاً فاجتمع ساكنان الألف المبدلة من الياء أو الواو مع الألف الزائدة فقلبت همزة"(٣).

مثل هذا الإعلال بسير على النحو الآتي:

كساو ← كسااا ← كساء.

بناي ← بنااا ← بناء.

إن ما ذهب إليه الصرفيون يتنافى مع العرف الصرفي للغة العربية، إذ أنه لا يوجد ألف أصلاً حتى تنقلب إلى همزة. وقد ذهبوا أن الألف الأولى حاجز غير حصين ولم يعتدوا بها بـــل

---

(١) سيبويه ، كتاب سيبويه، ٤|٣٨٥.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٩.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١|٣٢٦.

تعاملوا معها على أنها غير موجودة . وتوهموا وجود فتحة قبلها فتم التعامل مع الفتحة المتوهمة. ونعتوا الألف بأنها ساكنة وفي هذه الحالة حركت الألف فقلبت همزة. فكيف تحركت الحركة. فالألف لا يوجد لها صورة كتابية مشابهة لغيرها مثل الواو والياء المديتين أو اللتين فلا توجد ألف ساكنة وألف متحركة.

٢- أن تقع إحداهما عيناً لاسم فاعل لفعل أعلت فيه، نحو: قائل وبائع وأصلهما قاول وبايع.

يقول سيبويه: " اعلم أن فاعلاً منها مهموز العين، وذلك أنهم يكرهون أن يجيء على الأصل مجيء ما لا يعتل فعل منه، ولم يصلوا إلى الإسكان مع الألف وكرهوا الإسكان والحذف فيه فيلتبس بغيره، فهمزوا هذه الواو والياء إذا كانتا معتلتين وكانتا بعد الألف. وذلك قولهم خائف وبائع"(١).

ويذهب ابن جنى إلى ما ذهب إليه سيبويه حيث قال: " إنما وجب همز عين اسم الفاعل إذا كان على وزن فاعل نحو: قائم وبائع؛ لأن العين كانت قد اعتلت فانقلبت في قام وباع ألفاً فلما جئت إلى اسم الفاعل، وهو على فاعل صارت قبل عينة ألف فاعل، والعين قد كانت انقلبت ألفاً في الماضي، فالتقت في اسم الفاعل ألفان، وهذه صورتهما " قاأم" فلم يجز حذف إحداهما فيعود إلى لفظ قام فحركت الثانية التي هي عين، كما حركت راء ضارب؛ لأن الألف إذا حركت صارت همزة، فصارت قائم وبائع"(٢).

أما ابن يعيش فيذهب إلى أن الهمزة منقلبة عن عين الفعل. يقول: " قائل وبائع فالهمزة فيها بدل من عين الفعل... فالأصل فيها قاول وبايع فأريد إعلالهما لاعتلال فعليهما، والإعلال يكون إما بالحذف أو بالقلب فلم يجز الحذف لأنه يزيل صيغة الفاعل ويصيره إلى لفظ الفعل، ولم يكف الإعراب فاصلاً بينهما لأنه قد يطرأ عليه الوقف فيزيله فيبقى الالتباس على حاله، وكانت الواو والياء بعد ألف زائدة هما مجاورتا الطرف فقلبتا همزة بعد قلبها ألفاً"(٣).

يذهب ابن عصفور إلى أن الألف حاجز غير حصين وسبقت بفتحة أيضاً حيث يقول: " ومن هذا القبيل أيضاً، عندي، إبدالهم الهمزة من الواو والياء، إذا وقعتا عينين في اسم الفاعل، بعد ألف زائدة بشرط أن يكون الفعل الذي أخذ منه اسم الفاعل نحو قائم وبائع والأصل فيهما:

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٤٨.

(٢) ابن جني، المنصف، ص٢٤٤.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل| ١٠|١٠.

قاوم وبايع فتحركت الواو والياء وقد اعتلت عينه في الفعل في قام وباع فاعتلتا في اسم الفاعل حملاً على الفعل فقلبتا ألفاً فاجتمع ساكنان فأبدل من الثانية همزة"[١].

إن ما ذهب إليه القدماء من قلب الواو والياء إلى ألف ثم قلب الألف إلى همزة فيه شيء من العنت؛ لأن الألف حركة طويلة ولا تسبق بفتحة أخرى، إضافة إلى أنهم لم يعتدوا بهذه الألف وتعاملوا مع الفتحة المتوهمة قبلها. إن كل ما حدث في هذه البنى وما جاء على شاكلتها محاولة الناطق التخلص من التتابع بين نصف الحركة والحركة. ونصف الحركة صامت ضعيف فأرادوا تقوية البنية بصامت نبري قوي وهو الهمزة. وقد نص ابن جنى على مثل هذا بقوله:" وأنا أرى أنهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين، من قبل أن جمع المتقاربين يثقل على النفس، فلما اعتزموا النطق بهما قدموا أقواهما، لأمرين: أحدهما أن رتبة الأقوى أبداً أسبق وأعلى، والآخر أنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم أقوى نفساً وأظهر نشاطاً"[٢].

وبين لنا النسيج المقطعي والكتابة الصوتية للبنى السابقة صحة ما ذهب إليه ابن جنى . فالنسيج المقطعي للبنى السابقة على النحو الآتي: قاول qaa|wil بايع baa|yic' . فهناك تقارب أو سلسلة تقاربية مكونة من الحركة الطويلة + نصف الحركة + الحركة القصيرة. وهذا يؤدي إلى انفتاح القناة الصوتية. علاوة على أن نصف الحركة وقعت في بداية مقطع وهي ضعيفة وبداية المقطع يحتاج إلى صوت قوي ونشاط عضوي. فعمد الناطق العربي إلى البحث عن صوت قوي فأتي بالهمزة لأنها صوت قوي نبري.

٣- أن تقع إحداهما بعد ألف صيغة منتهى الجموع " مفاعل" وشبهه، وقد كانت مدة زائدة في المفرد نحو: عجائز وصحائف ، والمفرد منهما عجوز وصحيفة، والواو في الكلمة الأولى، والياء في الكلمة الأخيرة مدتان زائدتان؛ أي أنهما ليستا من بنية الكلمة، وأصلهما عجز وصحف.

وفي ذلك يقول سيبويه : " وسألته عن واو عجوز وألف رسالة وياء صحيفة، لأي شيء همزن في الجمع، ولم يكن بمنزلة معاون ومعايش إذا قلت صحائف ورسائل وعجائز؟

فقال لأني إذا جمعت معاون ونحوها فإنما أجمع ما أصله الحركة فهو بمنزلة ما حركت كجدول. وهذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك ، وكانت ميتة ، لا تدخلها الحركة على حال، وقد وقعت بعد ألف، لم تكن أقوى حالاً مما أصله متحرك... فهذه الأحرف الميتة أجدر أن تغيّر

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١|٣٢٧-٣٢٨.

(٢) ابن جني، الخصائص، ١|٥٥.

إذا همزت ما أصله حركة.... وقالوا: مصيبة ومصائب فهمزوها وشبهوها حيث سكّنت بصحيفة وصحائف"[١] .

ويقول ابن جنى: " وإنما يهمز في الجمع حروف المد واللين التي لاحظ لها في الحركة في الواحد نحو : ألف: رسالة ، وياء: صحيفة، وواو، عجوز؛ إذ قلت رسائل وصحائف وعجائز، فأما قول العرب: مصائب فغلط؛ لأن الياء في مصيبة عين الفعل وهي منقلبة عن واو وأصلها مُصْوبة وأصلها الحركة، وقياسها مصاوب... وذكر أبو الحسن أن الذي شجعهم على أن شبهوا مصيبة بصحيفة حتى همزوها في الجمع، أنها قد اعتلت في الواحد بأن قلبت الواو ياء فتوهنت العين بالقلب فأشبهت الياء الزائدة؛ لأنها في الحقيقة ليست من الأصل، وإنما هي بدل من العين، فلما لم تكن الأصل بعينه أشبهت الزائد فقلبت في الجمع همزة"[٢].

يقول ابن عصفور في الواو:" فإن لم يكن قبل الألف واو ولا ياء فلا يخلو من أن تكون الواو في المفرد زائدة للمد، أو لا تكون، فإن كانت زائدة قلبت همزة نحو " حلوبة" و " حلائب" وسبب ذلك أنها اجتمعت ساكنة مع ألف الجمع، ولا أصل لها في الحركة فتحركت فأبدلت همزة"[٣].

ويقول في الياء : " الياء تبدل همزة باطراد إذا وقعت بعد ألف التي في الجمع الذي لا نظير له في الأحاد بشرط أن تكون قد زيدت في المفرد للمد نحو : صحيفة وصحائف وكتيبة وكتائب"[٤].

وينص ابن الحاجب على هذا القلب بقوله: " أن تقع إحداهما بعد ألف مفاعل وقد كانت مدة زائدة في المفرد مثل: عجائز لأن الألف هنا هي علامة الجمع"[٥].

وقد ورد هذا البدل عند ابن عقيل بقوله: " تبدل الهمزة أيضاً مما ولي ألف الجمع الذي على مثال مفاعل؛ إن كان مدة مزيدة في الواحد نحو قلادة وقلائد وصحيفة وصحائف وعجوز وعجائز، فلو كان غير مدة لم تبدل نحو قسورة وقساور وهكذا. إن كانت مدة غير زائدة نحو:

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٣٥٦|٤.

(٢) ابن جني، المنصف، ٢٦٢-٢٦٣.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٣٣٩|١-٣٤٠.

(٤) المرجع نفسه، ٣٤٣|١.

(٥)الإستراباذي، شرح الشافية، ١٠٢|٣.

مفازه ومفاوز، ومعيشة ومعايش، إلا فيما سمع فيحفظ، ولا يقاس عليه، نحو : مصيبة ومصائب"[١].

لقد قيد القدماء هذه القاعدة بقيدين: الأول: وقوعها بعد ألف زائدة. والثاني أن تكون هي نفسها زائدة في المفرد. فإذا لم تكن لا يجوز همزها. أما مصائب فيرى القدماء أن الياء فيها هي عين الفعل، بل هي منقلبة عن عين الفعل لأن أصله مُصْوبه. فكسرت الواو فقلبت ياء فهي متحركة في الأصل. ولكنها ضعفت في القلب فشبهت بالياء الساكنة فهمزت . ولا يقاس عليها. ويبدو أن سبب هذا القلب ناتج عن ضعف الواو والياء التي مرت بالخطوات الآتية:

عجوز ca|guuz ⟵ عجاوز ca|gaa|wiz ⟵ عجااز ca|gaa|aaz

فقد قلبت الواو المدية في المفرد إلى نصف حركة في الجمع وقلبت نصف الحركة إلى همزة. وذلك لإحداث نوع من المخالفة الناتجة عن الحركة الطويلة (aa) ونصف الحركة (w) والحركة القصيرة (I). فبالهمزة تم قطع تيار الهواء بالصوت النبري وهو الهمزة. علاوة على أن اللغة العربية لا تجيز أن يبدأ المقطع بحركة. فتخلصت من هذا المحذور بإبدال جزء من الألف إلى همزة والجزء الثاني إلى كسرة قصيرة.

٤- أن تقع إحداهما ثاني حرفين لينين بينهما ألف مفاعل، سواء أكان اللينان ياءين، نحو : نيايف جمع نيّف أم واوين، نحو أواول جمع أوّل أم مختلفين، نحو: سياود جمع سيود، ففي هذه الأمثلة تقلب كل من الواو والياء الثانية إلى همزة، فتصبح الكلمات: نيائف وأوائل وسيائد على الترتيب. يقول سيبويه في ذلك: " وإذا جمعت سيداً، وهو فيعل، وفيعلاً نحو : عيّل همزت، وذلك عيّل وعيائل وخير وخيائر، لما اعتلت ههنا فقلبت بعد حرف مزيد في موضع ألف فاعل، همزت حيث وقعت بعد ألف.... وإذا جمعت فُعّل من قُلْتُ قُلْتَ قوائل همزت.... وإنما فعلوا ذلك لالتقاء الواوين ، وإنه ليس بينهما حاجز حصين، وإنما هو الألف تخفى حتى تصير كأنك قلت: قُوَوِل وقربت من آخر الحرف فهمزت وشبهت بواو سماء... وإذا التقت الواوان على هذا المثال فلا تلتفتن إلى الزائد وإلى غير الزائد. ألا تراهم قالوا: أوّل وأوائل فهمزوا ما جاء من نفس الحرف"[٢].

ويقول ابن جنى: " اعلم أنه إذا ورد جمع على مثال مفاعل، وقد اكتنف ألفه: واوان، أو ياءان، أو ياء وواو، وليس بين ألف الجمع والطرف إلا حرف واحد، وهو ياء أو واو، فإن الخليل وسيبويه يريان قلب الحرف الذي بعد الألف همزة، فيقولان في جمع فَوْعل من قلت،

---

(١) ابن عقيل (١٩٧٩)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ٤|٢١٢.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٦٩-٣٧٠.

وبعت، وفيْعل منهما: " قوائل وبوائع وقبائل وبيائع. وأصل هذا كله: قواول وبوايع وقياول وبيايع، فلما وقعت الألف بين حرفيّ علّة، وهي شبيهة بهما والثاني من حرفي العلة يلي الطرف، وذلك مما يضعفه، هرباً من ذلك إلى الهمزة، ولا يفصلان بين الواوين والياءين وبين الياء والواو. وأصل هذا التغيير إنما هو لما اجتمعت فيه واوان : نحو: أوائل وأصلها أواول فلما اجتمعت الواوان وليس بينهما إلا الألف وهو حرف كالنفس ليس بحاجز حصين وولت الأخرة من الواوين آخر الكلمة همزوها... ثم شبهوا الياءين والياء والواو: بالواوين؛ لأن فيهما ما فيهما من الاستثقال"(١).

وينص ابن يعيش على هذا القلب بقوله:" وإذا اكتنفت ألف الجمع الذي بعده حرفان: واوان أو ياءان أو واو وياء، قلبت الثانية همزة، كقولك في أوّل: أوائل وفي خيّر خيائر وفي سيقة سيائق وفي فوعلة من البيع : بيائع"(٢).

وبين سبب هذا القلب بقوله:" اعلم أن ألف الجمع في مفاعل وفواعل متى اكتنفها واوان كانت الثانية مجاورة للطرف ليس بينه وبين الطرف حاجز، فإنهم يقلبون الواو الثانية همزة، نحو قولهم أوائل والأصل أواول لأن الواحد أول أفعل مما فاؤه وعينه واو، وهم يكرهون اجتماع الواوين والألف من جنسها، فشبهوا اجتماعها ههنا باجتماعها في أول الكلمة فكما يقلبون في واصلة وواصل كذلك يقلبون ههنا، إلا أن القلب ههنا وقع ثابتاً لقربه من الطرف، وهم كثير ما يعطون الجار حكم مجاوره، فلذلك قدروا الواو في أواول طرفاً إذا كانت مجاورة للطرف"(٣).

ويبن ابن عصفور سبب هذا القلب بقوله: " فإذا كانت مكسورة، أو واقعة محل حرف مكسور- يعني الواو- فلا تخلو أن تقع بعد ألف الجمع الذي لا نظير له في الآحاد أو لا تقع، فإن وقعت بعدها فلا يخلو أن يكون قبل ألف الجمع ياء أو واو أو لا يكون ، فإن كان قبلها واو أو ياء لزم قلب الواو همزة إن كانت تلي الطرف، فتقول في جمع أول أوائل وفي جمع سيّد: سيائد والأصل : أواول وسياود، فقلبت الواو همزة لاستثقال الواوين والألف أو الياء والواو والألف. وبناء الجمع الذي لا نظير له في الآحاد"(٤).

ويقول في الياء: " فإن لم تكن الياء زيدت في المفرد للمد لم تهمز، إلا أن تكون تلي الطرف لفظاً أو نيّة، وبشرط أن يكون ألف الجمع واوا أو ياء. فتقول في جمع " عيّل" عيائل

---

(١) ابن جني،المنصف، ص٣١٩.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٩٠.

(٣) المرجع نفسه، ١٠|٩١.

(٤) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١|٣٣٧-٣٣٨.

فتهمز لثقل البناء مع اجتماع حروف العلة وهي الياءان والألف، مع قرب من محل التغير وهو الطرف"[١].

ويقول ابن السراج: " وإذا جمعت فوعلاً من "قلت" همزت فقلت قوائل وتهمز فواعل من عورت وصيدت وكذلك إذا جمعت سيداً وعيلاً وذلك قولك: سيائد وعيائل"[٢] .

يذهب القدماء إلى أن سبب القلب في مثل هذه البنى يعود إلى ثقل الجمع واجتماع حروف العلة والقرب من الطرف. وهذا إن فيه شيء من الصواب، إلا أنه تفسير لا يتفق مع الدراسات الصوتية الحديثة، إذ أنهم حملوها على الطرف وهي ليست بطرف. وقد نص سيبويه على إعلال المواقع بقوله:" اعلم أنهن لا مات أشد اعتلالاً وأضعف؛ لأنهن حروف إعراب، وعليهن يقع التنوين ، والإضافة وكلما بعدتا من آخر الحروف كان أقوى لهما، فهما عينات أقوى، وهما فاءات أقوى منهما عينات ولا مات"[٣].

ومع هذا حملوها على إعلال الأول في أواصل. إن مثل هذا الإعلال فيه ثقل اجتماع الأمثال أي الحركات وأنصافها، وأنصاف الحركات كما ذكرنا أكثر من مرة ضعيفة في نفسها. فأراد الناطق أن يقوي المقطع الأخير، ويحدث مخالفة بين الأصوات التي يجمعها الملمح التقاربي. وهو بقلب نصف الحركة إلى همزة أدى إلى تقوية البنية وإغلاق القناة الصوتية في مرحلة متوسطة. والنسيج المقطعي يبين ذلك.

أواول: ɔa|waa|wil ← ɔa|waa|'il

نيايف na|yaa|yif ← na|yaa|'if

سياود sa|yaa|wid ← sa|yaa|'id

فبقلب نصف الحركة إلى همزة تخلص الناطق من السلسلة الصوتية ذات الملمح الحركي.

٥- إذا اجتمعت في أوّل الكلمة واوان ثانيتهما متحركة مطلقاً، أو ساكنة متأصلة الواوية، نحو: أواصل وأوّل، وأولى، وأصلها: وواصل ووُوَل و وُوّلى على الترتيب.

وقد نص على هذا سيبويه بقوله : " إذا التقت الواوان أولاً أبدلت الأولى همزة ولا يكون فيها إلا ذلك .... ولم يجعلوا في الواوين إلا البدل؛ لأنهما أثقل من الواو والضمة، فكما اطرد البدل في المضموم كذلك لزم البدل في هذا"[٤].

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ص٣٤٣/١.

(٢) ابن السراج، الأصول في النحو، ٣٩٦|٣.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٣٨١|٤.

(٤) المرجع نفسه، ٣٣٣|٤.

وذكر ابن جنى أنه : " إذا التقت واوان في أول الكلمة لم يكن من همز الأولى بـد، وذلـك أن الأولى أصلها وُوْلى"[١].

ويقول أيضاً : " وإذا اجتمعت واوان في أول الكلمة لا بد من همز الأولى منهما"[٢].

وذهب ابن عصفور إلى أنه: " إذا اجتمعت في أول الكلمـة واوان متحركـان، نحـو : أواصل وأوّل قلبت الأولى همزة. يقول : " الواو لا تخلو أن تكون أولاً أو غير أول، فإن كانت أولاً فلا يخلو أن تكون وحدها أو ينضاف إليها واو أخرى، فإن انضافت أخرى أبدلت الأولـى همزة هروباً من ثقل الواوين وذلك نحو قولهم في جمع واصل أواصل . أصله وَواصل، وكذلك أوّل أصله وُوَل"[٣].

غير أن ابن الحاجب خالف جمهور النجاة في هذا حيث يقول : " تقلب الواو همزة لزوماً في نحو أواصل وأويصل والأوّل إذا تحركت الثانية"[٤].

وقد نص على سبب هذا القلب بقوله: " الواو المضمومة ما قبلها ثقيل على ثقيل"[٥].

لقد ذهب القدماء إلى أن سبب هذا القلب يعود إلى الثقل في النطق، ولما كانت الواو أثقل حروف العلة. وكانت الضمة أثقل الحركات كما قرر اللغويون العرب "[٦].

فاجتماع الواواين أدى إلى مضاعفة الثقل فلجأوا إلى التخفيف من الثقل بقلـب الأولـى همزة. ويرى ابن جنى أن سبب القلب يعود أيضاً إلى كراهية التضعيف في بداية الكلمة. بقول:" اعلم أن التضعيف في أول الكلمة عزيز قليل .... فلما قلّ التضعيف في الحروف الصحاح فـي أول الكلمة امتنع في الواو لثقلها فمن هنا وجب الهمز"[٧].

وقد ذهب إلى مثل ابن جنى ابن يعيش حيث يرى " أن إبدالهما من الواو الواقعـة أولاً مشفوعة بأخرى لازمة نحو أواصل وأواق، والأصل ، وواصل، وواق، والعلـة فـي ذلـك أن التضعيف في أوائل الكلمة قليل وإنما جاء منه ألفاظ يسيرة من نحو: ددن .... فمـا نـدر فـي

---

(١) ابن جني، سر الصناعة، ١/١١.

(٢) ابن جني، المنصف،٢٠١.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١/٣٣٢.

(٤) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣/٧٦.

(٥) المرجع نفسه، ٣/١٦٨.

(٦) ينظر، ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢/٥٨٥ والإستراباذي، شرح الشافية، ٣/٧٦، ١٦٧.

(٧) ابن جني، المنصف، ص٢٠١.

الحروف الصحاح امتنع في الواو لثقلها مع أنها تكون معرضة لدخول واو العطف وواو القسم، فيجتمع ثلاث واوات ، وذلك مستثقل ولذلك قالوا في جمع واصلة أواصل"[١].

تبين لنا الكتابة الصوتية للبنى السابقة التتابع الحركي الذي يفرمنه الناطق فيخلص منه بقلب جزء منه إلى صوت قد يكون منفرداً أثقل أصوات اللغة انتاجاً . وهو الهمزة , وهذا ما نلاحظه من خلال هذه البنى.

وواصل wa|waa|sil ← ?a|waa|sil أواصل

وُوْل wu|wal ← ?u|wal أوَل

وُوْلى wuw|laa ← ?uu|laa أولى

إن الملمح الحركي سيطر على مثل هذه البنى فحاول الناطق العربي التخلص من هذا الملمح بإحداث مخالفة بين الأصوات المتقاربة ، علاوة على أن المقطع الأول في البنى السابقة بدأ بصامت ضعيف وهو نصف الحركة، وبداية المقطع تتطلب قوة؛ لأنها بداية النشاط النطقي فقلب نصف الحركة إلى همزة. وفي البينة الأخيرة قلبت نصف الحركة الثانية إلى ضمة قصيرة كونت مع الضمة القصيرة السابقة لها ضمة طويلة؛ لإحداث الانسجام في السلسلة الصوتية المكونة للبنية . وكل هذا أدى إلى تغيير النسيج المقطعي، علاوة على التخلص من العملية الانتقالية من نطق الضمة إلى نطق الواو نصف الحركة، يبدو من خلال القواعد السابقة التي لجأ فيها القدماء إلى قلب الواو والياء إلى همزة، أن السبب في هذا القلب يعود في رأيهم إلى طلب الخفة، والهروب من اجتماع الأمثال، لأن اجتماعهما مكروه على حد قولهم. علماً أن صوت الهمزة من أصعب الأصوات إخراجاً وقد نعتها سيبويه بأنها نبرة تخرج من الصدر. يقول: " ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجاً"[٢].

ويتضح لنا أن القدماء هربوا من الخفيف إلى الأثقل، وذلك خوفاً من ا جتماع الأمثال.

ب- قلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء.

يسير هذا الباب من الإعلال على نحو مغاير للباب السابق، أي أن الهمزة وهي صامت وليس حركة، أو نصف حركة هي التي تتعرض للقلب والتغيير.

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|١٠.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٣|٥٤٨.

وقد عالج الصرفيون العرب هذا الباب من الإعلال في موضعين، يعنينا منهما، في هذا البحث ، موضوع واحد، هو حال التقاء همزتين في كلمة واحدة، ففي هذه الحالة تكون الهمزة الثانية هي موضع الإعلال والتغيير.

ولا تخلو هذه الهمزة من أن تكون ساكنة أو متحركة.

١- إذا كانت الهمزة الأولى متحركة، وهذا شأنها دائماً، لأنه لا يبتدأ بساكن والثانية ساكنة، فإن الهمزة الثانية تقلب إلى حركة من جنس حركة سابقتها.

وقد نص على ذلك سيبويه بقوله: " فإنما تبدل مكان كل همزة ساكنة؛ الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها"(١).

وقد وضح الرضى سبب قلب الثانية: " لأن الثقل منها حصل، وإنما دبرت بحركة ما قبلها لتناسب الحركة الحرف الذي بعدها فتخفف الكلمة"(٢).

وقد فصّل ابن عصفور حالات قلب الهمزة على النحو الآتي:

أ- إذا التقت همزتان الأولى مضمومة والثانية ساكنة قلبت الثانية إلى واو.

يقول : " فإن انضم إليها همزة أخرى فتقول في " أفْعِل" من " أتى" "أوْتي" وأصله " أؤتي" إلا أنه رفض الأصل هروباً من اجتماع الهمزتين فلزم البدل"(٣).

ب-إذا التقت همزتان الأولى مفتوحة والثانية ساكنة قلبت الثانية إلى ألف مثل: آدم وآمن أصلهما: أأدم وأ أمن . يقول: " فأبدلت يعني الألف من الهمزة إذا كان الحرف المفتوح الذي تليه الهمزة الساكنة همزة، التزم قلب الهمزة الثانية ألفاً، نحو آدم وآمن، أصلهما أأدم وأأمن، إلا أنه لا ينطق بالأصل، استثقالاً للهمزتين في كلمة واحدة " (٤). وقد نص على هذا ابن يعيش بقوله: " إن الهمزة حرف مستثقل لأنه بعد مخرجها إذ كانت نبرة في الصدد تخرج باجتهاد فثقل عليهم إخراجها لأنه كالتهوع ولذلك مال أهل الحجاز إلى تخفيفها وإذا كان ذلك في الهمزة الواحدة فإذا اجتمع همزتان ازداد الثقل، ووجب التخفيف ، وإذا كانتا في كلمة واحدة كان الثقل أبلغ ووجب إبدال الثانية إلى حرف لين، نحو: آدم وآخر... فأما آدم فأصله أأدم بهمزتين الأولى همزة أفعل والثانية فاء الفعل

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٣|٥٤٤.

(٢) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|٥٢.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١|٣٦٥.والمقرب ص٥٢٦.

(٤)المرجع نفسه، ١/٤٠٤.

لأنه من الأدمة ، وكذلك آخر من التأخر، فأبدلوا من الثانية ألفاً محضة وذلك لسكونها وانفتاح ماقبلها"[١].

٢- أما إذا كانت الهمزتان متحركتين فإنهما تردان على النحو الآتي:

أ- **إذا التقت همزتان الأولى مفتوحة والثانية مكسورة قلبت الثانية إلى ياء** . نحو : أيّمة. يقول ابن عصفور : " إذا التقت همزتان وكانت الثانية متحركة بالكسر قلبت الثانية ياء على اللزوم . نحو قولهم: أيّمة في جمع إمام ، أصله أإمة ثم أدغمت فقلت: أئِمّة ثم أبدلت من الهمزة المكسورة ياء"[٢].

وقد نص على هذا ابن يعيش بقوله :" وأما أيّمة ، فهو في الأصل أئِمة مع وزن أفْعله؛ لأنه جمع إمام، فاجتمع في أوله همزتان: الأولى همزة الجمع، والثانية فاء الكلمة، واجتماع الهمزتين في كلمة غير مستعمل فوجب تخفيفها ، وكان القياس قلب الهمزة الثانية ألفاً لسكونها، لكنه لما وقع بعدها مثلان وهما الميمان وأرادوا الإدغام نقلوا حركة الميم الأولى وهي الكسرة إلى الهمزة وأدغموا الميم في الميم فصارت أئمة ... رفضوا فيها بقايا الهمزة فأخلصوها ياء فقالوا أيمة" [٣].

ب- **أن تكون الهمزتان مفتوحتين تقلب الثانية إلى واو**، نحو: أوادم جمع آدم[٤]. ونص سيبويه على ذلك بقوله:" وإن جمعت آدم قلت أوادم"[٥] .

ولم يورد ابن عصفور إذا كانت الهمزة الأولى مضمومة، ووردت عند سيبويه في تصغير آدم يقول: " كما أنك إذا حقرت قلت أويدم"[٦].

ويمكن تفسير هذه البنى على النحو الآتي:

أأمن ʔaʔ|man ، أؤتي ʔuʔ|tii ، إئمان ʔiʔ|maan نلاحظ من خلال الأمثلة السابقة، أن النسيج المقطعي لهذه البنى استهل بمقطع متوسط مغلق (ص ح ص) شغلت كل من الفتحة والضمة والكسرة على التوالي موقع النواة، في حين شغلت فيه الهمزة موقع المطلع والخاتمة معاً، ومن المعلوم أن النطق بصوت الهمزة منفردة من أصعب الأصوات.

---

(١) ابن يعيش، المفصل، ٩|١١٦.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١|٣٨٠.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٩|١١٧.

(٤) ينظر : ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١|٣٦٥.

(٥) سيبويه، كتباب سيبويه، ٣|٥٥٢.

(٦) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

وقد نص على هذا إبراهيم أنيس حين قال: " ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً ثم انفراجه فجأة ، عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر، مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات"(١).

كما نص أيضاً على " أن النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية"(٢).

وقد نص برجشتراسر على أن " الهمزة أصعب إخراجاً من غيرها من الحروف فينبغي لإخراجها تغليق فم الحنجرة، وهو مفتوح في غيرها، فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام"(٣).

وقد قرر علماؤنا القدامى هذه الحقيقة، وما جاء به المحدثون، لا يختلف كثيراً عما عند القدماء. ولكن كان اعتمادهم – أي المحدثين– في إخراج هذه الحقائق مستنداً على تجارب مخبرية مع تغيير في بعض المصطلحات.

فقد نص سيبويه من قبل على أن: " الهمزة نبرة في الصدر نخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوع"(٤).

ونص أيضاً على أن: " الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة فإن أهل التحقيق يخففون أحدهما ويستثقلون تحقيقهما، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة، فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا"(٥).

وقد نص ابن جنى على أنه: " إنما لم تجتمع الفاء والعين، ولا العين واللام همزتين لثقل الهمزة الواحدة.. فكان النطق به تكلفاً، فإذا كرهت الهمزة الواحدة فهم باستكراه الثنتين ورفضهما – لا سيما إذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين؛ فاء وعيناً ، أو عيناً ولاماً– أحرى، فلهذا لم تأت في الكلام لفظة توالت فيها همزتان أصلان البتة"(٦).

وقد ذهب صاحب الرعاية إلى أن العرب لم تحقق همزتين من أصل الكلمة يقول : " لم تستعمل العرب همزتين محققتين من أصل الكلمة"(٧).

---

(١) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٩٠.

(٢) أنيس، إبراهيم،(١٩٧٥)، في اللهجات العربية، ط٣، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ص٧٧.

(٣) برجشتراسر،(١٩٨٢)، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه، ورمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي، ص٤٢.

(٤) سيبويه، كتاب سيبويه، ٣|٥٤٨.

(٥) المرجع نفسه، ٣|٥٤٨-٥٤٩.

(٦) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١|٨١.

(٧) ابن أبي طالب، مكي، الرعاية، ص ١١٩.

وقال في موضع آخر: " الهمزة حرف ثقيل فغيرته العرب لثقله"[١].

إن هذه الأقوال لتؤكد أن الهمزة صامت قوي ويحتاج إنتاجه قديماً وحديثاً إلى جهد عضلي أكثر من غيره من الصوامت الأخرى، ولكن لماذا لم يبدل إلى صامت مثله أخف ثقلاً؟ لماذا أبدل إلى حركة طويلة أو نصف حركة أو كما ينعتها القدماء بحروف المد واللين؟ يبدو أن الجواب عن مثل هذه الأسئلة يحتاج إلى الاستئناس برأي المبرد عند القدماء أن الهمزة لا تبقى على صورة واحدة فأبدلوها لمشابهتها حروف العلة من جهة، ولاعتقاد القدماء بقرب المخرج بين الهمزة والألف، والألف تتبادل المواقع بين حروف العلة فحملوا الهمزة على الألف وتبادلت المواقع مع هذه الحروف من جهة أخرى.

وهذا زعم غريب وذلك أن آلية إنتاج الهمزة يختلف اختلافاً كلياً عن آلية إنتاج الألف (الحركة الطويلة). فالألف لا يوجد لها مخرج بعينه مثل الهمزة . ومن الجدير ذكره أن الناطق العربي في بعض الأحيان يعمد إلى السهولة والاقتصاد في المجهود العضلي. دون النظر إلى قوة الصامت أو ضعفه.

أما الأمثلة المتبقية لهذه الحالة- أي قلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء فالبنى المقطعية لها على النحو الآتي:

أءادم ʔa|ʔaa|dim ، أئمة ʔa|ʔim|mat أأيدم ʔa|ʔay|dim نلاحظ توالي الهمزات في مثل هذه البنى فعمد الناطق العربي إلى الفرار من توالي الأمثال. وهنا قلبت الهمزة إلى نصف حركة واو وياء.

ج- قلب الألف إلى ياء

تقلب الألف إلى ياء كما ذكرت كتب التراث الصرفي في الحالات التالية:

١- وقوع الألف بعد كسرة ، وذلك، نحو : مصباح ← مصيبيح.

يقول سيبويه: " وأما فعيعل مما كان على خمسة أحرف وكان الرابع ألفاً وذلك نحو: مصباح ومصيبيح " [٢].

ويقول الزمخشري: " والياء أبدلت من أختيها ومن الهمزة... فإبدالها من الألف في نحو: مفيتيح ومفاتيح. وهو مطرد"[٣].

---

(١) ابن أبي طالب مكي، الرعاية، ص ١١٩.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٣|٤١٦.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٢١.

ويذكر ابن يعيش " " فا بدا لها من الألف إذا انكسر ما قبلها ، نحو قولك في تصغير حملاق: حميليق، وفي تصغير قرطاس : قريطيس، وفي تصغير مفتاح: مفيتيح وكذلك التكسير نحو: حماليق وقراميس ومفاتيح... وإنما وجب قلبها ياء إذا انكسر ما قبلها لضعفها بسعة مخرجها فجرت مجرى المدة المشبعة عن حركة ما قبلها فلم يجز أن تخالف حركة ما قبلها مخرجاً، بل ذلك ممتنع مستحيل"(١).

ويذكر ابن عصفور في ذلك: " ... وإن كانت كسرة – يعني الحركة التي فيها– قلبت ياء نحو: شماليل جمع شملال"(٢).

٢– وقوع الألف بعد ياء التصغير:

يقول ابن عصفور : " ... وإن كان ثالثاً– يعني حرف العلة– فإما أن يكون ياءً وإما واواً وإما ألفاً، فإن كان ألفاً فإنك تدغم ياء التصغير فيها بعد تصييرها ياء فتقول في تصغير منار، وكتاب : منيّر وكتيّب"(٣).

ومما يؤخذ على هذه الأمثلة؛ وما جاء على شاكلتها أن الألف فيها لم تسبق بكسرة بل هي التي تحولت إلى كسرة كما يتضح ذلك من النسيج المقطعي لهذه البنى ، ولو سبقت بكسرة لكان هذا محذوراً، وهو تتابع حركات مختلفة، ومما يؤكد عدم وجود كسرة قبل الألف في هذه الأمثلة تقسيمها إلى مقاطعها الرئيسية قبل قلب الألف على النحو الآتي:

مفتاح mif|taah ⟵ مفاتيح ma|faa|tii|aah

مفتاح mif|taah ⟵ مُفَيْتِيح mu|fay|tii|aah

من الملاحظ من خلال النسيج المقطعي أن الناطق العربي أسقط الألف (الفتحة الطويلة)؛ لأن المقطع الذي جاءت فيه لا تجيزه اللغة العربية فأعاد تشكيل النسيج المقطعي لهذه البنى وما جاء على شاكلتها لينسجم مع القوانين المقطعية للغة.

أما في تصغير كتاب: ki|taab ⟵ كُتياب ku|tay|aab كُتيّب ku|tay|yib

فيبدو أن الألف قلبت إلى نصف حركة+ كسرة قصيرة ومع أن نصف الحركة ضعيفة إلا أنها كونت مع نصف الحركة السابقة إليها تعزيزاً لأنها أصبحت كالحرف الصحيح . والتضعيف يقوي نصف الحركة ويجعها كالصحيح كما نص على ذلك الإستربادي(٤).

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصّل ٢١/١٠.

(٢) ابن عصفور، المقرب، ص٥٥٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٤٤–٤٤٥.

(٤) الاستربادي، شرح الشافية، ٧٨|٣.

إضافة إلى أن الكسرة الطويلة في كلتا البنيتين لها دلالة، ففي البنية الأولى تدل على الجمع وفي البنية الثانية تدل على التصغير، وهي التي أطلق عليها المحدثون مصطلح مورفيم morpheme الذي يعني : " أصغر وحدة صرفية ذات معنى، أو أصغر وحدة لفظية ذات دلالة، أو أصغر عنصر من عناصر الكلمة له معنى، أو وظيفة نحوية معينة"(١).

ونرى عند شرف الدين الراجحي الخلل مركباً حين يذهب إلى وجود ياء مكسورة قبل الألف. يقول : تقلب الألف ياء في مسألتين:

١- أن ينكسر ما قبلها وذلك مثل كلمة مصباح فالمفروض أن نجمعها على (مصا باح) ولكن لأن الياء التي قبل الألف مكسورة فلا بد أن تقلب الألف إلى ياء في الجمع فتصير مصباح، وجمعها مصابيح...."(٢).

ويمكن تفنيد ما ذهب إليه من خلال النسيج المقطعي لهذه البنية.

مصباح ← مصابياح ← مصابيح

mis|baah ← ma|saa|byaah ← ma|saa|byiiih

فنجد أنه وقع في محاذير مقطعية لا تجيزها اللغة العربية ففي البنية الثانية وقع بالعنقود الفونيمي علاوة على أن النسيج الصوتي لهذا المقطع لا وجود له في العربية البتة. أما البينة الأخيرة فنلاحظ كما سبق عنقود فونيمي+ تتابع نصف حركة+ ثلاث حركات للكسرة القصيرة. فهذا المقطع يتكون من :

صامتين متواليين + كسرة قصيرة + كسرة طويلة + صامت.

إن ما حدث في هذه البنى هو المحافظة على علامة الجمع وعلامة التصغير لأنها لو حذفت أو تغيرت لأدى ذلك إلى تغيير البنية الصرفية للكلمة فأراد الناطق العربي أن يميز بين المفرد والجمع، مع المحافظة على مورفيم الجمع ليؤدي الدلالة التي وجد من أجلها.

د- قلب الواو ياء

أوردت كتب التراث اللغوي حالات كثيرة لقلب الواو ياء، غير أننا سنحاول في الصفحات التالية تجميع الحالات المختلفة، التي تربطها أو تجمع بينها أحكام واحدة أو متقاربة على النحو الآتي:

١- وقوع الواو إثر كسرة:

---

(١) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٩٨.

(٢) الراجحي، شرف الدين علي،(١٩٨٩)، البسيط في علم الصرف، دار المعرفة الجامعية، ص١٦٥.

يقول سيبويه: " وذلك قولك حالت حيالاً، وإنما قلبوها حيث كانت معتلة في الفعل، فأرادوا أن تعتل إذا كان قبلها كسرة، وبعدها حرف يشبه الياء، فلما كان ذلك فيها مع الإعتلال لم يقروها، وكان العمل من وجه واحد أخف عليهم وجسروا على ذلك الاعتلال مثل سوْط وسياط وثوْب وثياب وروْضة ورياض لما كانت الواو ميتة ساكنة"(١).

ويقول أيضاً:" وأما ما كان قد قلب في الواحد فإنه لا يثبت في الجمع إذا كان قبله كسرة؛ لأنهم قد يكرهون الواو بعد الكسرة حتى يقلبوها فيما قد يثبت في واحدة، فلما كان ذلك من كلامهم ألزموا البدل ما قلب في الواحد وذلك قولهم: ديمة وديم، وقامة وقيم ودار وديار، وهذا أجود أن يكون إذا كانت، فلما كانت الياء أخف عليهم، والعمل من وجه واحد، جروا عليه في الجمع إذا كان في الواحد محولاً، واستثقلت الواو بعد الكسرة كما تستثقل بعد الياء"(٢).

ويذهب إلى مثل هذا ابن جنى حيث يقول:" لما اعتلت الواو في حالت فانقلبت ألفاً وجاءت في حيال وقبلها كسرة اجتمع فيها: أن فعلها معتل، وأن قبلها في المصدر كسرة فانقلبت ياء، ولو كانت غير معتلة في الفعل لصحت في المصدر كما قالوا: قاومته قواماً"(٣).

ويقول في الجمع: " اعلم أن القلب إنما وجب في سياط ونحوه لأشياء تجمعت، لا لشيء واحد: منها: سكون الواو في الواحد، والحرف الساكن ضعيف يقبل العلة، ومنها: انكسار السين في سياط . ومنها : وقوع الألف بعد الواو، والألف قريبة الشبه من الياء. ومنها: أن الكلمة جمع والجمع أثقل من الواحد، فلما تجمعت هذه الأشياء المستثقلة كلها هربوا من الواو إلى الياء، ويدلك على أن مجموع هذه الأشياء هو الذي أوجب القلب"(٤).

ويقول: " قال أبو عثمان، وما كان واحده مقلوباً فهو في الجمع مقلوب إذا انكسر ما قبله نحو: ديمة وديم وحيلة وحيل وقيمة وقيم . وإنما وجب قلب هذا الضرب في الجمع، لأنه قد كان في الواحد مقلوباً، لانكسار ما قبل عينه، فلما جاء الجمع ترك مقلوباً على حاله"(٥).

وقد كان ابن عصفور أكثر تفصيلاً في هذه القاعدة، حيث تناولها من حيث الاسم والفعل: يقول في الأسم " وإذا كان على فِعل بكسر الفاء وفتح العين جمعاً، لما قلبت فيه الواو ياء، أو ألفاً ، فإن الواو تنقلب فيه ياء لانكسار ما قبلها، مع أنهم أرادوا أن تعتل في الجمع كما

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٦٠-٣٦١.

(٢) المرجع نفسه، ٤|٣٦٠-٣٦١.

(٣) ابن جني، المنصف، ص٢٨٣.

(٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٨٤.

اعتلت في المفرد وذلك نحو: قامة وقيم وديمة وديم، والأصل: قوَم ودوَم؛ لأنها من قام يقوم ودام يدوم"[١].

ويقول في فِعال:" إذا كان مصدراً لفعل معتل بالواو أو جمعاً لمفرد عينه واو وقد سكنت الواو في مفرده، أو اعتلت بقلبها ألفاً، فإنك تقلب الواو ياء وذلك نحو: قام قيام، وسوط سياط ، ودار ديار. والأصل قوام وسواط ودوار"[٢].

ويذكر في الفعل: " فإن كان الفعل على فَعِل من ذوات الواو قلبت الواو ياء نحو: شقيَ، ورضيَ؛ لأن الواو وقبلها كسرة بمنزلة الواو والياء، لأن الكسرة بعض الياء"[٣].

ويذكر ابن يعيش أسباب هذا القلب بقوله: " أما ما كان من المصادر معتل العين بالواو نحو حال حيالاً، وعاذ عياذاً، وقام قياماً، فإن الواو تقلب فيه ياء وذلك لمجموع أمور ثلاثة: أحدهما: أنها اعتلت في الفعل، والمصدر يعتل باعتلال فعله؛ لأن كل واحد منهما يؤول إلى صاحبه. والثاني: كون الكسرة قبلها، والكسر بعض الياء. والثالث: كون ما بعدها ألفاً، والألف تشبه الياء من جهة المد واللين وإنها تقلب في مواضع، فاجتماع هذه الأمور موجب لقلبها ياء وشبهوها ههنا بواو قبلها ياء ساكنة... وكان ذلك أخف عليهم إذ كان العمل من وجه واحد، والمراد من قولنا وجه واحد أن الخروج من الكسرة إلى الياء ثم إلى الألف التي تشبه الياء أخف عليهم من الخروج من الكسرة إلى الواو"[٤].

ويقول في الجمع: " وأما حوض وحياض وسوط وسياط فإنما قلبت واوه ياء حملاً على دار وديار وريح ورياح، وذلك لأنه جمع ، والجمع أثقل من الواحد، وأن واو واحدة ضعيفة ميتة لسكونها، وأن قبل الواو كسرة كالكسرة في رياح وديار، وأن بعد الواو ألفاً والألف تشبه الياء"[٥].

في هذه الحالة وما جاء على شاكلتها من أمثلة نرى من خلال النسيج المقطعي لها، وهو على النحو الآتي:

قِوَم qi|wam	قيام qi|yam
سِواط si|waat	سياط si|yaat
رَضِوَ ra|di|wa	رَضي ra|di|ya

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف،٢|٤٧١.

(٢) المرجع نفسه، ص٢|٤٩٥.

(٣) المرجع نفسه، ٢|٥٢٢-٥٢٣.

(٤) ابن يعيش ، شرح المفصل، ١٠|٨٧.

(٥) المرجع نفسه، ١٠|٨٨.

وقوع الكسرة وهي حركة قصيرة في نهاية مقطع، متلوة بمقطع آخر مبدوء بواو وهذا يتطلب انتقالاً مباشراً بين منطقة نطق الكسرة، وهي منطقة أمامية إلى منطقة نطق نصف الحركة (الواو) وهي منطقة خلفية، وهذا ما أكده القدماء من صعوبة الانتقال من الكسرة إلى الواو. وقد نص عليه المحدثون أيضاً ففليش يقول: " عندما تلتقي الواو بالكسرة قد يحدث أن ترى نوعاً من تكلف النطق وثقله ، فلكي تنطق بالواو تستدير الشفتان، ولكي تنطق بالكسرة يحدث العكس، فتنفرجان"(١).

لقد عمد الناطق العربي بهذا القلب إلى إحداث مجانسة صوتية عن طريق قلب الواو نصف الحركة، إلى نصف حركة من جنس الكسرة وهي الياء.

٢- وقوع الواو ساكنة غير مشددة إثر كسرة، مثل : ميزان وميعاد.

فيقول سيبويه: " ومن ذلك قولهم الميزان والميعاد؛ وإنما كرهوا ذلك كما كرهوا الواو مع الياء في ليّة وسيّد ونحوهما، كما يكرهون الضمة بعد الكسرة حتى إنه ليس في الكلام أن يكسروا أول حرف ويضموا الثاني نحو : فِعُل ولا يكون ذلك لازماً في غير الأول إلا أن يدركه الإعراب نحو قولك: فَخِذٌ. وترك الواو في موْزان أثقل من قبل أنه ساكن فليس يحجزه عن الكسر شيء... فالواو والياء بمنزلة الحروف التي تدانى في المخارج، لكثرة استعمالهم إياهما، إنها لا تخلو الحروف منها ومن الألف أو بعضهن فكان العمل من وجه واحد أخف عليهم"(٢).

يقول ابن جنى : " لأن الواو ساكنة إذا انكسر ما قبلها أبدلت ياء، نحو: ميزان وميعاد وهذا أقيس، وفيه بعد الكسرة الياء"(٣).

ويذكر ابن يعيش : " وأما إبدالها من الواو فإذا سكنت وانكسر ما قبلها ولم تكن مدغمة نحو: ميقات وميزان"(٤).

ويشير ابن عصفور إلى هذا القلب بقوله: " أن تقع- يعني الواو- ساكنة بعد كسرة فإنها تقلب ياء، نحو: ميزان وميعاد والأصل فيهما موْزان وموْعاد لأنهما من الوزن والوعد، فقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها"(٥).

---

(١) فليش، هنري، (١٩٨٣)، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، ط٢، تحقيق وتعريب عبد الصبور شاهين، بيروت: دار الشروق، ص٢٠٤.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٣٥.

(٣) ابن جني، المنصف، ص٢٠٣،١٩١.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٢١.

(٥) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٤٣٦.

ويذهب ابن جنى إلى وجود تقارب بين الواو والياء. يقول: " تقلب الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها نحو ميزان وميقات وميلاد...فالجواب في ذلك أن بين الياء وبين الواو قرباً ونسباً ليس بينهما وبين الألف... فلما كان بين الياء والواو هذا التقارب وتباعدتا من الألف هذا التباعد جذبت كل واحدة منهما صاحبتها إليها، لأنهما صارتا بمنزلة الحرفين يتقارب مخرجهما فقلبت الواو للكسرة قبلها"(١).

لقد خلط القدماء بين الواو والياء نصفي الحركة، وبين الياء والواو الحركتين الطويلتين. ففي هذه الأمثلة وما ماثلها جاء النسيج المقطعي لها على النحو الآتي:

مِوْزان miw|zaan ميزان mii|zaan

مِوْعاد miw|caad ميعاد mii|caad

إن ما ذهب إليه القدماء من قلب الواو إلى ياء لا ينطبق على هذه القاعدة فهنا، وبناء على الظاهر من النسيج المقطعي لهذه البنى، نجد أن الواو، وهي نصف حركة، وقعت ساكنة في نهاية مقطع، فضعفت، فقلبت إلى كسرة قصيرة، كونت مع الكسرة السابقة لها كسرة طويلة. وقد أدى هذا القلب إلى إحداث تجانس بين الأصوات المتجاورة.

٣- وقوع الواو والياء متصلتين في كلمة، شريطة كون أولهما أصلاً ساكناً، نحو سيّد وميّت وطيّ.

يقول سيبويه: " وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التي تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم إياهما وممرهما على ألسنتهم، فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها كان العمل من وجه واحد، ورفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم، وكانت الياء الغالبة في القلب لا الواو؛ لأنها أخف عليهم، لشبهها بالألف وذلك قولك في فيعل : سيّد وصيّب، وإنما أصلهما سَيْوِد وصَيْوِب"(٢).

وأشار ابن يعيش إلى هذا القلب بقوله: " وأما سيّد وليّة، فأصل سيّد سيود فيعل من ساد يسود، وأصل ليّة لويّة فعلة من لوى يده ولوى غريمه إذا مطله، فاجتمعت الواو والياء وهما بمنزلة ما تدانت مخارجه، وهما مشتركان في المد واللين،والأولى منهما ساكنة، فقلبت الواو ياء ثم أدغمت الياء في الياء، لأن الواو تقلب إلى ياء ولا تقلب الياء إلى الواو؛ لأن الياء أخف، والإدغام نقل الأثقل إلى الأخف"(٣).

---

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١|٢٣-٢٤.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٦٥.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٢٣.

ويقول ابن عصفور: " فإن كان الساكن مخالفاً للام، أعني بأن يكون أحدهما واواً والآخر ياء، قلبت الواو ياء تقدمت أو تأخرت وأدغمت الياء في الياء"(١).

وقد عرض لهذه الظاهرة ابن الحاجب حيث قال: " وتقلب الواو عيناً أو لاماً أو غيرهما ياء، إذا اجتمعت مع ياء، وسكن السابق وتدغم ويكسر ما قبلها إن كانت ضمة، كسيّد... وديّار... وطيّ"(٢).

وينص ابن عقيل على هذا القلب بقوله: " إذا اجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون، كان سكونها أصلياً- أبدلت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء وذلك نحو: سيّد وميّت، والأصل سيود وميوت فاجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء؛ فصارت سيّد وميّت"(٣).

تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية الآتية:

سَيْود say|wid > سيّد say|yid

طوْي tawy > طيّ tayy

إن ما ذهب إليه القدماء إلى تماثل الأصوات المتجاورة ليكون عملهم من وجه واحد أدى إلى مثل هذا القلب، علاوة على أن الواو والياء وهما صامتان ضعيفان يستثقل اجتماعهما معاً، ويلجأ إلى تخفيف ثقل اجتماعهما بالإدغام على حد قول الرضي"(٤).

إضافة إلى أن الناطق العربي يلجأ في نطقه إلى الأخف يقول ابن جنى: " خفة الياء وثقل الواو فهربوا إلى الأخف" (٥).

٤- وقوع الواو لاماً في صيغة اسم المفعول من الفعل الذي ماضيه على وزن فعِل نحو: مرضيّ وأصلها مرضوو، أو وقوعها لاماً في صيغة فعول نحو: عصيّ وأصلها عصوو، فقلبت الواو الأخيرة ياء فأصبحت مرضوي وعصوي، ثم قلبت الواو الأولى ياء فأصبحت ياءان فأدغمتا فأصبحت مرُضيّ وعِصي ثم كسر الحرف السابق عليهما، فأصبحت البينة في صيغتها النهائية هكذا مرضيّ عِصيّ.

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/٥٤٩.

(٢) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣/١٣٩.

(٣) ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ٤/٢٢٧-٢٢٨.

(٤) ينظر الإستراباذي، شرح الشافية، ٣/١٣٩-١٤٠.

(٥) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢/٥٨٥.

إن هذه القاعدة تحتاج إلى أكثر من حركة في البينة حتى تصل إلى صورتها التي تحقق الخفة للناطق العربي، فالحركة الأولى قلب الواو الأخيرة إلى ياء، والحركة الثانية قلب الواو الأولى إلى ياء، والحركة الثالثة الإدغام، والحركة الأخيرة كسر ما قبل الياء.

يقول ابن جنى: " قال أبو عثمان: فإذا جاءت الواو ثقيله مثل هذه الواو، وكان الذي هي فيه جمعاً قلبت الواو ولم يجز ثباتها نحو: عصا عِصيّ وعات وعُتيّ، وإن شئت كسرت أول الكلمة وإن شئت ضممته... وإنما لزم باب عصيّ القلب؛ لأن الجمع أثقل من الواحد، فإذا كان الواحد يقلب في نحو: مرضيّ ومسنيّ، وإنما هو من سنوت ومن الرضوان ألزموا الجمع الإبدال" (١).

يقول ابن السراج في هذا القلب: " وتبدل الياء من الواو... ومن ذلك مرميّ ومقضيّ، إنما هو مفعول وكان القياس أن تقول مقضوي ومرموي ولكن لما سكنت الواو بعدها الياء قلبوها ياء وأدغموها فيها"(٢).

ويشير ابن الحاجب إلى هذه القاعدة بقوله: " كل مفعول ليس الضمة فيه على الواو، لكنه من باب فَعِل بالكسر نحو: مرضيّ"(٣).

ويقول أيضاً في وقوع الواو لاماً في صيغة فعول جمعاً نحو: جثيّ " وأصله جثوو فقلبت الواو المتطرفة ياء ثم قلبت الواو قبلها ياء أيضاً لاجتماعها مع الياء وسبق إحداهما بالسكون ثم قلبت التاء كسرة"(٤).

ويقول ابن عصفور: " في " فعول" جمعاً فإنه يلزم قلب الواو الثانية ياء ثم تقلب الأولى ياء لإدغامها في الياء ثم تقلب الضمة كسرة، وذلك عُصيّ ودليّ. والسبب في ذلك ثقل الجمعية"(٥).

وينص أيضاً على قلب الواو ياء في صيغة مفعول بقوله: " ولا يحفظ قلب واو مفعول ياء، إلا أنه يدغم نحو: " مرميّ" "(٦) .

ويبين ابن يعيش سبب هذا القلب بقوله: " فأما عصيّ وحقيّ ودليّ ونحوها فإن عقد ذلك إن كل جمع يكون على فعول ولامه واو فإن اللام تنقلب ياء فيصير عصوي فيجتمع الواو والياء

---

(١) ابن جني، المنصف، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٢) ابن السراج، الأصول، ٣|٢٦٣.

(٣) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|١٧١.

(٤) المرجع نفسه، ٣|١٧١.

(٥) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٥٥١.

(٦) المرجع نفسه، ٢|٦٠٥. وينظر ص٤٥٩.

والأول ساكن فتقلب الواو ياء وتدغم في الياء والعلة في ذلك... أن الواو فيها طريقان : أحدهما أن الواو الأولى مدّة زائدة فلم يعتد بها فصارت الواو التي هي لام الكلمة كأنها وليت الضمة فصارت في التقدير عصو فقلبوا الواو ياء. والآخر : أنهم نزلوا الواو الزائدة منزلة الضمة... وانضاف إلى ذلك كون الكلمة جمعاً والجمع مستثقل"(١).

يسير هذا القلب في الأمثلة السابقة على النحو الآتي:

عصوو cu|suuw ← عصوي ca|suuy ← عِصيّ ci|siyy

مماثلة ثقيله اجتماع واوين ← مخالفة أخف من ثقل الأولى ← مماثلة خفيفة مع تجانس حركي فعمد الناطق إلى التخلص من الثقل؛ لأن اجتماع الضمة والواو يعد أمراً مستثقلاً على حد قول ابن عصفور"(٢).

وقد نص أيضاً على أن: " الضمة بمنزلة الواو فإن كانت الواو مضمومة فكأنه قد اجتمع لك وا وان"(٣).

والياء كما نص القدامى أخف من الواو. يقول الإستراباذي: " فقلبت إلى حرف أخف من الواو وهو الياء"(٤).

٥- وقوع الواو متطرفة رابعة فصاعداً، نحو : أغزيت وقد نص سيبويه على ذلك: " وذلك إذا كانت فعلت على خمسة أحرف فصاعداً وذلك قولك أغزيت وغازيت واسترشيت. وسألت الخليل عن ذلك فقال: إنما قلبت ياء لأنك إذا قلت يُفعِل لم تثبت الواو لكسرة، فلم يكن ليكون فعلت على الأصل وقد أخرجت يفعل إلى الياء وأفعل وتفعل ونفعل"(٥)

وقد نص على هذا القلب ابن عصفور بقوله: " إن الفعل إذا لزم فيه الإعلال في بعض المواضع، حملت سائر المواضع على ذلك؛ وإن لم يكن فيها موجب، نحو: أغزيت قلبت فيه الواو ياء حملاً على يغزي، وإن لم يكن في أغزيت ما في يغزي من انكسار ما قبل الواو المتطرفة"(٦).

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٢١-٢٢.

(٢) ينظر ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١|٣٣٣ و ٢|٤٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ١|٣٣٣.

(٤) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|١٦٧.

(٥) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٩٣.

(٦) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٥٤٠ و ٥٢٢-٥٣٩.

وقد أشار ابن الحاجب إلى هذه الظاهرة بقوله: " وتقلب الواو ياء إذا وقعت مكسوراً ما قبلها، أو رابعة فصاعداً، لم ينضم ما قبلها كدعي ورضي... وأغزيت"(١).

ويذكر ابن الحاجب وشارح شافيته شرطين لقلب الواو ياء في مثل هذه الحالة، وهما:

"١- لا يجوز قلبها ألفاً إما لسكون الواو كما في أغزيت، واستغزيت أو للالتباس كما في يغزيان... فما دام يمكنهم قلبها ألفاً لم تقلب ياء، إذ الألف أخف.

٢- أن لا يجيء بعدها حرف لازم، يجعلها في حكم المتوسط... وإنما قلبت الواو المذكورة ياء... لكونها رابعة ومتطرفة ... فقلبت إلى حرف أخف من الواو وهو الياء"(٢).

وقد عزا ابن يعيش سبب هذا القلب إلى الحمل على المضارع، يقول :" فأما أغريت فأصلها أغزوت، وإنما قلبوها ياء لوقوعها رابعة، والواو إذا وقعت رابعة فصاعداً قلبت ياء، وإنما قلبوها ياء حملاً لها على مضارعها في يغزي، وإنما قلبت في المضارع لوقوعها طرفاً بعد مكسور"(٣).

إن سبب هذا القلب كما يرى القدماء هو الهروب من الثقل؛ لأن الواو ثقيلة فقلبوها إلى ياء لأنها أخف منها. ولكن كما يبدو من الكتابة الصوتية لهذا المثال وما جاء على شاكلته المتمثلة فيما يأتي:

أغزوت ʔaδ|zawt > أغزيت ʔaδ|zayt

أن سبب القلب يعود إلى الصعوبة الانتقالية من موضع الفتحة القصيرة إلى الواو (نصف الحركة)، فلجأ الناطق إلى الانتقال من الفتحة القصيرة إلى نصف الحركة (الياء) المتسمة بخفة أكثر من الواو.

٦- وقوع الواو لاماً لصيغة فُعلى، نحو: دنيا وقصيا، وأصلهما: دنوا وقصوى.

يقول سيبويه: " وتبدل- يعني الياء- من الواو لاماً في قصيا ودنيا ونحوهما"(٤).

وينص أيضاً: " أما فُعْلى من بنات الواو فإذا كانت اسماً فإن الياء مبدلة مكان الواو"(٥).

ويقول المازني: " وأما فُعْلى إذا كانت اسماً أبدلت الياء مكان الواو، وذلك: العليا والدنيا والقصيا"(٦).

---

(١) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|١٦٠.

(٢) المرجع نفسه، ٣|١٦٦-١٦٧.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٩٨-٩٩.

(٤) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٢٣٩.

(٥) المرجع نفسه، ٤|٣٨٩.

(٦) ابن جني، المنصف، ص٤١٤.

ويقول ابن يعيش: " وفعلى تقلب واوها ياء في الاسم دون الصفة، والاسم نحو: الـدنيا والعليا والقصيا، وقد شذ القصوى... وهي في الحقيقة صفات إلا أنها جرت مجـرى الأسـماء لكثرة استعمالها مجردة من الموصوفين"(١).

ويشير ابن عصفور إلى هذا القلب بقوله: " أن يكون الاسم على وزن فُعْلى وتكون لامه واواً، فإن العرب تبدل من الواو ياء في الاسم، وذلك نحو: العليا والدنيا والأصل فيهما الـدنوى والعلوى، فقلبت الواو ياء ، والدليل على ذلك أن الدنيا من الدنو والعليا من علوت"(٢).

إن مثل هذا لا يسوغه إلا كون الياء أخف في النطق من الواو، إضافة إلى أن الانتقال من الياء (نصف الحركة) إلى الألف (الفتحة الطويلة) يعد أسهل من الانتقال من الواو (نصف الحركة) إلى الفتحة الطويلة.

هـ: قلب الياء واواً:

ذكرت كتب الصرف أن الياء تقلب إلى واو في الحالات التالية:

١- إذا وقعت ساكنة غير مشددة بعد ضمة، في كلمة غير دالة على الجمع، نحـو: مـوقن وأصلها مُيقن.

وقد نص سيبويه على هذا بقوله: " فإن اسكنتها وقبلها ضمة قلبتها واواً.... ذلك نحـو: موقن وموسر"(٣).

وقد أشار ابن جنى إلى سبب هذا القلب بقوله:" هذه الياء التي أبدلت فيها الواو على ثلاثة أضرب: أصل، وبدل، وزائدة، فالأصل قولك من أيقن وأيسر: موقن وموسر.. وإنما قلبت الياء الساكنة واواً للضمة قبلها، من قبل أن الواو والياء أختان"(٤).

ويقول أيضاً: " قال أبو عثمان: واعلم أن الياء إذا كانت فاءً فمجراهـا مجـرى سـائر الحروف إلا في أشياء... تقول في مُفعِل من يئس مُوْئس، فتبدل الياء واواً لانضمام مـا قبلهـا، ومثل ذلك موقن وموسر لأنهما من أيقن وأيسر فعلت ذلك بالياء حين انضم ما قبلها، كما أبدلت الواو ياء لانكسار ما قبلها في ميزان وميقات، فهذا سبيل الياء هنا"(٥).

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٢٩.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/٥٥١.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٣٨.

(٤) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢|٥٨٤.

(٥) ابن جني ، المنصف، ص٢٠٣.

ويبين ابن جنى سبب هذا القلب بقوله: " وإنما وجب قلب الياء الساكنة واواً إذ انضم ما قبلهـــا ، لأنها لما سكنت ضعفت، فقويت الضمة قبلها على قلبها، كما انقلبت في ميزان الواو ياء لانكسار ما قبلها وضعفها بالسكون"(١).

ونص ابن يعيش على هذا القلب بقوله: " وقد أبدلت من اليـــاء فـــي مـــوقن وموســـر ونحوهما، وذلك أن أصل موسر ميسر بالياء لأنه من اليسر، وأصل موقن الياء لأنه من اليقين، وإنما صارت واوا لسكونها وانضمام ما قبلها"(٢).

وورد مثل هذا القلب عند ابن عصفور ، حيث يقول: " أن تقع ساكنة بعد ضـــمة فإنهـــا تقلب واواً : نحو: موقن أصله مُقين لأنه من اليقين، فقلبت واواً لسكونها وانضمام ما قبلها"(٣).

إن ما ذهب إليه القدماء من قلب الياء واواً لا يتفق والكتابة الصوتية لبنى الأمثلة السابقة، فالكتابة الصوتية المتمثلة فيما يأتي:

مُيقِن muy|qin مُيسر muy|sir

إن الياء هنا، وهي نصف حركة، قلبت إلى ضمة قصيرة كونت مع الضمة السابقة ضمة طويلة إن ما ذهب إليه ابن جنى من أن الواو والياء أختان لا يتفق هذا النعت: هنا لأن الياء هنا نصف حركة والواو التي ذهب القدماء إلى أنها منقلبة عن الياء هي ضمة طويلة، وليست اليـــاء كما ذكرت سابقاً هي التي قلبت إلى واو وإنما قلبت إلى ضمة قصيرة. وهنا نصف الحركة قلبت إلى حركة .

والذي دعا القدماء إلى هذا أنهم توهموا أن الضمة التي كانت قبل الياء بقيت قبل الـــواو (الضمة الطويلة) لهذا ذهبوا إلى أن الياء قلبت إلى واو. علاوة على أنهم لم يفرقوا بـــين الـــواو بوصفهما نصف حركة والواو بوصفها حركة طويلة.

٢- إذا وقعت وهي عين لصيغة (فُعلى)، بعد ضمة.

وقد نص سيبويه على هذا القلب بقوله: " وذلك فُعلى إذا كانت اسماً. وذلك: الطوبى والكوســـى لأنها لا تكون وصفاً بغير الألف واللام، فأجريت مجرى الأسماء التي لا تكون وصفاً"(٤).

---

(١) ابن جني، المنصف، ص٢٠٤.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٣٠.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٤٣٦-٤٣٧.

(٤) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٦٤.

وقد أشار ابن يعيش إلى هذا القلب بقوله: " ومن ذلك "طوبى" الواو فيه مبدلة من اليـاء لأنه فُعلى من الطيب قلبوا ياءه واواً للضمة قبلها مع سكونها، ومثلـه الكوسـى وهـو مؤنـث الأكيس"(١).

ويقول ابن السراج: " وأبدلوها- يعني الياء- وهي عين فُعلى، وذلـك، قـولهم: هـذه الكوسى والطوبى، وهو من الكيس والطيب، وإنما أبدلوها للضمة قبلها، فإن كانت صـفة لـيس فيها ألف ولام ردوها إلى أصلها"(٢).

ويشير ابن عصفور إلى هذا القلب بقوله:" فُعلى مما عينه ياء فإنه لا يخلو أن يكون اسماً أو صفة فإن كان اسماً قلبت واواً نحو: طوبى"(٣).

إن الخلط بين الواو والياء نصفي الحركة وبين الواو والياء الحركات أوقع القدماء فـي خطأ في تفسير هذه السلوكات الصرفية، فالكتابة الصوتية لمثل هذه البنى توضح لنا هذا الخلط.

طيبى tuy|baa طوبى tuu|baa

فالياء بوصفها نصف حركة قلبت إلى ضمة قصيرة كونت مع الضمة الـسابقة عليهـا ضمة طويلة وهو ما اصطلح القدماء على تسميتها بالواو، وما ذهب إليه القدماء من قلب اليـاء إلى واو لا يتفق مع الدراسات الصوتية الحديثة. وذلك لأنه لا يمكن أن تجتمع حركتان متتاليتان وهي : الضمة المتوهمة قبل الواو+ الواو الطويلة.

٣- إذا وقعت لاماً لاسم على وزن فَعْلى، نحو : تقوى وفتوى، وأصلهما: تقيا وفتيا.

وقد نص على هذا القلب سيبويه بقوله: " وذلك فعلى إذا كانت اسـماً، أبـدلوا مكانها الواو، نحو: الشروى والتقوى والفتوى. وإذا كانت صفة تركوها علـى الأصل"(٤).

ويقول ابن جنى: " قال أبو عثمان: وذلك فَعلى إذا كانت اسماً أبدولها مـن اليـاء واواً، وذلك نحو: الشروى والتقوى والرعوى والعدوى، والضمة تترك على حالها نحو: خزياً وصدياً

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٣٠.

(٢) ابن السراج، الأصول في النحو، ٢|٢٦٧.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٤٩٣.

(٤) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٨٩.

وريّاً... وذلك أن الياء أخف من الواو، وقد غلبت الواو في أكثر المواضع حتى أثرت عليها، فأرادوا أن يعوضوا الواو من كثرة دخول الياء عليها،فقلبوا الياء واواً"(١).

وبين سبب هذا القلب في الاسم دون الصفة لأن الصفة أثقل من الاسم. يقول : " لأن الواو أثقل من الياء، فلما اعتزموا على قلب الأخف إلى الأثقل ، لضرب من التوسع في اللغة- جعلوا ذلك في الأخف؛ لأنه أعدل من أن يجعلوا الأثقل في الأثقل؛ والأخف هو الاسم، والأثقل هو الضمة لمقاربتها الفعل"(٢).

وقد تناول ابن يعيش هذا القلب بضرب من التفصيل يقول: " وأما بقوى ونحوه مما هو من الأسماء على فعْلى معتل اللام، فما كان ذلك من الياء فإنك تقلب ياءه إلى واو نحو: التقوى والرعوى والشروى فالتقوى من وقيت والبقوى من بقيت أي انتظرت، والرعوى من رعيت والشروى من شريت، والصفة تترك على حالها نحو: خزياً وصديا وريّا ولو كانت ريّا اسماً لقلت روّا كأنهم بين الاسم والصفة، وإنما قلبوا الواو إلى ياء ههنا لأن الياء أخت الواو، وقد غلبت الياء الواو في أكثر المواضع... فأرادوا أن يعوضوا الواو من كثرة دخول الياء عليها، فيكون ذلك كالقصاص، فقلبوا الياء واواً ههنا، وإنما اختصوا هذا القلب بالاسم دون الصفة؛ وذلك لأن الواو أثقل من الياء، فلما عزموا على قلب الأخف إلى الأثقل بضرب الاستحسان جعلوا ذلك في الأخف؛ لأنه أعدل من أن يجعلوا الأثقل في الأثقل، والأخف هو الاسم والأثقل هو الصفة"(٣).

ويذهب ابن عصفور إلى مثل ابن يعيش حيث يقول:" أن يكون الاسم على وزن فعْلى مما لامه ياء، وذلك قولهم شروى وتقوى وفتوى، فإن العرب تبدل من الياء واواً في الاسم، والصفة تترك على حالها، نحو: خزياً وصديا، وإنما فعلوا ذلك تفرقة بين الاسم والصفة، وقلبوا الياء واواً في الاسم دون الصفة؛ لأن الاسم أخف من الصفة، لأن الصفة تشبه الفعل، والواو أثقل من الياء، فلما عزموا على إبدال الياء واواً جعلوا ذلك في الاسم لخفته، فكان عنده من أجل ذلك أحمل للثقل"(٤).

إن القدماء في تفسيراتهم يريدون أن يحققوا العدالة النطقية بين الأختين الواو والياء. وهنا كان وصفهم دقيقاً، لأن الياء بوصفها نصف حركة قلبت إلى واو بوصفها نصف حركة،

---

(١) ابن جني، المنصف، ص٤١١.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٣٢.

(٤) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٥٤٢.

وبما أنهم قلبوا الأخف إلى الأثقل على غير العادة فبرروا هذا القلب في الاسم لخفته فأرادوا تقويته، أو أنه أحمل للثقل من الصفه. فحققوا برأيهم العدالة من جهة، والتفريق بين صيغتين صرفيتين من جهة أخرى.

تقيا taq|yaa ← تقوى taq|waa

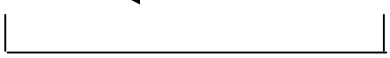

٤- إذا وقعت لاماً لصيغة فعُل بعد ضمة، نحو: نهو وأصلها نَهُيَ.

يقول ابن يعيش في هذا: "وكذلك قالوا: هو أمور بالمعروف نهوٌ عن المنكر، وهو من نهيت"(١).

ويقول ابن عصفور: " ولا توجد في الياء إلا في التعجب، نحو: لقضوَ الرجل، أصله لقضيَ فقلبت الياء واواً لانضمام ما قبلها، لأن الياء وفيها ضمة بمنزلة الياء والواو ، فكما أن اجتماع الياء والواو ثقيل ، فكذلك الياء إذا كانت قبلها ضمة، ولا سيما والياء في محل تغيير وهو الطرف"(٢).

إن الناطق العربي في مثل هذه البنية تخلص من الانتقال من الضمة إلى نصف الحركة الياء، إلى نصف حركة قريبة من الضمة، وهي الواو، وقد أدى ذلك إلى تقارب بين الأصوات المتجاورة.

نَهُيَ na|hu|ya ← نَهُو na|hu|wa

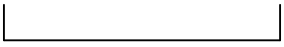

و: قلب الألف إلى واو:

تقلب الألف، كما ورد في كتب الصرف العربي، إلى واو، إذا وقعت في حالتي البناء للمجهول والتصغير بعد ضمة، أما التكسير فحمل على التصغير.

يقول سيبويه : " وتكون- يعني الواو- بدلاً من الألف في ضورب وتضورب ونحوهما، ومن الألف الثانية الزائدة إذا قلت ضويرب ودوينق، في ضارب ودانق، وضوارب ودوانق إذا جمعت ضارباً ودانقاً "(٣).

ويشير ابن يعيش إلى هذا القلب بقوله : " وأما إبدالها من الألف ففي نحو: فاعل وفاعول وفاعال، وذلك نحو: ضارب وخاتم وعاقول وساباط فمتى أردت تحقير شيء من ذلك أو تكسيره قلبت ألفه واواً وذلك نحو: ضويرب وضوارب وخويتم وخواتم وعويقيل وعواقيل وسويبيط

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٣٢.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٥١٩.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٢٤١.

وسوابيط، فأما علة قلبها في التحقير فظاهرة، وذلك لانضمام ما قبل الألف، وأما قلبها في التكسير فبالحمل على التحقير وذلك إنك إذا قلت ضوارب وخواتم فلا ضمة في الضاد والخاء توجب انقلاب الألف، وإنما حمل التكسير في هذا على التحقير؛ لأنها من وادٍ واحد وذلك أن هذا التكسير جارٍ مجرى التحقير في كثير من أحكامه من قبل أن عَلَمَ التحقير ياء ساكنة ثالثة قبلها فتحة، وعلم التكسير ألف ثالثة ساكنة قبلها فتحة والياء أخت الألف كما تقدم وما بعد ياء التحقير حرف مكسور كما أن ما بعد ألف التكسير حرف مكسور، فلما تناسبا من هذه الوجوه حمل التكسير على التحقير"(١).

إن ما ذهب إليه ابن يعيش من صناعة هذه القاعدة ، جعل الباحث يطيل في الاقتباس، لكي يبين كيف كان القدماء يصوغون القواعد، فعندما لا يجدون سبباً ظاهراً يوجب القلب، يقاس على أقرب شيء منه في التشابه الشكلي يقولون حملاً على كذا.

ويقول ابن عصفور في حالة المبني للمفعول: " وإن لم تجتمع مع ساكن- يعني الألف- فلا تخلو أن تكون الحركة التي قبلها فتحة أو ضمة أو كسرة... وإن كانت ضمة قلبت واواً نحو ضارب إذا بنيته للمفعول فإن تقول فيه (ضورب) "(٢).

ويقول في حالة التصغير: " وإن كانت ثانياً- يعني حرف العلة- فعلت به ما نفعل بالصحيح، إلا أنك تقلب الألف واواً. فتقول في تصغير ضارب ضويرب"(٣).

يتبين لنا من خلال النسيج المقطعي للبنى السابقة ما يلي:

ضارَب daa|ra|ba ⟵ ضُارب du|aa|rib ⟵ ضورب duu|ri|ba

إن هذا الوهم الذي عند القدماء يتطلب منا لصياغة المبنى للمجهول من مثل هذه الصيغ إلى، عملية تحتاج إلى جهد ذهني إضافة إلى آلية عملية، فقد ذهب القدماء إلى صياغة قاعدة المبني للمجهول من الماضي بضم الأول وكسر ما قبل الآخر. وهذه القاعدة في تطبيقها على مثل هذه البنى تتطلب قلب الفتحة المتوهمة قبل الألف ضمة ثم قلب الألف إلى واو كما يذهبون، ثم كسر ما قبل الآخر وهذا الزعم يوقعنا في محاذير مقطعية على النحو الآتي:

ضُورب du|uu|ri|ba . فالمقطع الثاني لا تجيزه اللغة العربية لسببين:

الأول : لا يوجد مقطع يبدأ بحركة.

والثاني: لا تتوالى ثلاث حركات دون فاصل بصامت.

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٢٩.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٦١٠-٦١١.

(٣) ابن عصفور، المقرب، ص٤٤٥.

كما نلاحظ أن الألف لم تقلب إلى واو وإنما الجزء الأول منها قلب إلى ضمة قصيرة كونت مع الضمة السابقة عليها ضمة طويلة (الواو) وأسقط الجزء الثاني منها.

أما التصغير فنلاحظ فيه أنه يوقعنا في محاذير مقطعية أيضاً على النحو الآتي:

ضارب daa|rib > ضُارب du|aa|rib > ضُايرب du|aay|rib > ضُويرب du|way|rib .

نلاحظ أن المقطع الثاني في البنية الثانية والثالثة لا تجيزه اللغة العربية فعمد الناطق إلى إعادة تشكيل النسيج المقطعي بما يتوافق والأنظمة المقطعية للغة العربية. فقلب الجزء الأول من الفتحة الطويلة إلى نصف حركة (الواو) وبقي النصف الآخر كما هو.

ز: قلب الواو والياء ألفاً:

استند الصرفيون في قلب الواو والياء ألفاً إلى قاعدة تكاد تكون عامة تنص على أن وقوع أي منهما متحركة وما قبلها مفتوحاً.

يقول سيبويه: " وإذا كانت الياء والواو قبلها فتحة اعتلت وقلبت ألفاً"(١).

وبنص في موضع آخر: " والألف تكون بدلاً من الياء، والواو إذا كانتا لامين في رمى وغزا ونحوهما، وإذا كانتا عينين في قال وباع"(٢).

ويشير إلى الاسم الثلاثي بقوله " اعلم أن كل اسم منها كان على ما ذكرت لك، إن كان يكون مثاله وبناؤه فعلاً فهو بمنزلة فعله يعتل كاعتلاله فإذا أردت فعَل قلت: دار وناب وساق، يعتل كما يعتل الفعل"(٣).

ويذكر أيضاً: " فأما الإقامة والاستقامة فإنما اعتلتا كما اعتلت أفعالهما، لأن لزوم الإستفعال والإفعال لاستفعل وأفعل كلزوم يستفعل ويفعل لهما"(٤).

ويقول ابن جنى: " "بابٌ ودارٌ" ثلاثي مثل " قام وباع" فليس الفعل أحق في هذا الموضع بالإعلال من الاسم، ألا ترى أن أصل باب بَوَب كما أن أصل قام قوَم فالعلة فيهما واحدة"(٥).

ويفصل ابن عصفور القول في هذه القاعدة فيقول: " أن تقع عين الفعل المجرد واواً أو ياء فإن كانت من ذوات الواو فإن الفعل يكون على فَعُل وفَعَل وفَعِل بضم العين وفتحها وكسرها. وفَعُل: قام وفعَل: طال وفَعِل: خاف، ومن ذوات الياء على فَعل وفعِل بفتح العين وكسرها، ولا يجوز الضم استثقالاً في الياء، ففعل باع وفعِل كاد، وسبب اعتلال هذه الأفعال في

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٨٣.

(٢) المرجع نفسه، ٤|٢٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ٤|٣٥٨.

(٤) المرجع نفسه، ٤|٣٥٤.

(٥) ابن جني، المنصف، ص٢٤٠.

فَعُل وفَعِل استثقالاً للضمة في الواو والكسرة في الواو والياء، ولتجانس حركة العين حركة الفاء، أما فَعَل فقلبت الواو والياء فيها ألفاً لاستثقال حرف العلة من جهة، واجتماع الممثلين وهما فتحة الفاء وفتحة العين من جهة أخرى فقلبوا الواو والياء آنفاً لخفة الألف، ولتكون العين حرفاً من جنس حركة الفاء"(١).

ويقول أيضاً: " فإن وقعت الواو والياء عيناً في فَعَل على أزيد من ثلاثة أحرف فإنه لا يخلو أن يكون ما قبل حرف العلة ساكناً أو متحركاً، فإن كان متحركاً وذلك في انفعل وافتعل نحو: انقاد واقتاد واختار، فإنك تعامل ما بعد الساكن معاملة فعل على ثلاثة أحرف وذلك أن الأصل انقود واقتود واختير فعاملت قاد من انقاد وتاد من اقتاد وتار من اختار، معاملة قال وباع فأعللت كما أعللتهما"(٢).

ويقول ابن عصفور في معتل اللام : " وإن كان الفعل على وزن فعل بفتح العين فإنك تقلب حرف العلة ألفاً- ياء كانت أو واواً- نحو غزا ورمى من الغزو والرمي والسبب في ذلك ثقل اجتماع المثلين، أعني فتحة اللام مع ثقل الياء أو الواو فقلبت الياء والواو ألفين لخفة الألف ولأنها لا تتحرك فيزول اجتماع المثلين، وإنه ليس للواو والياء ما تقلبان إليه أقرب من الألف لاجتماعهما معاً في أن الجميع حروف علّة ولين"(٣).

ويذكر ابن يعيش أن الألف تبدل من أختيها (الواو والياء) يقول: " وإنما كانت الواو والياء أختيها لاجتماعهن في المد وإبدالهما منهما نحو قولك: قال وباع وطال وهاب وخاف والأصل طَول وهَيب وخوف فأبدلتا ألفين لما ذكرنا. وكذلك عصا ورمى أصلهما عصو ورمي وكذلك دعى ورمى أصلهما دعو ورميَ ، فصارا إلى الإبدال لما ذكرنا من تحركهما وانفتاح ما قبلهما. والعلة في هذا القلب اجتماع الأشباه والأمثال وذلك أن الواو تعد بضمتين والياء تعد بكسرتين وهي في نفسها متحركة وقبلها فتحة فاجتمع أربعة أمثال واجتماع الأمثال عندهم مكروه"(٤).

إن ما ذهب إليه القدماء من الخلط بين حرف اللين وحرف المد جعلهم لم يفرقوا بين المد واللين ؛ لأن الواو والياء في هذه الأمثلة، وما جاء على شاكلتها ليستا حرفي مد لكي تساوي

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/٤٣٨.

(٢) المرجع نفسه، ٢/٤٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ٢/٥٢٣.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠/١٦.

الواو ضمتين والياء كسرتين، فهذا الخلط جعلهم يتوهمون أن الواو ضمتان وعليها فتحة وقبلها فتحة فاجتمعت الأمثال. إن الواو والياء هنا حرف لين أي أنهما نصفا حركة.

إن كل ما حدث في هذه البنى يتمثل في حذف نصف الحركة وليس قلبها إلى ألف والكتابة الصوتية توضح ذلك:

قوَل qa|wa|la ← قال qaa|la

دَعَوَ da|ca|wa ← دعا da|caa

رميَ ra|ma|ya ← رمى ra|maa

مَيَل ma|ya|la ← مال maa|la

فقد وقعت الواو والياء بوصفها نصفي حركة بين حركتين قصيرتين فاستثقل النطق بها فتم اسقاطها فكونت الفتحة القصير اللاحقة لها مع الفتحة القصيرة السابقة عليها فنتج عن ذلك فتحة طويلة (وهي الألف). فإن أردنا تصنيف هذا الإعلال فنضعه تحت باب الإعلال بالحذف؛ لأن الواو والياء اسقطتا من البنية ولم يعوض عنهما بشيء.

وقد أحاط القدماء هذه القاعدة بشروط كثيرة يصعب حصرها أو بالأحرى يصعب على الناطق معرفتها وقياس كل إعلال من هذا النوع على الشروط، ويهمنا منها ما قاله ابن يعيش وهي:

١- أن تكون حركة الواو لازمة غير عارضة؛ لأن العارض كالمعدوم لا اعتداد به.

٢- أن لا يلزم من القلب والإعلال لبس، ألا ترى أنهم قد قالوا في التثنية قضيا ورميا فلم يقلبوها مع تحركهما خوفاً من الالتباس بالمفرد"[١].

وهنا ليس خوفاً من الالتباس بالمفرد وإنما لو قلبوها ألفاً لاجتمع ألفان الحركة الطويلة وضمير التثنية. وهذا ما لا يجيزه النظام المقطعي للغة العربية فجاءت هكذا.

٢- الإعلال بالنقل

يعرفه التراث الصرفي بأنه: " نقل الحركة من حرف علة متحرك إلى حرف صحيح ساكن قبله، وهو خاص بالواو والياء، نحو: يقول أصله يَقْوُل وبيبع أصلها يَبْيِع"[٢].

ويقول سيبويه: " فإذا كان الحرف الذي قبل الحرف المعتل ساكناً في الأصل ولم يكن ألفاً ولا واواً ولا ياء فإنك تسكن المعتل وتحول حركته على الساكن وذلك مطرد في كلامهم"[٣].

---

(١) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|١٧.

(٢) الأسمر، راجي، (١٩٩٣)، المعجم المفصل في علم الصرف، مراجعة إميل بديع يعقوب، ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، ص١٤٧. وابن هشام، أوضح المسالك إلى شرح ألفية ابن مالك، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٤٥.

وفي هذا يقول ابن الحاجب: " وتسكنان وتنقل حركتهما في نحو: يقوم ويبيع"[١]. ويقع هذا الإعلال في المواضع التالية:

أ- الفعل المضارع المعتل العين.

يقول ابن جنى: " فلما جاء المضارع أعلوه اتباعاً للماضي لئلا يكون أحدهما صحيحاً والآخر معتلاً فنقلوا الضمة من الواو والياء إلى ما قبلها وأسكنوهما، فصار " يقول ويبيع ويطول" فأما يخاف ويهاب فأصلهما: يخوَف وبهيَب فأرادوا الإعلال فنقلوا الفتحة إلى الهاء والخاء فصاروا في التقدير يخَوْف ويَهَيْب ثم قلبوا الواو والياء ألفين لتحركهما في الأصل وانفتاح ما قبلهما الآن"[٢].

ويذكر ابن يعيش : " ما كان من الياء نحو يبيع ويعيب والأصل يَبْع ويَعْيب بكسر العين فنقلت الكسرة إلى الفاء إعلالاً له حملاً على الماضي في باع وعاب وكذلك مضارع ما كان على فَعَل. يفعَل نحو: يخاف ويهاب والأصل يخْوَف ويهيَب فأرادوا إعلاله على ما تقدم فنقلوا الفتحة إلى الخاء والهاء ثم قلبوا الواو والياء ألفاً لتحركهما في الأصل وانفتاح ما قبلهما الآن"[٣].

وينص ابن عصفور على هذا الإعلال بقوله: " وأعلوا المضارع حملاً على الماضي فأعلوا بالنقل، فنقلوا حركة العين إلى الفاء فلما نقلوا في يقول ويطول صارا يقول ويطول، ولما نقلوا في يبْيع صار يبيع، ولما نقلوا في يكيد ويخوف ثم قلبوا الياء والواو ألفاً لتحركهما في الأصل قبل النقل وانفتاح ما قبلهما في اللفظ ولم يعتد بالسكون؛ لأنه عارض بسبب النقل"[٤].

ب- صيغة مفعول، نحو: مقول ومبيع.

يقول سيبويه: " ويعتل مفعول منها كما اعتل فُعل مفعول كما أن الاسم على فَعَل فاعل، فنقول: مزور ومصوغ وإنما كان الأصل مزوور فأسكنوا الواو الأولى كما أسكنوا في يَفعَل وفَعَل، وحذفت واو مفعول لأنه لا يلتقي ساكنان وتقول في الياء مبيع ومهيب أسكنت العين وأذهبت واو مفعول لأنه لا يلتقي ساكنان وجعلت الفاء تابعة للياء"[٥].

ويقول ابن جنى : " قال أبو عثمان: ومفعول من هذا معتل كما اعتل فاعل إلا أن اعتلاله بحذف حرف منه فإن كان " مفعول" من فُعِل وكان من الواو ظهرت فيه الواو نحو:

---

(١) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|١٤٣.

(٢) ابن جني، المنصف، ص٢٢٣.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٦٦.

(٤) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٤٤٩.

(٥) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٤٨.

مقول ومصوغ؛ لأنه من القول والصوغ ، وإن كان من فُعِل وكان من الياء ظهرت فيه الياء نحو: معيب ومبيع"[١].

ويشير ابن عصفور إلى هذا الإعلال بقوله:" وأما اسم المفعول فإنه يأتي على وزن مفعول على قياس الصحيح، نحو: مبيوع ومقْوُوْل قيُعَلّ حملاً على فعله، فتنقل حركة العين إلى الساكن قبله، فيصيرمقوْول ومَبيْوع فيجتمع ساكنان واو مفعول والعين فيحذف واو مفعول فيقال: مقول في ذوات الواو. وأما مبيوع فإنه إذا حذفت واو مفعول قلبت الضمة إلى كسرة لتصح الياء فنقول (مبيع)" [٢].

وينص ابن يعيش على هذا النقل بقوله: " وكذلك اسم المفعول يعتل باعتلال الفعل لأنه في حكم الجاري على الفعل... وكذلك قالوا فيما كان من الواو كلام مقول، وخاتم مصوغ، فأعلوهما بنقل حركتهما إلى ما قبلهما فسكنت العين والتقت ساكنة و واو مفعول فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين، فأما سيبويه والخليل فإنهما يزعمان أن المحذوف الواو لأنها مزيدة وما قبلها أصل والمزيدة أولى بالحذف... وكان أبو الحسن الأخفش يزعم أن المحذوف عين الفعل"[٣].

إن ما ذهب إليه القدماء من خلاف حول المحذوف في صيغة مفعول يؤدي إلى خلاف في الميزان الصرفي الذي يحدد نوع البنية، فإذا حذفت الواو الدالة على اسم المفعول تحول الصيغة، فيصبح الميزان على وزن مفعل، ومفعل لا تدل على المفعول . أما حذف العين فعلى الرغم من حدوث خلل في البنية إلا أنها تدل على وجود محذوف لأن الوزن سيصبح مفول. إن هذه القاعدة تحتاج إلى نظر وفصل القول فيها يحتاج إلى جرأة، وخروج عن النظم الصرفية القديمة.

علاوة على أن مثل هذا الإعلال لا يتفق ومعطيات البنية المقطعية للبنى السابقة، إضافة إلى أن آلية هذا الإعلال تتحكم به عين الفعل، أو عين الكلمة، فأجهد القدماء أنفسهم في مخرجات حتى تتلاءم مع طبيعة الصوت الذي يحتل مكان العين في الميزان. والناظر في مثل هذه البنى يجد أنه لا وجود للحركة المتوهمة قبل الواو نقلت للعين، فلا يوجد في مثل هذه البنى إعلال بالنقل والكتابة الصوتية تبين هذا.

مَقْول maq | wuul

مَفعول maf | 'uul

---

(١) ابن جني، المنصف، ٢٤٥-٢٤٦.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٤٥٤.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٦٦-٦٧.

فأين الحركة التي على العين حتى تحذف؟

إن كل ما حدث في هذه البنى هو اسقاط نصف الحركة الضعيفة في بداية المقطع، والثقيلة لأنها تحركت فزادت ثقلاً. وقد نص اللغويون القدامى على هذا الثقل، ويتفاوت هذا الثقل بحسب نوع الحركة الملابسة لنصفي الحركة"(١).

٣-المصدر بوزن إفعال واستفعال، وإقامة واستقامة.

يقول ابن عصفور في هذا: " وذلك نحو: إفعال مصدر أفعل واستفعال مصدر استفعل فإنك تنقل الفتحة من العين إلى الفاء الساكنة قبلها، ثم تقلب حرف العلة لتحركه في الأصل وانفتاح ما قبله، فيلتقي ألفان: الألف المبدلة من حرف العلة والألف الزائدة قبل الآخر، فتخفف الواحدة لالتقاء الساكنين فمذهب الخليل وسيبويه أن المحذوفة الزائدة، ومذهب الأخفش أن المحذوفة الأصلية"(٢).

يقول سيبويه: "وأما الإقامة والاستقامة فإنما اعتلتا كما اعتلت أفعالهما"(٣).

وجاء هذا الإعلال عند ابن الحاجب وشارح شافية حيث ورد : " وفي الإقامة والاستقامة هذا هو النوع الثاني مما تنقل حركة عينه إلى ما قبله... كونه مصدراً قياسياً مساوياً لفعله في ثبوت زيادات المصدر بعينها في مثل مواضعها من الفعل"(٤).

وينص ابن يعيش على هذا الإعلال بقوله: " .... الإقامة والاستقامة والأصل: إقوامه واستقوامه فأرادوا أن يعلوا المصدر لاعتلال فعله وهو أقام واستقام فنقلوا الفتحة من الواو إلى ما قبلها، ثم قلبوها ألفاً وبعدها ألف إفعالة فصار إقامة واستقامة، فدعت الضرروة إلى حذف إحداهما فذهب أبو الحسن إلى أن المحذوف الألف الأولى التي هي العين، وزعم الخليل وسيبويه المحذوف الثانية وهي الزائدة"(٥).

لقد مرت هذه القاعدة بالخطوات التالية:

إقوام ← اقوٌام ← إقام ← إقامة.

وهنا بدأ الخلاف بين اللغويين حول المحذوف ، فمنهم من حذف الأولى، ومنهم من حذف الثانية ، وبهذا الحذف المزعوم تغير الميزان الصرفي الذي يحدد بنية الكلمة وحججهم في

---

(١) ينظر: الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|١٤٦، وابن أبي طالب، مكي، الرعاية، ص٢٣٥.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٤٩٠.

(٣) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٥٤.

(٤) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣|١٥١، وينظر : ص١٥٧.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٧٠.

الحذف لا تعتمد على قواعد صوتية وإنما على استنتاجات منطقية والكتابة الصوتية تبين هـذا الزعم الذي ذهب إليه القدماء.

أقوام ʔiq |waam ⟵ إقامة ʔi|qaa|mat

استقوام ʔis|tiq|waam ⟵ استقامة ʔis|ti|qaa|mat

إن ما نلاحظه من الكتابة الصوتية، اسقاط نصف الحركة الواو لأنها ضعيفة ووقعت في بداية مقطع، ومتلوة بحركة طويلة فزادت ثقلاً فعمد الناطق إلى حذفها. وبهذا الحذف تم إعـادة تشكيل النسيج المقطعي للبنية، وتم زيادة التاء خوفاً من حدوث التباس بين المصدر والفعل.

د- الاسم المزيد المشبه بالفعل

يقول سيبويه : " ويجري مفعل مجرى يَفْعلُ فيهما، فتعتل كما اعتل فعلهما الذي علـى مثالها وزيادته في موضع زيادتها، فيجري مجرى يفعَلُ في الاعتلال، كما قالوا:
مخافة فأجروها مجرى يخاف ويهاب، فكذلك اعتل هذا، لأنهم لا يجاوزوا ذلك المثال المعتـل ، إلا أنهم وضعوا ميماً مكان ياء وذلك قولهم: مقام ومقال ومثابة"(١).

ويقول ابن جنى : "اعلم أن جميع الأسماء الجارية على الأفعال المعتلة العينـات يجـب اعلالها بتسكين الواو والياء فيها، ونقل حركتهما إلى ما قبلهما، لا فصل بـين الأسـماء فـي هـذا والأفعال ، وأسماء الفاعلين في هذا والمفعولين والظروف والمصادر سواء؛ لأنها كلها جارية علـى الأفعال، فيجب إعلالها لاعتلال أفعالها، فاسم الفاعل مخيف ومبين فقد جريا مجرى يخيْف ويُبْـين ، والظروف قولك هذا مقام إذا أخذته من أقام فجرى مقام مجرى يقام ومن قال هذا مَقام بفـتح المـيم أخذه من قام يقوم وأصله مُقوَم فجرى مجرى يخاف لأن أصله يخوَف كما أن أصل مقام مُقوَم"(٢).

أما ابن عصفور فقد تناول هذا الإسم من ثلاثة محاور:

الأول: أن يكون الاسم موافقاً للفعل في جنس الزيادة ، والإعلال لا يصيره علـى لفـظ الفعل. يقول: " فإن لم يكن مصيراً له على لفظه أعللته لأمن اللبس، وذلك نحو أن تبني من القـول اسماً على يُفعَل بضم الياء والعين فإنك تقول: يُقوُل ، وكذلك إن بنيته من البيع قلت يُبيع، والأصـل يُبْيُع فنقلت الضمة من الياء إلى الباء فصارت الباء ساكنة بعد ضمة فقلبت الـضمة كـسرة لتـصح الياء"(٣).

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٣٤٩.

(٢) ابن جني، المنصف، ص٢٣٨.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٤٨٥.

الثاني : إن كان الإعلال مصيراً له على لفظ الفعل لم يعل. يقول: " وإن كان الإعـــلال مصيراً له على لفظ الفعل لم يعل، لئلا يلتبس الاسم بالفعل وذلك نحو قولك: " هذا أطول منـــك" ألا ترى أنك لو أعللت فقلت أطال لالتبس بلفظ الفعل"[١].

الثالث: إن كان مخالفاً له في جنس الزيادة يعل إعلال الفعل يقول : " إن كان مخالفاً له في جنس الزيادة فإنه يعل إعلال الفعل الذي يكون على وفقه في الحركات وعدد الحروف؛ لأنه قـــد أمن التباسه بالفعل فتقول في مفعل من القول والقيام مقال ومقام والأصل: مَقْوَم ومَقْوَل فأعللتها كما أعللت يخاف"[٢].

إن خطوات الإعلال في هذه الأمثلة عند القدماء يسير على النحو الآتي:

يَقْوُل ← يَقُوْل ← يُقوُل

يَبْيُع ← يُبُيع ← يُبيع

مَقْوَل ← مَقَوْل ← مقال

إن هذه الخطوات التي قام بها القدماء لا تعتمد على القواعد الصوتية للبنى السابقة وإنما أجهدوا أنفسهم ي افتراضات وصفية حتى تتفق الصيغة وما يعتقدون.

٣- الإعلال بالحذف

ويقصد به : " تأثير يصيب الحرف في حالات معينة يؤدي إلى حذفه من الكلمة"[٣].

يتم هذا النوع من الإعلال، كما تذكر كتب الصرف، في صورتين، إحداهما قياسية ، والأخـــرى سماعية، وسنقصر حديثنا في هذا البحث، على حالات النوع الأول منه.

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/٤٨٦-٤٨٧.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الراجحي، عبده،(١٩٨٤)، التطبيق الصرفي، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص١٨٣.

حالات الإعلال بالحذف:

أ- حذف الهمزة من مضارع الفعل الماضي المزيد بالهمزة، الذي على وزن أفعل واسم الفاعل واسم المفعول منه.

يقول سيبويه في ذلك: " فأما الهمزة فتلحق أولاً ويكون الحرف على أفعل ويكون يَفعِل منه يُفعل وعلى هذا المثال يجيء كل أفعل... ولكنهم حذفوا الهمزة في باب أفعل من هذا الموضع فاطرد الحذف فيه لأن الهمزة تثقل عليهم كما وصفت لك. وكثر هذا في كلامهم فحذفوه واجتمعوا على حذفه"(١).

ويقول ابن جنى: " .... وقولهم أنا أكرم فحذفوا الهمزة التي كانت في أكرم لئلا يلتقي همزتان، لأنه كان يلزم أنا أأكرم فحذفوا الثانية كراهية اجتماع الهمزتين ثم قالوا نكرم وتكرم ويُكرم فحذفوا الهمزة وإن كانوا لو جاءوا بها لما اجتمع همزتان، ولكنهم أرادوا المماثلة، وكرهوا أن يختلف المضارع فيكون مرة بهمزة وأخرى بغير همزة محافظة على التجنيس في كلامهم"(٢).

ويذكر ابن عصفور هذا الحذف بقوله: " أكرم وأصله أأكرم فحذفوا الهمزة الثانية استثقالاً لاجتماع الهمزتين ثم حملوا يكرم وتكرم ونكرم على أكرم"(٣).

ويقول ابن عقيل: " يجب حذف الهمزة الثانية في الماضي مع المضارع واسم الفاعل واسم المفعول نحو قولك في أكرم: يكرم والأصل يؤكرم . ونحو ك مُكرم ومُكرَم والأصل مُؤَكرم ومؤكرم"(٤).

ويبدو أن سبب الحذف يعود إلى ثقل الهمزة. يقول ابن يعيش : " إن الهمزة في حروف الحلق... وحروف الحلق مستثقلة وثقلها لاستفالها وكل ما سفل منها كان أشد ثقلاً فلذلك فارقت الهمزة أخواتها فجاز اجتماع العينين والحائين ولم يجز في الهمزة لأنها أدخل الحروف في الحلق"(٥).

ب- حذف الواو من مضارع الفعل الماضي المبدوء بالواو.

يجب حذف هذه الواو في مضارع هذه الأفعال وفي الأمر منها وفي مصدرها الذي يكون على وزن (فِعْلَة) على ألا يكون اسم هيئة ويجب أن يكون المضارع مكسور العين.

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|٢٧٩.

(٢) ابن جني، المنصف، ص١٨٤.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٤٢٦.

(٤) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٤|٢٤٥-٢٤٦.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل، ٩|١١٨.

يقول سيبويه : " واعلم أن ذا أصله على قتَل يقتُل وضرَب يَضرب فلما كان من كلامهم استثقال الواو مع الياء... وكانت الواو مع الضمة أثقل فصرفوا هذا الباب إلى يَفعِل فلما صرفوه إليه كرهوا الواو بين ياء وكسرة إذ كرهوها مع ياء فحذفوها"(١).

ويقول ابن جنى: " قال أبو عثمان: اعلم أن كل ما كان موضع الفاء منه واواً وكان فعلاً وكان على فعَل فإنه يلزم يَفعِل وتحذف في الأفعال المضارعة منه الواو التي هي فاء، ويكون المصدر على فِعْلة محذوف الفاء وتلقى حركة الفاء على العين فتصير العين مكسورة وذلك قولك وعد ووزن ووثب نقول في يفعل منه: يعد ويزن ويثب وعدِة وزنة وثِبة وكان الأصل فيه يَوْعِد ويَوْزِن ووعدة ووزنة ولكنهم اتقوا وقوع الواو بين ياء وكسرة فحذفوها استخفافاً"(٢).

ويذكر ابن يعيش الحال التي تحذف فيها الواو بقوله: " وأما الحال التي تسقط فيه فمتى كانت الواو فاء الفعل وماضيه على فعَل أو فعل ومضارعه عى يَفعِل بالكسر ففاؤه التي هي الواو محذوفة نحو: وعد يعد ووزن يزن والأصل يَوْعد يوْزن فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسر فحذفت استخفافاً، وذلك أن الواو نفسها مستثقلة، وقد اكتنفها ثقيلان الياء والكسرة، والفعل أثقل من الاسم وما يعرض فيه أثقل مما يعرض في الاسم، فلما اجتمع هذا الثقل آثروا تخفيفه بحذف شيء منه ولم يجز حذف الياء لأنه حرف المضارعة، حذفه إخلال مع كراهية الإبتداء بالواو، ولم يجز حذف الكسرة لأنه بها يعرف وزن الكلمة، فلم يبق إلا الواو.

فحذفت فكان حذفها أبلغ في التخفيف لكونها أثقل من الياء والكسرة، مع أنها ساكنة ضعيفة فقوي سبب حذفها"(٣).

ويقول أيضاً: " فأما عدة وزنة إذا أريد بهما المصدر فالواو منها محذوفة والأصل وعدة ووزنة والذي أوجب حذفها ههنا أمران، أحدهما كون الواو مكسورة والكسرة تستثقل على الواو. والآخر: كون فعله معتلاً نحو: يعد ويزن والمصدر يعتل باعتلال الفعل"(٤).

ويفصل ابن عصفور مواضع هذا الحذف بقوله: " فإن وقعت- يعني الواو- فاء في فعل على وزن فعَل فإنها تحذف في المضارع. فنقول في مضارع وعد يعد وفي مضارع وزن يزن وإنما حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وهما ثقيلتان، فلما انضاف ذلك إلى ثقل الواو وجب الحذف، وحذفوا مع الهمزة والنون والتاء. فقالوا: تعد وأعد ويعد حملاً على الياء... وأما فِعلة

---

(١) سيبويه: كتاب سيبويه، ٤|٥٢-٥٣.

(٢) ابن جني، المنصف، ص١٦٨.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|٥٩.

(٤) المرجع نفسه، ١٠|٦١.

فحذفت الواو لثقل الكسرة في الواو مع أنه مصدر لفعل قد حذفت منه الواو. فقالوا في وعـدة : عدة فألقوا كسرة الواو على ما بعدها فحذفوها"(١).

إن إعلال المصدر عند القدماء مرَ في ثلاث مراحل على النحو الآتي:

وَعد ← وعدَة ← وْعدة ← عِدة

فالتاء هنا ليست عوضاً عن الواو المحذوفة؛ لأن وزن المصدر فِعلة قبل الإعلال، علاوة على أنه اجتمع بنقل الكسرة إلى العين تتابع صامتي لا يفصل بينهما في حركة . وهو العنقـود الفونيمي، وهذا لا تجيزه العربية فالوقوع في المحذور دفعهم إلى الخـروج منـه بحـذف أحـد الصامتين، فحذفوا الواو نصف الحركة لضعفها.

ج- يحذف حرف العلة في الأفعال الماضية الجوفاء عند اسنادها إلى ضمائر الرفع وفي حالة الأمر.

يقول ابن يعيش : " اعلم ما كان ثانيه حرف علّة فإنه يعتل بالحذف كما يعتل بـالتغيير والحذف يدخله على ثلاثة أضرب منها التقاء الساكنين ... نحو : قُل وقلن والأصل تقول فحذف حرف المضارعة إذ المواجهة تغني عن حرف الخطاب، ثم سكن لام الفعل للأمـر أو لاتـصال نون جماعة النساء به نحو قُلْن فالتقى حينئذ ساكنان اللام وحرف العلة فحذف حرف العلة لالتقاء الساكنين على القاعدة ،ومثله بع وبعن فالعلة في الحذف واحدة إلا أن قُلْ من الواو وبـع مـن الياء"(٢).

أما ابن الحاجب فقد أخذ الأمر من المضارع بعد نقل حركة العين إلى الفاء يقول: " وفي قُلْ وبع لأنه عن تقول وتبيع .... وتحذفان في نحو قلت وبعت وقلن وبعن ويكسر الأول إن كانت العين ياء أو مكسورة ويضم في غيره"(٣).

ويذهب ابن جنى إلى أن المحذوف الألف بعد إعلالها فهي ساكنة والتقت بساكن بعـدها فحذفت. يقول: " فأصل قلت وبعت قوَلْت وبَيَعْت فنقلت قولَت إلى قوُلت لأن الضمة مـن الـواو ونقلت بَيْعت إلى بيْعتُ لأن الكسرة من الياء. ثم قلبت العين لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت ألفاً في التقدير، وبعدها لام الفعل ساكنة لاتصالها بالضمير فسقطت العين فنقلت حركتها المجتلبة لها إلى الفاء فصارت قُلت وبعت"(٤).

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/٤٢٦.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠/٦٨.

(٣) الإستراباذي، شرح الشافية، ٣/١٤٤.

(٤) ابن جني، المنصف، ٢١٣.

ويقول: " فأما خِفتُ وهِبتُ وطُلْتُ فلم يحتاجوا إلى أن ينقلوهما إلى شـــيء لأن حركـــة العين في أصل تركيب الفعل جاءت مخالفة لحركة الفاء لأن أصل خفِتُ خوِفْتُ وأصـــل هِبْـــتُ هَيِبتُ وأصل طُلْتُ طَوُلت. فنقلت الضمة والكسرة الأصليتان من العين إلى فاء الفعل"(١).

إن ما ذهب إليه ابن جنى يحتاج إلى عدة حركات حتى يصل إلى ما يريد اثباته فهو أعاد البنية إلى الأصل ثم إلى نقل الحركة ثم إلى الإعلال بالقلب ثم إلى الحـــذف ثـــم نقـــل الحركـــة المجتذبة إلى الفاء.

قوَلت ← قوُلت ← قالت ← قلْتُ ← قُلْتُ

أما خفت فنسير بهذه الحركات: خَوِفْتُ ← خِوْفْت ← خِفتُ

فأراد أن يمايز بين الأفعال عن طريق التباين في حركة الفاء لتكون دلالة على المحـــذوف مـــن العين.

د- يحذف حرف العلة في مضارع الفعل المعتل العين أو اللام في حالة الجزم.

يقول سيبويه: " ومثل ذلك لم يبعُ ولم يَقُلْ، ولو لم يكن ذلك فيها من الاستثقال لأجريـــت مجرى لم يَخَفْ، لأنه ليس لاستثقالٍ لما بعدها حذفت"(٢).

ويقول ابن عصفور : " ويكون في موضع الجزم محذوف الآخر نحو: لم يرم ولم يغـــزُ وإنما حذفت الواو والياء في الجزم لئلا يكن لفظ المرفوع كلفظ المجزوم ولو أبقيت الياء والواو . وأيضاً فإن الياء والواو لما عاقبتا الضمة فلم تظهر معهما أجريتا مجرى الضمة فحـــذفتا للجـــزم كما تحذف الضمة"(٣).

إن ابن عصفور عزا هذا الحذف إلى إحداث تباين بين حركات الإعراب، لئلا يلتبس لفظ المرفوع بلفظ المجزوم وهذا فيه خلط كبير- لأن كل ما حدث هو تقصير الحركة وليس حـــذفها والكتابة الصوتية توضح ذلك.

لم يرمي lam|yar|mii ← لم يرم lam|yar|mi

لم يدعو lam|yad|cuu ← لم يدعُ lam|yad|cu

---

(١) ابن جني، المنصف، ٢١٤.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤|١٥٧.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢|٥٣٥.

وما جاء عند ابن يعيش لا يختلف عن القدماء حيث يقول: " واعلم أن الواو والياء تسقطان في الجزم؛ لأنهما قد نزلتا منزلة الضمة من حيث كان سكونهما علامة الرفع فحذفوها في الجزم"[١].

إن جل قواعد القدماء تقوم على أسس تعليمية، وهي لا تخضع لقواعد صوتية ومن خلال النظر في هذه القواعد نلحظ أن سبب الإعلال عند القدماء يقوم على الأسس التالية:

١- الهروب من اجتماع الأمثال؛ لأن اجتماعها مكروه.

٢- ثقل الواو والياء المتحركتين بحركة من جنسهما على حد قولهم.

٣- الخوف من اللبس بين المفرد والمثنى وغيره.

٤- الحمل على إعلال الماضي أو المضارع.

٥- طلب الخفة والهروب من الثقل.

٦- التخلص من التقاء ساكنين.

إضافة إلى التفسيرات المتناقضة في بعض الأحيان ، فقد وصفوا حروف المد (الحركات الطويلة) بأنها ساكنة. وقالوا عن الألف ساكنة وفي موضع آخر قالوا: حركت الألف فقلبت إلى همزة في نحو: كساء ورداء وصحراء...

إن مثل هذه القواعد بحاجة إلى إعادة تبويب وتوصيف يتفقان مع ما جاء مع الدراسات اللسانية الحديثة.

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠|١٠٤.

الفصل الثالث

القواعد الصوتية لموضوعي الإبدال والإعلال عند المحدثين

قبل الشروع في تناول هذه القواعد، لا بد لنا أن نعرج على الأسس التي اعتمدها المحدثون في تفسير بعض السلوكات الصرفية لأنظمة البنى للغة العربية، ومن خلالها نقوم بالنظر في تفسيراتهم وفق مصطلحات صوتية حديثة، وقوانين صوتية تحكم النظم اللغوي.

مع العلم أن جل ما جاء عند المحدثين –دون تعصب– ورد عند القدماء، ولكن آلية التفسير ومعداتها كانت تعتمد عند المحدثين على قوانين صوتية وردت عند القدماء متناثرة. فقام المحدثون برصد هذه الإشارات وصياغة قوانين صوتية تقوم بدور التفسير للظواهر اللغوية المتحكمة في بنية اللغة العربية.

لقد قام المحدثون بجمع صفات القوة في الصوت التي تجعله قادرا على التأثير في غيره من الأصوات في سلسلة البنية اللغوية. ويمكن تقسيم هذه الصفات إلى ما يلي:

١. صفات قوة ذاتية في الصوت ترشحه للتأثير في غيره من الأصوات، وتنقسم الأصوات في هذا الصدد إلى قسمين رئيسيين هما:

أ. الصوامت conconant

تتمثل صفات القوة التي تمنح الصوت المتسم بها قوة ذاتية في الملامح التالية:

١. ملمح الصفير وتتسم به على نحو خاص في دراستنا أصوات الزاي والسين والصاد والشين.

٢. ملمح التفخيم (الإطباق) وتتسم به أصوات: الصاد والضاد والطاء والظاء.

٣. ملمح الجهر والشدة (الانفجار).

٤. ملحم الأنفية (الغنة) ويتسم بهذا الملمح صوتا الميم والنون.

٥. ملمحا الاستطالة والتفشي ويتسم بهما أصوات الضاد والشين واللام.

٦. ملمحا التكرير والتفشي ويتسم بهما صوت الراء.

٧. بالإضافة إلى ذلك فإننا نعتبر الصامت الذي يرد في البنية متحركا متمتعاً بملمح قوة يستمدها من حركته.

ب. الحركات vowels

تتمثل صفات القوة التي تمنح الصوت منها قوة ذاتية في حركتي الكسرة والضمة على الترتيب، وفي حين تعد الفتحة وهي قسيم للضمة والكسرة أخف الحركات، أما السكون فهو

أضعف الحركات، والصوت التي تلابسه حركة السكون صوت ميت. وتجدر الإشارة إلى أن صوتي الواو والياء يتسمان بملمحي المد واللين وذلك كونهما حركتين طويلتين لا نضفي حركة.

٢. صفات قوة موقعية في الصوت ترشحه للتأثر في غيره من الأصوات وتتمثل اهم تجسدات هذا الملمح في وقوع الصوت في بداية مقطع، شريطة كونه مسبوقا بصوت آخر يقع ساكنا في نهاية مقطع (١).

واعتمد المحدثون بعض القوانين الصوتية في تفسير الظواهر اللغوية، ومن هذه القوانين ما يلي:

١. قانون التردد النسبي:

يقرر هذا القانون الذي نادى به Vilhelm Thomson أن "الأصوات الذي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضا للتطور من غيرها... فالصوت اللغوي إذا شاع استعماله في الكلام كان عرضة لظواهر لغوية، كان القدماء يسمونها حينا إبدالا وحينا آخر ادغاما، هذا وقد يتعرض الصوت الكثير الشيوع للسقوط من الكلام" (٢).

وقد أطلق إبراهيم أنيس على هذه الظاهرة نظرية الشيوع وربطها بعملية التطور التي تصيب الأصوات، والتي تقرر أن " الأصوات التي تشيع تداولها في الاستعمال وكذلك الصيغ التي يكثر ورودها في الكلام تكون أكثر تعرضا للتطور اللغوي من غيرها" (٣).

٢. قانون الجهد الأقل:

يعد العالم whetny واحدا من العلماء الذين نادوا بهذا القانون، فهو يرى أن كل ما يكتشفه من تطور في اللغة ليس إلا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير الجهد الذي يبذل في النطق، وأن هناك استعدادا للاستغناء عن أجزاء الكلمات التي لا يضر الاستغناء عنها بدلالتها. (٤)

وقد أطلق إبراهيم أنيس على هذا القانون نظرية السهولة حيث يرى " أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي فيبدل مع الأيام بأصوات لغته الصعبة نظائرها السهلة وممن أيدوا هذه النظرية whetny" (٥)

---

(١) ينظر: النوري، محمد جواد، من العوامل الصوتية في تشكيل البنية العربية، ص٣. بتصرف

(٢) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢٣٧

(٣) المرجع نفسه، ص٢٤٢

(٤) ينظر: أيوب، عبد الرحمن، (١٩٦٤) اللغة والتطوير، القاهرة، ص٣٢

(٥) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢٤٢

٣. قانون جرامونت (قانون الأقوى)

ويتلخص هذا القانون بأنه " عندما يؤثر صوت في آخر فإن الصوت الأضعف – بموقعه في المقطع أو بقوته النطقية الخاصة – هو الذي يكون عرضة للتأثر بصوت آخر" (١).

ويقول عبد الصبور شاهين: ويذكر اجرامونت "أن الصوت المؤثر هو ذلك الذي تتوفر فيه صفات: أن يكون أكثر قوة أو أكثر مقاومة أو أكثر استمرارا أو أكثر امتيازا، وإنما تتحد هذه الصفات سلفا طبقا لنظام اللغة.. ولتبسيط الأمر يمكننا أن نحدد القضية كلها في كلمة واحدة هي القوة، فالمماثلة تخضع لقانون واحد هو قانون الأقوى... وليست الماثلة ونقيضها المخالفة هما اللذان يخضعان وحدهما له، بل تخضع له جميع الظواهر التي يكون تغير صوت ناشئا عن وجود صوت آخر" (٢)

من دراستنا لهذه القوانين نجد أن القدماء تعرضوا إلى هذا ولكنهم لم يصلوا في تفسيراتهم للسلوكات الصرفية إلى حد القانون. "وتجدر الإشارة إلى أن هذه القوانين التي تستند إليها أو إلى بعضها عملية التشكيلات والتغيرات البنيوية للغة ليست قوانين رياضية صارمة، وإنما هي اتجاهات عامة تحكم الأنظمة النطقية والبنيوية (٣)

ويذهب مالبرج إلى أن مصطلح "قانون" مصطلح غير دقيق لأن التغيرات الصوتية تنشأ بتأثير بعض الاتجاهات وليس طبقا لبعض القوانين بالمعنى الدقيق للمصطلح" (٤).

ويرى ماريو باي أن "هذه القوانين من صنع البشر ولا تقارن بالقوانين الطبيعية أو الكيميائية " (٥).

إن مصطلح قانون كما يبدو لا يتفق مع الظواهر اللغوية التي لا تخضع إلى قانون صارم بل يتحكم فيها (الماحول) المنطوقات من بيئات مختلفة، ولا يمكن أن نطلق عليها قاعدة عامة تقاس عليها كل المنطوقات اللغوية للغة بعينها، وإنما يمكن أن نسميها إن صح التعبير ظواهر نطقية غالبة على غيرها، لأن المنطوقات اللغوية تختلف من شخص إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى، فلا يستطيع الباحث أن يجعل الدراسة قسرية قانون وإنما هي ظواهر يمكن أن تعلل ضمن المنظومة اللغوية التي شاعت فيها. وهذا كان دأب القدماء في تفسير هذه الظواهر،

---

(١) مالبرج، بريتل، علم الأصوات، ص٢٥٧٠

(٢) شاهين، عبد الصبور، (١٩٨٧)، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي القاهرة مكتبة الخانجي، ص٢٣٣

(٣) النوري، محمد جواد، (١٩٩٠) في التطور الصوتي، مجلة النجاح للأبحاث، ط٢، ع٥، ص١٢٠.

(٤) مالبرج، يرتيل، علم الأصوات، ص٢٦١.

(٥) باي، ماريو، (١٩٧٠) لغات البشر، ترجمة صلاح العربي، القاهرة، ص٨٥.

وذكروها في جل تفسيراتهم ولكنهم لم يصلوا فيها إلى مرحلة القانون. إن ما نادى به جرامونت مثلا جاء عند العلماء القدامى فها هو ذا ابن السيد البطليوسي يذهب إلى أن "الحرف الأضعف يقلب إلى الأقوى، ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف " (١).

وقد أشار القدماء أيضا إلى قانون الجهد الأقل، أو السهولة، بل إننا نجد أن هذه النظرية نسبية، لأن ما يجده أبناء البيئة النطقية الواحدة سهلا. يجده بعضهم صعبا. لكننا لا ننكر أن المحدثين استندوا عليها في تفسيراتهم للتشكلات البنيوية التي تطرأ على اللغة. وقد كان للماثلة والمخالفة والمقطع الدور الأكبر في تفسير هذه التشكلات.

أولا: المماثلة Assimilation

يبدو أن أول من تعرض لهذه الظاهرة علي عبد الواحد وافي في كتابه علم اللغة، وقد أطلق عليها ظاهرة تفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض – صامتة كانت أو صائتة– وقد ذكر ضمن صور هذه الظاهرة ما يعرف بالتفاعل المكاني، والتشاكل (التماثل) والتباين (التخالف)، إلا أن تناوله لهذه الظواهر كان على عجل دون تفصيل، علاوة على أن أمثلته كانت في جلها من اللغة العامية، ولم يكن للعربية الفصحى سوى النزر اليسير(٢).

يعد ابراهيم أنيس– فيما أعلم– أول من تناول من اللغويين المحدثين دراسة هذه الظاهرة دراسة علمية دقيقة، وقد تعرض لتعريفها وبيان أنواعها، ودرجات تأثرها، وكان الاستشهاد عليها بما في القرآن، الكريم ولغة العرب.

وقد عرفها بقوله:" تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام... على أن نسبة التأثر تختلف من صوت لآخر... والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها، قربها في الصفات أو المخارج، ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين الأصوات اللغة " (٣)

وتحدث عن الشرط لتحقيق هذا التأثر بقوله:" والشرط الأساس لتحقيق تأثر الصوت بما يجاوره أن يكون التقاؤهما مباشرا بحيث لا يفصل بينهما أي فاصل، ولو كان هذا الفاصل حركة قصيرة، ولا يتم هذا إلا أن يكون الصوت الأول مشكلا بما يسمى السكون" (٤)

---

(١) اللغوي، أبو الطيب، (١٩٦٠)، الإبدال في كلام العرب، ج١، تحقيق عز الدين الفيومي، دمشق، ص١٧.

(٢) ينظر: وافي، على عبد الواحد، علم اللغة، ٢٩٧-٣١٢ بتصرف

(٣) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص١٧٨

(٤) المرجع نفسه، ص١٨٣

ويعرفها محمد جواد النوري بقوله:" التعديلات التكيفية التي تعرض للصوت، بسبب مجاورته، دون أن يكون هذا التجاور مباشرا بالضرورة لأصوات أخرى في السلسلة ." [١]

نلاحظ الخلاف بين أنيس ومحمد جواد النوري، فالأول اشترط المجاورة المباشرة وتعرض إلى أنواعها الكلية والجزئية في حين نجد محمد جواد النوري لا يشترط المجاورة المباشرة. أما عبد الغفار حامد فقد ربط المماثلة بالصعوبة النطقية يقول:" فإن كان النطق بالمتجاورين أمرا صعبا يستلزم جهدا كبيرا لجأ صاحب اللغة إلى الطريق المؤدي إلى السهولة بتغيير أحدهما حتى ينسجم مع صاحبه صوتيا " [٢].

وهنا لم يتعرض إلى ماهية المماثلة بقدر حديثه عن الغرض من المماثلة الذي لخصه بالسهولة والانسجام الصوتي.

ويعرفها أحمد مختار عمر بقوله:" التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته– ولا نقول ملاصقته لأصوات أخرى " [٣].

أو هي عملية "تصبح بواسطتها الفونيمات متشابهة " [٤]

ويعرفها داوود عبده بقوله:" تغير صوت في سمة مميزة أو أكثر أي تغير في المخرج وأو في بعض الصفات بحيث يصبح الصوت المتغير مماثلا لصوت مجاور في تلك السمة المميزة أو تلك السمات " [٥].

وهنا يذهب عبده إلى المماثلة في المخرج أو في الصفة بمعنى أن الصوت المتأثر يصبح من مخرج الصوت المؤثر أو يتفقان في الملامح التمييزية كالجهر أو الإطباق أو غير ذلك ويعرفها استيته بقوله:" تأثر صوت بصوت مجاور، بحيث يكتسب فيه بعض خصائصه وصفاته النطقية، أو يفقد الصوت المتأثر بعض خصائصه النطقية ليماثل بذلك أحد الأصوات المتجاورة"[٦].

وارتضى الطيب بكوش أن يطلق مصطلح التقريب بدلا من مصطلح المماثلة على هذه الظاهرة إذ قال: "التقريب هو نزعة صوتين إلى التقارب أي الاتصاف بصفات متقاربة حتى

---

(١) النورين محمد جواد، علم أصوات اللغة، ص٢٩٧

(٢) حامد، عبد الغفار، (١٩٦٦)، أصوات اللغة العربية، القاهرة: مكتبة وهبة، ج٣، ص٢٣٠

(٣) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص٢٣٤

(٤) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) عبده، داوود، (١٩٩٠)، دراسة بعض أحكام التجويد في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، العربي للنشر، ط١، ص١٦

(٦) ستيتة، سمير، تحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، مجلة جامعة أم القرى، ع٩، ١٩٩٤

يسهل نطقهما متتاليين وذلك إذ كانا متباعدي المخرج أو كانا متماثلي المخرج، لكن أحدهما مجهور والآخر مهموس فكثير ما ينقلب المهموس إلى مقابلة في الجهر لمجانسة الحرف المجاور" [١]. نلحظ من خلال التعريفات السابقة أن المماثلة هي سلب واكتساب، أي يسلب الصوت المتأثر بعض سماته الصوتية، ويكتسب صفات صوتية بسبب التجاور لا يمكن أن يتصف بها لولا المجاورة في السلسلة النطقية، وقد يكون المتأثر الأول أو الثاني، والصوت المؤثر يجب أن يتسم بصفات قوة تجعله قادراً على التأثير في غيره من الأصوات سواء أكانت صفات ذاتية أم موقعية، وبهذا التأثر يحصل تقارب بين الأصوات المتجاورة في الصفة أو في المخرج أو يحدث تماثل تام بين الصوتين في الإدغام.

وتعرض المحدثون إلى تقسيمات المماثلة وأنواعها، غير أن قرالة ميز بين الأقسام والأنواع يقول:" أحسب أن أنواع المماثلة هي الركن الرئيس فيها أما الأقسام فهي فروع... وهنا أرى أن الأنواع تكون أساس الإتجاه.... تقدميّة أو أمامية، ورجعية أو خلفية، أما الأقسام فهي مباشرة، غير مباشرة، تامة، جزئية " [٢].

ويذهب إبراهيم أنيس إلى تقسيم المماثلة إلى رجعية وتقدمية يقول:" والمحدثون من علماء الأصوات اللغوية قرروا أنه قد يتجاور صوتان لغويان يتأثر الأول منهما بالثاني، واصطلحوا على تسمية هذا النوع من التأثر بالرجعي regressive، وأحيانا يتأثر الصوت الثاني بالأول وسموا هذا بالتأثر التقدمي progressive " [٣].

وقسمت أيضا من حيث درجة التأثر إلى كلية وجزئية ولم يتعرض أنيس إلى المماثلة المتبادلة. يقول محمد جواد النوري:" توصف المماثلة بين الصوتين المتجاورين بأنها مماثلة جزئية، عندما تؤدي هذه الظاهرة الصوتية إلى إحداث تماثل بين الصوتين المتجاورين في بعض الملامح " [٤].

"وتوصف المماثلة بين الصوتين المتجاورين بأنها كلية، وذلك عندما تؤدي هذه الظاهرة الصوتية إلى إحداث تماثل بين الصوتين المتجاورين في كل الملامح " [٥].

---

(١) بكوش، الطيب، (١٩٩٢)، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط٣، تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ص١٥١

(٢) القرالة، زيد خليل، (٢٠٠٤)، قراءة أبي عمرو بن العلاء دراسة نطقية اكوستيكية، اربد: عالم الكتب الحديثة. ص٣٦-٣٧

(٣) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص١٨٠

(٤) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٢٩٨.

(٥) المرجع نفسه، ص٣٠٠.

ويذكر محمد جواد النوري المماثلة المتبادلة بقوله:" وهناك نوع آخر من المماثلة نستطيع أن نطلق عليه مصطلح المماثلة المتبادلة، ويتم في هذا النوع من المماثلة تأثر كل من الصوتين السابق واللاحق بالآخر" (١).

لقد اعتمد المحدثون في تقسيم المماثلة على الأسس التالية:

١. الاتجاه يحدد الأمامية والخلفية أو التقدمية والرجعية.
٢. الموقع بين الأصوات من حيث مدى التجاور مباشر أو غير مباشر.
٣. درجة التأثر الحاصلة من التجاور. جزئية، كلية، تبادلية.

ثانيا: المخالفة Dissimilation

تعد المخالفة قانونا صوتيا آخر اعتمده المحدثون في تفسير بعض السلوكات الصرفية والنطقية وهي تسير في اتجاه معاكس للاتجاه الذي يسير فيه قانون المماثلة.

وقد تعرض المحدثون إلى تعريف المخالفة فها هو ذا إبراهيم أنيس يعرفها بقوله:" وهي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة، فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين " (٢).

ويعرفها رمضان عبد التواب بقوله:" أما قانون المخالفة فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة واحدة، فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة المعروفة في اللاتينية باسم liquida وهي: اللام والميم والنون والراء " (٣).

ويقول فندريس:" ينحصر التخالف وهو المسلك المضاد للتشابه، في أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة وكان من حقها أن تعمل مرتين " (٤) .

ويعرفها محمد جواد النوري بقوله:" تلك العملية التي يتم بموجبها تغيير أحد الصوتين المتماثلين في الكلمة إلى صوت آخر، وذلك من أجل تجنب الصعوبة الناجمة عن تكرار النطق بالصوت الواحد" (٥) .

---

(١) النوري، محمد جواد، من العوامل الصوتية في تشكيل البنية العربية، ص٢٧.
(٢) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢١٠.
(٣) عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، ص٥٧.
(٤) فندريس، ١٩٥٠، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ص٩٤.
(٥) النوري، محمد جواد، علم أصوات اللغة، ص٣٠٨.

ويعرفها أحمد مختار عمر بقوله:" تعديل الصوت الموجود في سلسة الكلام بتأثير صوت مجاور ولكنه تعديل عكسي،, يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين، وهي ظاهرة تحدث بصورة أقل من حدوث المماثلة، وهي ضرورية لتحقيق التوازن، فعامل المخالفة يستخدم لأعادة الخلافات التي لا غنى عنها، ولإبراز الفونيمات في صورة أكثر استقلالية " (١).

ويعرفها برتيل مالبرج بأنها: " التغيير الفونيتيكي الذي يؤدي إلى تعميق الفروق بين فونيمين بينهما فونيمات أخرى " (٢).

ويرى رمضان عبد التواب أن الهدف من المخالفة هو تيسير المجهود العضلي. يقول: " إن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، ويسير هذا المجهود العضلي بقلب أحد الصوتين صوتا آخر، من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهودا عضليا، كاللام والميم والنون " (٣) .

من خلال الآراء السابقة في المخالفة نجد أنفسنا أمام صوتين متماثلين كل التماثل وليس أمام صوتين متنافرين في المخرج أو الصفة، ومع ذلك يجد الناطق عسرا ومشقة في تحقيقهما فيلجأ إلى تغيير أحدهما بصوت آخر لتجنب العسر والمشقة في النطق.

ونجد أيضا أن أصوات المخالفة محدودة وهي أصوات اللين الطويلة والأصوات المائعة وليس في الأصوات كلها. وأخيرا نجد أن الأصوات المتجاورة متماثلة فلا يؤثر أحدهما في الآخر فنحن أمام صوتين متماثلين نريد أن نخالف بينهما في عملية نطقية بحتة.

ثالثا: المقطع الصوتي في العربية

من الأمور التي استند إليها المحدثون في تفسير الظواهر الصرفية، المقطع العربي.

لقد عرف القدماء المقطع العربي ولكنهم لم يدخلوه في تفسيرات البنى الصرفية للغة العربية فقد ورد عند الفارابي بقوله:" وكل حرف غير مصوت أتبع بصوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك، من قبل أنهم يسمون المصوتات

---

(١) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص٣٢٩-٣٣٠.

(٢) مالبرج، برتيل (١٩٩٤) الصوتيات، ترجمة محمد حلمي هليل، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإسلامية، ص١٢٠.

(٣) عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، ص٦٤.

القصيرة حركات، وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلا، وهو يمكن أن يقرن به فإنهم يسمونه الحرف الساكن، وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل" [١]

إن هذا النص يتضمن مصطلح المقطع بدلالاته الصوتية الحديثة، ويبين أقسام المقطع من حيث الطول والقصر، ويبين أيضا بنية المقطع من صامت+ المصوت القصير أو الصامت+ المصوت الطويل.

ويذكر حسام النعيمي أن الفارابي أول من أطلق لفظ مقطع بمعناه الإصطلاحي،[٢] أما المحدثون فقد تضاربت آراؤهم حول تعريف المقطع، لذا لم يضعوا له تعريفا دقيقا حتى يومنا هذا، وذلك بسبب اختلاف النظرة إليه، فمنهم من نظر إليه من ناحية نطقه ومنهم من تناوله من ناحية وظيفية، ومنهم من تناوله من ناحية صوتية فيزيائية يقول مالبرج:" وإذا كان علماء الأصوات لم يتفقوا على تعريف للمقطع فإن ذلك يرجع في جانب منه إلى أنهم يذهبون في تعريفه مذاهب شتى صوتية فيزيقية، أو مخرجية أو وظيفية، ويرجع في جانب آخر إلى أن الأجهزة التي يعتمد عليها حتى الآن لم تتح لعلماء الأصوات، أن يعينوا حدود المقاطع على المنحنيات والرسوم التي يحصلون عليها " [٣].

غير أن هذا لا يعني أن المقطع بقي دون تعريف، فقد حاول علماء الأصوات المحدثون وضع تعريفات له، فهو عند إبراهيم أنيس:" عبارة عن حركة قصيرة أو طويلة، مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة " [٤].

ويعرفه عبد الصبور شاهين بقوله:" تأليف صوتي بسيط تتكون منه، واحدا أو أكثر كلمات اللغة، متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها " [٥]. ويعرفه عبد الرحمن أيوب بقوله:" مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة " [٦].

وعرفه بسام بركة بقوله:" بأنه نوع بسيط من الأصوات التركيبية في السلسلة الكلامية بمعنى أنه وحدة صوتية أكبر من الفونيم وتأتي بعده من حيث الأبعاد الزمنية في النطق " [٧].

---

(١) الفارابي، أبو نصر محمد، (د.ت)، الموسيقي الكبير، تحقيق عطاس عبد الملك حشبة، مراجعة: محمود الحفني القاهرة: دار الكتاب العربي، ص١٠٧٥-١٠٧٦

(٢) النعيمي، حسام، ١٩٩٨، أبحاث في أصوات العربية، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ص٨٦

(٣) مالبرج، برتيل، علم الأصوات، ص١٥٤.

(٤) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ص١٤٧.

(٥) شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية، في ضوء علم اللغة الحديث، ص٢٥.

(٦) أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، ص١٣٩.

(٧) بركة، بسام، ١٩٨٨، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، بيروت: الإنماء القومي، ص٧٩.

فالمقطع إذن هو: وحدة صوتية تتكون من فونيمين على الأقل ضمن ترتيب يقبل به نظام اللغة. فالعربية مثلا المقطع فيها يبدأ بصامت ثم حركة وينتهي إما بحركة أو صامت أو أكثر من صامت.

أشكال المقطع الصوتي في اللغة العربية

لا يكاد كتاب في أصوات اللغة العربية يخلو من الحديث عن المقطع الصوتي والبنية المقطعية في اللغة العربية، على الرغم من اختلاف هذه الكتب أحيانا في عدد هذه المقاطع، إلا أنها تكاد تجمع على وجود ستة مقاطع صوتية تكون بنية النسيج المقطعي للغة العربية. وهذه المقاطع هي:

١- *ص ح (صامت + حركة)

مثل المقاطع في كلمة: رجع: رَ جَ عَ ، ص ح، ص ح، ص ح.

٢- ص ح ص (صامت+ حركة+ صامت) مثل المقاطع في كلمة زراتم|ص ح ص| ص ح ص

٣- ص ح ح (صامت+حركة طويلة) مثل المقطع في كلمة: ما |ص ح ح

٤-ص ح ح ص (صامت+حركة طويلة+ صامت) مثل المقطع في كلمة بابْ في حالة الوقف.

٥- ص ح ص ص (صامت+ حركة قصيرة+ صامت+ صامت) مثل كلمة زُرْتْ في حالة الوقف.

٦-ص ح ح ص ص (صامت+حركة طويلة+صامت+ صامت) مثل المقطع في كلمة جادّ [١]. ولم تكن أشكال المقطع في العربية وعددها بمنأى عن الخلاف فالمقطع الأخير لم يرد عند بعض العلماء إضافة إلى أن بعض العلماء قد أضافوا شكلا أو نمطاً آخر، فقد طرح تمام حسان جواز ابتداء المقطع العربي بحركة يقول في ذلك: " وفي العربية ستة مقطاع في كل منها صحيح واحد أو أكثر وعلة واحدة فحسب... أمكننا أن نبني المقاطع العربية في أشكالها المختلفة:

١-(ع ص)

٢- (ص ع)

---

* (ص) : نعني صوتا صامتا ويقابلها في الإنجليزية c.

(ح): نعني صوتا صامتا حركة ويقابلها في الإنجليزية v.

(١) ينظر: عبده، داود (١٩٧٠)، دراسات في علم الأصوات العربية، الكويت مؤسسة الصياح، ص١٠٧-١٠٨، وبركة، بسام، علم الأصوات العام، ص١٤١-١٤٥.

٣- (ص ع ص)

٤-(ص ع ع)

٥-(ص ع ع ص)

٦-(ص ع ص ص)

والقاعدة في تمييز المقطع الأول أنه يوجد في بداية كل ما بديء بهمزة وصل " [١].

نلاحظ من كلام تمام حسان أنه لغى المقطع (ص ح ح ص ص). وأضاف شكلا مقطعيا يعتبر مرفوضا في اللغة العربية، لأن اللغة العربية لا تبدأ بحركة في بنيتها المقطعيـــة وجـــاءت همزة الوصل للخروج من هذا المحذور.

غير أننا نجد من يذهب إلى أن همزة الوصل هي حركة، ويجوز أن يبدأ المقطع العربي بحركة يقول حازم علي:" إن همزة الوصل التي أشرنا إليها إنها نوع من الحركات يضاف إلـــى ذلك الوقوع في البداية، يشير إلى وجود نوع جديد من المقاطع، وهذا النوع يبدأ بحركة، وذلـــك خلافا للأنواع المشهورة التي تبدأ بصامت " [٢].

ومن العلماء الذين يرون وجود هذا النمط من المقاطع (ح ص) سمير ستيتية يقول فـــي ذلك:" أن تصبح همزة الوصل همزة قطع عند البدء بها ليس ضربة لازب، إذ يمكن أن تتحقـــق فتصبح همزة قطع، ويمكن أن تبقى على حالها حركة لا صامتا " [٣].

وقال كانتينو:" يجوز في المقطع إذا وقع أولاً أن يبتديء بحركة " [٤].

غير أننا نجد تمام حسان يتراجع عن هذا الرأي فقد جاء في كتابه اللغة العربية ومعناها ومنباها "ما نصه:" أن الحروف الصحيحة تكون بداية للمقطع في اللغة العربية ولا تكون العلـــل كذلك " [٥].

---

(١) حسان تمام، (١٩٧٤)، مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط٢، ص١٣٢

(٢) علي، حازم، (١٩٩٣)، ظاهرة المقطع الصوتي في اللغة العربية، مراجعة رمضان عبد النواب، القاهرة مكتبة الآداب، ص٦٧

(٣) ستيتية، سمير (١٩٩٤)، تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الحسن البصري، مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية ع.٨، ١٩٩٤.

(٤) كانتينو، جان، (١٩٩٦)، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية عن الجامعة التونسية. ص١٩٣.

(٥) حسان، تمام، (١٩٧٩) اللغة العربية معناها ومنباها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢ ص٦٩، ٧٢.

غير أننا نجد كثيرا من العلماء لا يوافقون هذا الرأي الداعي بجواز ابتداء المقطع بحركة، فهذا عبد الصبور شاهين يرى أنه لا يمكن أن يبدأ المقطع في العربية بحركة، ولذلك اجتلبت همزة الوصل قبل الحركة ليكون البدء بمتحرك [١] .

أما أحمد مختار عمر فإنه يعمد إلى طريق تبدو عقلية في تحديد البنى المقطعية حيث يذكر أن المقاطع الموجودة في اللغة العربية في الحقيقة ثلاثة مقاطع هي:

١. (ص ح)
٢. (ص ح ص)
٣. (ص ح ص ص)

ثم يضيف ثلاثة مقاطع أخرى ممكنة عن طريق إطالة الحركة في المقاطع السابقة وهي:

٤. (ص ح ح)
٥. (ص ح ح ص)
٦. (ص ح ح ص ص) [٢].

والمقطع السادس الذي ورد عند مختار عمر ورد أيضا عند عبد الصبور شاهين وأطلق عليه المقطع المتمادي [٣].

ونجده عند النوري وقد أطلق عليه المقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق [٤].

غير أن أحمد مختار عمر نفسه ينفي وجود المقطع السادس من الدراسات اللغوية حيث يرى أن الأشكال المقطعية التي تتكون منها الأوزان في اللغة العربية لا تخرج عن الأشكال الخمسة المذكورة سابقا [٥].

لقد استوقف المقطع الأخير بسام بركة فرأى أنه غير موجود في اللغة العربية وعلل ذلك بأن: " الحرف المشدد يلفظ في حالة الوقف كحرف غير مشدد أي كصامت واحد فلا نقول راد (رادد) مع نبر قوي على الدال، ولكن دون لفظ دال أخرى، وينتمي بذلك هذا المثل إلى الذي ذكر مختار إلى فئة المقاطع (صامت+صائت طويل+ صامت) [٦].

---

(١) ينظر: شاهين، عبد الصبور، علم اللغة العام، ص١٠٩. والمنهج الصوتي للبنية العربية ص١٧٤.
(٢) مختار، أحمد عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٢٦١.
(٣) مالبرج، برتيل، علم الأصوات، ص٢٠١.
(٤) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٢٤١.
(٥) مختار، أحمد عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٢٦١.
(٦) بركة، بسام، علم الأصوات العام، ص١٤٥-١٤٦.

إن مثل هذه الأنماط المقطعية التي دعا إليها تمام حسان وهو (ح ص) والمقطع الوارد عند مختار عمر وغيره وهو (ص ح ح ص ص) فيهما نظر، أما الأول فقد رأى تمام حسان ومن سار على شاكلته أنه يجوز أن يبدأ المقطع العربي بحركة واعتبروا همزة الوصل حركة وهذا الرأي كما يرى الباحث فيه بعض التكلف؛ لأن همزة الوصل صامت وليست حركة ولو كانت حركة لما اجتلبت في بداية المقطع، وهي همزة ولكنها أقل نبراً من الهمزة المحققة أصلا. فهي صامت متلو بحركة للتخلص من النطق بالساكن بعدها.

أما المقطع (ص ح ح ص ص) فإن مثل هذا المقطع الذي يتحدد بقيود مفتعلة لتجيز وروده، لا داعي له في العربية، لأن ما ذهب إليه بركة هو الصواب فالصامت المضعف في حالة الوقف لا ينطق إلا صامت واحد فيه بروز أكثر من غيره لكنه لا يكرر، فعند كتابة مثل هذا المقطع صوتيا نجده هكذا (raad ولا يكتب raadd). فشاهين ومختار ومحمد جواد النوري جعلوا البروز حرفا وهذا لا داعي له.

وقد فر ق بعلبكي بين الصامت المضعف والصامت الطويل، أن الاول يقع في مقطعين اثنين كما في ضالٌّ daal|lun، أما الصامت الطويل فإنه يكون في مقطع واحد فحسب، وهو يتميز بديمومة أطول من ديمومة الصامت القصيرة [١].

ويمكن تقسيم المقاطع العربية من حيث الكمية إلى ثلاثة أقسام:

١. مقطع قصير وهو ما تكوّن من ساكن وحركة قصيرة |cv|.
٢. مقطع متوسط ويشتمل المقطعين |cvc|و|cvv.
٣. المقطع الطويل ويشمل المقاطع|cvvc| و| cvcc.
٤. مقطع بالغ الطول ويشمل |cvvcc| [٢].

ويمكن تصنيف المقاطع في اللغة من حيث النهاية إلى:

أ. المقطع المفتوح: ويعرف المقطع المفتوح بأنه المقطع الذي لا يشتمل على خاتمة coda، أي أنه ينتهي بحركة قصيرة أو حركة طويلة.

ب. المقطع المغلق: فيعرف بأنه الذي يشتمل على خاتمة. فمن أمثلة هذين النوعين من المقاطع مقطعا الفعل كَتَبْ في حالة النطق به ساكنا. Ka|tab. فالمقطع الأول مفتوح والثاني مغلق [٣].

---

(١) ينظر بعلبكي، رمزي منير(١٩٩٠) معجم المصطلحات اللغوية، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ص٢٩٤، ١٦٠.

(٢) ينظر: مصلوح، سعد، (١٩٨٠)، دراسة السمع والكلام، القاهرة: عالم الكتب، ص٢٧٦-٢٧٧

(٣) النوري، محمد جواد، علم الأصوات العربية، ص٢٤٠.

ويقسم المقطع من حيث إمكان وقوعه في الكلمة إلى:

١. مقطع حر: ويأتي في بداية الكلمة، ووسطها، ونهايتها، ويشمل ذلك المقطع القصير والمقطعين المتوسطين المفتوح والمغلق (ص ح) و (ص ح ص) و (ص ح ح) ويمكن للمقطع من النوع الرابع (ص ح ح ص) أن يرد بالإضافة إلى نهاية الكلمة في أكثر من موقع في الكلمة ومن أمثلته رادّك raad|du|ka وضالّين dal|liin، وتحاضّون ta|haad|duun. وتتجه العربية المعاصرة إلى التقليل من استعمال هذا النوع من المقاطع. (١)

٢. المقطع المقيد: وهو المقطع الذي يلزم موقعا معينا في الكلمة ومن أمثلته المقطع الطويل المزدوج الإغلاق الذي لا يرد في أواخر الكلمات وحين الوقف مثل المقطع الأخير في مستقر qarr |ta |mus . (٢)

ويقول عبد الغفار هلال:" وتتخلص العربية من المقطع الأخير (س+ ع+ س+س) بتحريك ما قبل الآخر مثل بَحر صبر وجبر ويقف بعضهم عليها بتحريك ما قبل الحرف الأخير فينطقونها. بَحَر وصبَر وحَبر " (٣).

*** الخصائص البنيوية للمقطع العربي.**

حدد علماء الأصوات، من خلال البنى المقطعية الواردة في النظام اللغوي للعربية مجموعة من الخصائص للمقطع العربي وهي:

١. يتكون المقطع في العربية من صوتين على الأقل، صامت+ حركة.

٢. لا يبدأ المقطع العربي بحركة، وذلك لعدم رسم الحركات مستقلة عن الحروف، أو بصامتين، وإن كانت اللغة تسمح بأن تنتهي بعض مقاطعها بصامتين وذلك في حالة الوقف كما في بنت bint وخبز xubz

وهذه الخصيصة من أهم الخصائص التي يطرحها علماء الأصوات. ومع أن داوود عبده من الذين يميلون إلى التحديث، فقد سبق أن قال بإمكان ابتداء المقطع العربي بحركة (٤).

---

(١) ينظر: النوري، علم أصوات العربية، ص٢٤١. ومصلوح، سعد، دراسة السمع والكلام، ص٢٧٧.

(٢) النوري، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) هلال، عبد الغفار، (١٩٩٦)، أصوات اللغة العربية، القاهرة: مكتبة وهبة ط٣، ص٢٠٥.

(٤) عبده، داوود، (١٩٧٣)، أبحاث في اللغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان، ص١٩.

ويقول عصام نور الدين: أنه يجب أن يثنى المقطع العربي بحركة، وهذا يعني عدم التقاء صامتين في المقطع الواحد في البداية [١] .

٣. تجيز العربية توالي المقطاع القصيرة (ص ح) والمقاطع المتوسطة (ص ح ص) وإن كانت العربية تميل في تطورها للتخلص من توالي المقاطع القصيرة، أما المقاطع المتوسطة المفتوحة (ص ح ح)، فإن تواليها مقيد وغير مألوف في الكلام العربي، ولا يسمح هذا الكلام بتوالي أكثر من اثنين من هذا النوع [٢].

٤. لا يمكن أن يقوم الصامت بوظيفة النواة المقطعية، فهو يشغل دائما مركز الهامش سواء في بداية المقطع أو نهايته، أو يشغل المطلع والهامش، بعكس الحركة التي لا تكون إلا قمة. مقطعها. [٣]

٥. والمقطع العربي ينتهي بصامت قصير أو طويل، وإما بصامت واحد، ولا يتكون من صوامت فقط، ولا من صوائت فقط [٤].

٦. يتسم المقطع المبدوء بصامت بالقوة في حين يتسم المقطع المبدوء بنصف الحركة بالضعف.

١. قواعد الإبدال عند المحدثين:

يقع تحت هذا المسمى الإبدال الصرفي الصوتي ويقصد به إبدال حرف صحيح أو معتل (نصف حركة). بحرف صحيح، وذلك إبدالا قياسيا مطردا في صيغ صرفية محددة لا يخرج عنها، وسببه الثقل الصوتي الناجم عن اختلاف الأصوات في الصفة أو في المخرج. وقد أطلق محمد الأنطاكي على هذا النوع من الإبدال مسميات أخرى هي الضروري أو اللازم، ثم قال: " وأجدر من ذلك أن يسمى الإبدال الصوتي لأنه تبدلات صوتية لا يترتب عليها تغيير في معنى الكلمة الصرفي أو وظيفتها النحوية " [٥].

---

(١) نور الدين، عصام (١٩٩٢)، علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، دار الفكر اللبناني، ط١، ص٩٥.

(٢) ينظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص١٦٥. وبكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات، ص٧٧-٧٨، والنوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٢٤٧.

(٣) ينظر: بحرة، سامر، (د.ت) المقطع في العربية (دراسة صرف صوتية إحصائية) رسالة ماجيستير، جامعة تشرين، ص٥٥.

(٤) نور الدين، عصام، علم وظائف الأصوات، ص٩٥

(٥) الأنطاكي، محمد، ١٩٧١، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، بيروت: دار الشرق العربي، ط٣، ١٣١/١

وأفضل أن يطلق عليه الإبدال الصرفصوتي، لأنه يجمع بين الصيغة الصرفية والعلة الصوتية.

وقد أطلق علماء الأصوات المحدثون على هذا الإبدال أسماء عدة منها المماثلة أو التماثل أو التقريب والتجانس وغيرها.

ويبدو أن أول من تعرض لهذه الظاهرة- أعني المماثلة- على عبد الواحد وافي في كتابه علم اللغة، وقد أطلق عليها ظاهرة تفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض – صامتة أو صائتة- وقد ذكر ضمن هذه الظاهرة ما يعرف بالنقل المكاني، والتشاكل (التماثل)، والتباين (التخالف) إلا أن تناوله لهذه الظواهر كان على عجل دون تفصيل، علاوة على أن أمثلته كانت في جلها من اللغة العامية، ولم يكن للعربية الفصحى سوى النزر اليسير [١].

ويعد إبراهيم أنيس- فيما أعلم- أول من تناول من اللغويين العرب المحدثين دراسة هذه الظاهرة دراسة علمية دقيقة، وقد تعرض لتعريفها وبيان أنواعها ودرجات تأثرها، وكان الاستشهاد عليها بما في القرآن الكريم ولغة العرب [٢].

ويقسم هذا النوع من الإبدال إلى قسمين:

١. إبدال نصف علة (واو أو ياء) بصامت أي مماثلة نصف العلة للصامت.
٢. إبدال صامت من صامت، أي مماثلة صامت لآخر في الصفة أو في المخرج وسنتتبع آراء العلماء المحدثين في قسمي هذا الإبدال.

أ. مماثلة نصف الحركة للصامت:

وردت هذه المماثلة عند علماء الأصوات المحدثين، وكان لهم فيها آراء مختلفة وذلك بسبب الخلاف في الملامح التمييزية بين نصف الحركة والصامت. الذي ماثلته. وتقع هذه المماثلة في صوتي الواو والياء بوصفهما نصفي حركة مع التاء في صيغة افتعل. ويمكن بيان هذا التماثل على لنحو الآتي:

١- مماثلة نصف الحركة الواو والياء للتاء:

واي+ت ـــــــ تّ. نصف حركة+ انفجاري ـــــــ انفجاري مضعف.

يذهب عبد الصبور شاهين إلى أن تفسير القدماء، بعيد عن الصحة، لبعد ما بين التاء من جانب والواو والياء من جانب آخر. فالتاء صوت لثوي انفجاري مهموس، والياء صوت غاري

---

(١) وافي، علي عبد الواحد (١٩٥٧)، علم اللغة، ط٤، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ص٢٩٨-٣١٢ بتصرف.

(٢) ينظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص١٧٨ وما بعدها.

انطلاقي مجهور انتقالي (نصف حركة) وكل ما حدث هو أن استثقال الـواو والياء فـي هـذا الموضع (أو تصل وايتسر)، دفع الناطق العربي إلى إسقاطها وتعويض موقعهما بتكرار التـاء، فالتاء هنا مجرد وسيلة لتحقيق الإيقاع اللازم لصيغة الافتعال لا غير" (١)

ويذهب أيضا إلى أن وزن (اتّصل واتّعد واتّسر) هو (اتّعل) فقد سقطت فاؤه وعـوض موقعها بالتاء، لأن تاء التعويض من مثل تاء الافتعال من أحرف الزيادة. (٢)

ويقول أيضا:" وأصل اتصل، أو تصل: يقول الصرفيون إن الواو أدغمت في التاء بعدها فصارت تاءين: اتّصل، وذلك دون أن يناقشوا العلاقة الصوتية بين الواو والتاء، ونحن نقرر أن بين الصوتين تباعدا لا يسمح بتأثر أحدهما في الآخر، فلا مماثلة بينهما ولا إدغام، والذي حدث في رأينا أن الواو وقعت بعد كسرة وهو تتابع تكرهه العربية، لأنه تتابع بين الحركـة الأماميـة الضيقة، والخلفية الضيقة (الفتحة) فكان لا بد من التخلص من ذلك، ولذلك تصرف الناطق بهـذه الطريقة التي توحي بأنه أسقط الواو"(٣)

وقد بنى رأيه هذا على الحقيقة التي أكدها وهي:" ضرورة وجود علاقة صـوتية بـين الصوتين المتجاورين، ليتم التأثير إبدالا أو مماثلة، وهذه العلاقة ترجع إلى اعتبارين أساسين.

الأول: تقارب المخرج أو اتحاده.

والثاني: كون الصوتين من مجموعة واحدة من الصوامت أو الحركات، فلا يمكـن أن يؤثر صوت في آخر بعيد عنه مخرجا، كما لا يصح القول بأن صوتا من جنس الصوامت يبدل من صوت من جنس الحركات " (٤).

نحن نوافق شاهين بعدم وجود قرابة صوتية بين الواو والياء من جهة والتاء من جهـة أخرى، ولكن إذا لم تقلب تاء ماذا تقلب؟ لقد وقعت نصف الحركة في نهاية مقطع علاوة علـى أنها ساكنة، وهي ضعيفة أصلا، فزادت بموقعها وسكونها ضعفا، والكتابة الصوتية توضح هذا

أوتصل ɔiw|ta|sa|la اتّصل ɔit|ta|sa|la

ايتسر ɔiy|ta|sa|ra اتّسر ɔit|ta|sa|ra

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢١١.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه، ص٧١.

(٤) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢١١.

إضافة إلى أن ما قاله عن الواو من وقوعها بعد كسرة، فيحتاج الناطق إلى عملية انتقالية من المنطقة الأمامية الضيقة إلى المنطقة الخلفية الضيقة، لكن هذا القول لا ينطبق على الياء لأنها من مخرج الكسرة أو قريبة من موضع الكسرة. فأين العملية الانتقالية فيها؟!

إن الناطق العربي أراد أن يخالف بين الحركة ونصف الحركة، ويتخلص من ضعف نصف الحركة، فقلب نصف الحركة إلى صامت يتفق مع ما يجاوره ويسهّل العلمية النطقية، فأبدلها تاء، ولم يتغير وزنها لأنها في الأصل (افتعل)، والتاء بدل من نصف الحركة، وحلت محلها فتأخذ موضعها في الميزان.

أما محمد جواد النوري فذهب إلى أن هناك مماثلة رجعية يقول:" إذا وردت الواو أو الياء، بوصفهما نصفي حركة متجاورتين مع التاء، في داخل بنية واحدة، وكانت هذه البنية على صيغة: افتعل" أو احدى مشتقاتها، فإن هذين الصوتين يتأثران بصوت التاء المجاور لهما مباشرة تأثراً رجعياً فينقلبان إلى تاء، ثم تجرى بعد ذلك عملية الإدغام في الصوتين المتماثلين على النحو الآتي:

أو تعد > اتتعد > اتّعد

ايتسر > اتتسر > اتّسر

ويرى أن سبب هذا التأثر يعود إلى أن صوتي الواو والياء يتسمان بالقصر، وقلة الوضوح السمعي قياسا بالحركات الصرفية، كالواو والياء في كلمتي كتبوا ka|ta|buu وتكتبين tak|tu|biin وهما لهذا السبب يلحقان بالصوامت الاحتكاكية، وإن كان الاحتكاك فيهما قليلا، أكثر مما يلحقان بالحركات، ويرى أيضا أن موقع كل من نصفي الحركة (الواو والياء) ساكنين في نهاية مقطع أضعف هذين الصوتين، بالإضافة إلى ثقل الحركات فيهما. لأن الحركة تقوي الحرف وتحصنه. ويضيف أن سبب هذا البدل يعود إلى قوة الصوت الانفجاري "التاء" قياسا إلى الاحتكاكي (الواو والياء) مما أدى إلى تأثير الصوت الانفجاري في نصفي الحركة فقلبهما إلى حرف من جنسه [١]. لقد اعتمد محمد جواد النوري في تفسير هذا السلوك الصرفي على أقوال القدماء من قوة صوت التاء، ومما يؤخذ عليه أنه ألحق نصفي الحركة بالأصوات الاحتكاكية الصرفية، إضافة لى أنه اعتد بالسكون العارض، لأن الصيغة الصرفية هي التي أوجبت السكون فقد قال:" نظرا لاستثقال الحركات فيهما" [٢].

---

(١)ينظر: النوري: محمد جواد، دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال، ص١٦، وعلي، سعيد محمد، ٢٠٠٣. الدرس الصوتي عند عصفور، رسالة ماجستير جامعة النجاح. ص٢٠٥-٢١٠

(٢) المرجع نفسه، ص١٦

ويقول بكوش في هذا البدل:" في صيغة افتعل تدغم فاء الفعل إذا كانت ياء أو واو همزة مثل اتّبع، اتّصل، اتّخذ، وذلك لثقل الواو الساكنة بعد كسرة " (١).

و لم يعلل بكوش إلا الواو إذا كانت فاء افتعل، أما إذا كانت فاء افتعل ياء أو همزة لم يذكر سبب القلب، لأنه لا يوجد انتقال من موضع الكسرة الأمامية إلى مخرج نصف الحركة الواو الخلفية، فهذه القاعدة (أي ثقل الواو الساكنة بعد كسرة) لا تنطبق إلا على الواو أما الياء فلا يوجد فيها هذا الثقل. أما إذا كانت فاء الكلمة همزة فيبدو أن سبب الإبدال يعود إلى ثقل الهمزتين فقلبت الهمزة الثانية تاء. والكتابة الصوتية توضح ذلك.

أوتصل ʔiw|ta|sa|la اتّصل ʔit|ta|sa|la

يبدو أن الناطق في مثل هذه البنية أراد أن يتخلص من نصف الحركة الواو، لأنها في نهاية مقطع ساكنة؛ إضافة إلى التخلص من الانتقال من الكسرة إلى نصف الحركة المخالفة للكسرة في الموضع، إضافة إلى إقفال المقطع بصوت انفجاري بدلا من إغلاقه بصوت انطلاقي، علاوة على أن هذا الإقفال يعطي نشاطا للابتداء بالمقطع الجديد اللاحق؛ لأن الناطق يجد صعوبة في إغلاق المقطع بصوت انطلاقي والانتقال إلى صوت انفجاري في المقطع الذي يليه. فهذا القلب أدى إلى تماثل الصوتين المتجاورين ليسهل نطقهما: وهناك صفة ضدية بين التاء والواو فالتاء انفجارية، والواو فيها حفيف قليل أي أنها قريبة من الصفة الاحتكاكية فهذا التماثل خلّص الناطق من الانتقال من الاحتكاك إلى الانفجار بقلب الواو إلى صوت انفجاري.

أما إذا كانت فاء افتعل ياء فإننا يمكن أن نفسر هذا البدل على النحو الآتي:

ايتسر ʔiy|ta|sa|ra اتسر ʔit|ta|sa|ra

وقعت الياء بوصفها نصف حركة مسبوقة. بحركة من جنسها فأراد الناطق أن يخالف بين الياء نصف الحركة والكسرة القصيرة، علاوة على أن الياء ضعفت بالسكون والموقع، والياء صوت انطلاقي فيه بعض الاحتكاك، فالانطلاق من الصوت المتصف بالانطلاق وفيه شيء من الاحتكاك إلى الصوت المتسم بالانفجار، يضعف المقطع التالي، فأراد الناطق أن يغلق المقطع بصوت انفجاري لتوحيد الصفة بين نهاية المقطع الأول وبداية المقطع الثاني.

أما داوود عبده فيرى أن صيغة افتعل لم تكن هي الأصل، وإنما حدث فيها قلب مكاني فهي في الأصل "اتفعل" ويذكر أدلة على صحة ما يقول منها: وجود صيغة "اتفعل" في بعض

---

(١) بكوش، الطيب، التصريف العربي، ص٧٨

اللغات السامية، ثم إن أحرف الزيادة في الأفعال تضاف عادة قبل الفاء نحو: أفعل انفعل استفعل وكذلك اتفعل، ثم إن المماثلة بين الصحاح في اللغة العربية هي مماثلة رجعية غالبا [١].

ويرى أيضا أن الأفعال في مثل (اتّخذ واتّعد) لم يكن فيها مماثلة يقول:" أما لماذا لم ينطبق هذا على أفعال مثل اتّخذ واتّعد حيث تكون فاء الفعل همزة أو شبه علة، فلأن التاء الإضافية في مثل هذه الأفعال ليست منقلبة عن همزة أو شبه علة، فما حدث – فيما أرى– هو أن الواو والهمزة سقطتا في مثل هذه الأفعال وضعّفت التاء بعامل الميل للمحافظة على التركيب المقطعي للكلمة (كإطالة العلة في مثل بئر وراس أو أأمن عند سقوط الهمزة):

اتأخذ ← اتخذ ← اتّخذ

اتوحد ← اتحد ← اتّحد [٢]

يبدو أن خلاف المحدثين في هذا القلب فاق ما جاء عند القدماء من خلافات قاعدية، فعبده يذهب إلى وجود قلب مكاني في الصيغة، وشاهين يرى أنها حذفت وعوض عنها بالتاء من أجل المحافظة على إيقاع الصيغة ومحمد جواد النوري يرى وجود مماثلة بين الصوتين المتجاوري، وبكوش يتحدث عن الواو، أنها وقعت بعد كسرة مما أدى إلى ثقل نطقها.

يرى الباحث أن سبب هذا الخلاف يعود إلى الآلية التي أعتمِد عليها في تفسير البينة أما الناظر في أمثلة عبده فإن الكتابة الصوتية توضح ما يلي:

اتأخذ ʔit|ʔa|xa|&a اتخذ ʔi|ta|xa|&a اتّخذ ʔit|ta|xa|&a

اتوحد ʔit|wa|ha|da اتحد ʔit|ha|da اتّحد ʔit|ta|ha|da

حذف الهمزة وشبه العلة من الصيغة دون أن يبين سبب هذا الحذف، ثم عوض عن المحذوف بالتاء، ثم صار قلب مكاني في الصيغة حتى أصبحت افتعل (اتحد).

غير أن الباحث يرى من خلال النسيج المقطعي لمثل هذه البنى أن الناطق أراد أن يخالف بين المقاطع، فعند إسقاط الفاء (الهمزة وشبه العلة) أصبح النسيج المقطعي يتكون من مقاطع قصيرة، والعربية تكره توالي المقاطع القصيرة المفتوحة. فأراد أن يحافظ على التركيب المقطعي فأتى بالتاء ليتحول المقطع الأول القصير إلى مقطع متوسط مغلق.

إن للباحث رأياً يخالف عبده، ويتمثل هذا الرأي برفض القلب المكاني للصيغة، وأن سبب الحذف يعود إلى الضعف الناجم عن السكون، والموقعية فوقعت شبه العلة ساكنة في نهاية مقطع مما جعلها عرضة لتأثير التاء فيها، المتسمة بصفات قوة تتمثل في الموقع في بداية مقطع،

---

(١) ينظر: عبده ،داوود، دراسات في علم أصوات العربية، ص٩٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٥-٩٦.

ومحصّنة بالحركة وفيها قوة ذاتية في الصفة الانفجارية. فأثرت التاء في شبه العلة فحولتها إلى جنسها.

أو تصل ʔiw|ta|sa|la ⟵ اتّصل ʔit|ta|sa|la

أيتسر ʔiy|ta|sa|ra ⟵ اتسر ʔit|ta|sa|ra

علاوة على أن الناطق أراد أن يتخلص في البنية الأولى من صعوبة الانتقال من موضع الكسرة إلى مخرج نصف الحركة الواو. أما في البينة الثانية فأراد أن يخالف بين نصف الحركة (الياء) والكسرة القصير. ففي هذه الأمثلة وما جاء على شاكلتها أثر الثاني في الأول فهي من قبيل المماثلة الرجعية. وقد أدت هذه المماثلة إلى الانسجام الصوتي بين الصوتين المتجاورين. وهي مماثلة كلية لأن هذه الظاهرة أدت إلى احداث تماثل تام بين الصوتين المتجاورين فهي من حيث الاتجاه تراجعية أو خلفية ومن حيث درجة التأثر كلية.

إن ما ذهب إليه المحدثون لا يختلف كثيرا عن وصف القدماء لأن القدماء أرادوا تقوية الصيغة بقلب شبه العلة إلى صوت أجلد قوي. وما جاء عند المحدثين يدور في الدائرة نفسها، غير أن المحدثين اختلفوا في تفسير آلية مجيء التاء.

ب. مماثلة صامت لآخر (أو إبدال صامت بصامت آخر)

ويقصد به أن يؤثر صامت بصامت آخر فيقاربه إليه في الصفة أو في المخرج أو في كليهما. ومن أمثلة هذا الإبدال ما يلي:

١. مماثلة التاء للطاء:

تبدل التاء طاء في صيغة افتعل ومشتقاتها، إذا كانت فاء افتعل (ص، أو ض، أو ظ، أو ط).

يقول شاهين:" إن بعض الأفعال التي تبدأ بصوت مطبق (مفخم) تتغير فيها الزيادة بتأثير المماثلة، والأصوات المطبقة التي تحدث معها هذه الظاهرة أربعة (الصاد والضاد والطاء والظاء) فإذا أريد الإتيان بصيغة الافتعال من الأفعال: صبر، وضرب، وطلب، وظلم، قلنا اصطبر، واضطرب، واطّلب وأظطلم. فالتاء تقلب طاء لمجاورتها صوتا مطبقا بصورة مباشرة، أي: حين لا يفصل بين الصوتين فاصل من حركة، وتسمى هذه الظاهرة مماثلة تقدمية لأن الصوت الأول المطبق أثر في تاليه غير المطبق (المستفل)، فإذا أريد وزن هذه الأفعال، صيغ

الوزن بالتاء على أصلها، لا في صورتها التي جاءت بها في النطق والكتابة، لأن تحولها طـــاء ليس مطلقا، بل هو عارض، والطاء ليست من حروف الزيادة " [١].

أما محمد جواد النوري فقد اعتمد في تفسيره لهذه الظاهرة على أقوال القدماء مع عـــدم إغفال المصطلحات الحديثة. يقول:" إن كل فعل ثلاثي مبدوء بصاد أو ضاد أو طـــاء أو ظـــاء، وأردنا بناءه على وزن صيغة "افتعل" أو إحدى مشتقاتها فإن تاء هذه الصيغة المجاورة لأي مـــن تلك الأصوات تقلب طاء، وذلك على النحو التالي:

صبر sa|ba|ra ← اصتبر ʔis|ta|ba|ra ← اصطبر ʔis|ta|ba|ra

ضرب da|ra|ba ← اضترب ʔid|ta|ra|ba ← اضطرب ʔid|ta|ra|ba

ظلم &a|la|ma ← اظتلم ʔi&|ta|la|ma ← اظطلم ʔi&|ta|la|ma

طلع ta|la|ca ← اطتلع ʔit|ta|la|ca ← اطّلع ʔit|ta|la|ca

ففي هذه الأمثلة، وما جاء على شاكلتها، تأثرت التاء وهي صوت يتسم بملمح الترقيـــق، بأصوات الصاد، والضاد، والطاء والظاء، وهي أصوات يجمع بينها ملمح التفخيم، تأثرا تقدميا ما أدى إلى قلب التاء إلى مقابلها المفخم، والمقابل المفخم للتاء هو صوت الطاء، وذلك مـــن أجـــل تحقيق مماثلة صوتية في داخل البنية، بين الصوتين المتجاورين في ملمح التفخيم أو الإطباق" [٢].

لقد اعتمد محمد جواد النوري على صفة القوة في تفسير مثل هذه البنـــى، لأن الـــضاد والصاد والطاء، والظاء تتسم بملمح التفخيم وهو ملمح قوة تجعله قادراً على التأثير في غيره من الأصوات، والصاد إضافة إلى ملمح التفخيم، فإنها تتسم بملمح الصفير وهو ملمح قوة آخر يمنعها من أن تدغم في غيرها. علاوة على النداوة في السمع، ويعد هذا الملمح صفة قـــوة أيـــضا فـــي الصوت ترشحه للتأثير في غيره من الأصوات.

والضاد يتسم بالإضافة إلى ملمح التفخيم بملمحي الاستطالة والتفشي، وتعد هذه الملامح صفة قوة في الضاد تميزها على غيرها من الأصوات. ومن الملاحظ أيضا أن الصوت المطبـــق بوسعه أن يمد نفوذه إلى ما يسبقه ويتبعه من الأصوات، إضافة إلى أنه يفخم المقطع برمته فـــي حالة وجوده فيه [٣].

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٦٨. وينظر: ص٢١٠.

(٢) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٢٩٩.

(٣) A.F.L, Beeston, (١٩٧٦), the Arabic Language Today London, P:١٩.

نلاحظ أن الصفة الذاتية في الأصوات أقوى من الصفة الموقعية، فعلى الرغم من أن أصوات الإطباق وقعت ساكنة في نهاية مقطع، إلا أنها قويت بملامحها التمييزية وأثرت فيما جاورها من الأصوات.

ويقول بكوش:" .... وتقلب- يعني التاء- طاء إذا كانت الفاء حرفا مفخما" [١]، وذلك بسبب غلبة التفخيم على الترقيق. وفي هذه الأمثلة وما جاء على شاكلتها نجد مماثلة، في التفخيم أي في الصفة، لأن هذه المماثلة أكثر ما تقع في الأصوات المرققة المجاورة للأصوات المطبقة، فقد يجاور الصوت المرفق صوتاً مفخماً غير مطبق ولا يتأثر به، ومن هنا فإن محور المماثلة هنا تأثر الأصوات المرققة بالأصوات المطبقة، لأن كل مطبق مفخم وليس العكس. وهذه مماثلة تقدمية جزئية مباشرة.

٢. مماثلة التاء للدال.

تبدل التاء دالا في صيغة افتعل ومشتقاتها إذا كانت فاء الفعل دالا أو زايا أو ذالا. يقول عبد الصبور شاهين في هذا الإبدال:" وأما حين تكون فاء الفعل ذالا أو دالا أو زايا، فإن صيغة الافتعال تتعرض للتغييرين لا لتغيير واحد، ومثال ذلك الفعل ذكر، فإن صيغة الافتعال فيه هي إنتكر ثم حدثت جملة تأثيرات هي:

جاورت التاء الذال مباشرة والذال مجهورة والتاء مهموسة فجهّرت بفعل قانون المماثلة لتصبح دالا (اذ دكر). وهذه مماثلة تقدمية؛ لأن الصوت الأول أثر في الثاني. وهذه المرحلة الأولى.

ولكن صوت الدال أصبح مجاوراً لصوت جديد هو الذال وهو مجهور مثله، ولكنه يتميز عليه. بموقعه الأقوى فيؤثر فيه ويقلبه دالاً أخرى وهذه مماثلة رجعية، لأن الثاني أثر في سابقه، فاصبح نطق الكلمة ادّكر وهي المرحلة الثانية... وعلى الرغم من هذا التغيير في صيغة الكلمة فإن وزنها هو افتعل على أصلها. وكذلك الأفعال ازدرد وادّعى وازدان " [٢].

ويقول أيضا:" ... ما سبق في صيغة الافتعال من الفعل ذكر حين ينطق ادّكر فقد أثرت الذال في التاء فصيرتها ذالا مثلها على سبيل المماثلة التقدمية الكلية... وإذا نطقنا (انتكر) ادّكر فهي مماثلة في مرحلتين:

تقدمية جزئية: تصيّر الذال فيها التاء دالاً في المرحلة الأولى.

---

(١) بكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات، ص٧٠.

(٢) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٦٨

ورجعية كلية: تصيّر الدال فيها الذال دالاً في المرحلة الثانية " [١].

لقد ناقش شاهين ابدال التاء إذا كانت فاء الفعل ذالا ولم يناقش إذا كانت زايا أو دالا، لأن سبب البدل يكاد يكون معروفا.

فالفعل مثل (زجر) إذا صيغ على وزن افتعل يصبح ازتجر فتؤثر الزاء في التاء فتقلبها إلى صوت الدال؛ لأن الزاي مجهورة، وتتسم بملمح الصفير؛ وهو ملمح قوة، فأثرت الزاي في التاء فقلبتها إلى صوت الدال وفي هذا القلب حدثت ماثلة في صفة الجهر. وادعى كذلك؛ إلا أنها مماثلة تقدمية كلية.

إذن يمكن إجمال أنواع المماثلة الواردة عند شاهين على النحو الآتي:

١. إذا كانت فاء الفعل زايا فإن المماثلة تقدمية جزئية في صفة الجهر. نحو

زجر ← ازتجر ← ازدجر

٢. إذا كانت فاء الفعل ذالا فهنا أكثر من مماثلة وهي على النحو الآتي:

ذكر ← اذ تكر ← اندكر مماثلة تقدمية جزئية في صفة الجهر

اندكر ← ادّكر مماثلة رجعية كلية.

اندكر ← ادّكر مماثلة تقدمية كلية.

وما جاء به شاهين لا يختلف عما ورد عند القدماء إلا باستخدام المصطلحات الحديثة.

أما داوود عبده، فذهب إلى تفسير هذا القلب بالقلب المكاني، بمعنى أن صيغة افتعل لم تكن هي الأصل ولو كانت كذلك لأصاب التغيير الصوت الخلفي؛ أي فاء الفعل في مثل ازدهر وادعى ولكانت استهر واتّعى.

ازتهر ← استهر تصبح الزاي صوتا مهموسا أي سينا مماثلة للتاء

ادتعى ← اتعى تصبح الدال صوتا مهموسا، أي تاء مماثلة للتاء التي تليها. ولكن هذا لم يحدث، مما يدل على أن أصل مثل هاتين الكلمتين ليس على وزن افتعل ووجود مثل ازدهر وادّعى ... لا يمكن تفسيره إلا بأن المماثلة تمت حين كانت هذه الكلمات وأمثالها على وزن اتفعل.

اتزهر ← ادزهر

ثم حدث قلب مكاني في وزن اتفعل، فأصبحت افتعل

ادزهر ← ازدهر [٢]

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص ٢١٠.

(٢) عبده، داوود، أبحاث في اللغة العربية، ص١٣٨-١٣٩.

إن ما ذهب إليه عبده في مثل هذه الصيغة يحتاج إلى مشقة وعنت في فهم الصيغة، علاوة على أنه نفي نهائيا المماثلة التقدمية، لأنه بني رأيه على المماثلة الرجعية فقط، إضافة إلى أنه غلب الأضعف على الأقوى، فأراد تهميس المجهور، والجهر صفة قوة في الصوت.

إن ما حدث في مثل هذه الصيغة لا يؤيده الباحث، لأن الهدف من القلب المكاني كما يتضح، البحث عن السهولة النطقية، وأكثر ما يكون في اللغة المنطوقة (العامية).

إن ما حدث في هذه الصيغة وما جاء على شاكلتها، يتضح من خلال الكتابة الصوتية لهذه البينة:

ازتهر ʔiz|ta|ha|ra ازدهر ʔiz|da|ha|ra

فالبنية الأولى وهي البنية العميقة تحولت هذه البينة بفعل عوامل منها:

الزاي صوت يتسم بملامح قوة تجعله قادرا على التأثير في غيره من الأصوات فهو يتسم بالجهر والصفير، فأثر في صوت التاء المتسم بالهمس، فحوله إلى مقابلة المجهور، والمقابل المجهور للتاء هو صوت الدال، فبهذا التماثل حدث انسجام صوتي في البنية من خلال التماثل في الصيغة [١].

أما محمد جواد النوري فيرى أن البنية فيها أكثر من مماثلة حسب المثال فهي عنده على النحو الآتي:

ز+ت ـــــــــ زد مجهور صفيري+ مهموس ـــــــ مجهور

يقول:" ففي ازدجر وما جاء على شاكلتها، تأثرت التاء، وهي صوت يتسم بملمح الهمس بالزاي وهي صوت يتسم بملمح الجهر تأثرا تقدميا مما أدى إلى قلب التاء إلى مقابلها المجهور، والمقابل المجهور للتاء هو الدال، وذلك من أجل تحقيق مماثلة بين الصوتين المتجاورين في داخل البنية في ملمح الجهر... زيادة على ما سبق فإن تأثير الزاي بالتاء يعود إلى أن صوت الزاي ومثله صوتا السين والصاد يتسم بملمح الصفير، والنداوة في السمع... وتؤيد الدراسات اللغوية الحديثة هذا الرأي، إذ تؤكد أن الأصوات الصفيرية تتميز بوجود ضجة ذات تردد مرتفع يتجاوز ٣٠٠٠ هيرتس، وتمتاز عن بقية الأصوات الاحتكاكية بارتفاع شدتها " [٢].

د+ ت ـــــــ دّ . مجهور+ مهموس ـــــ مجهور مضعف

يقول:" أما دعا ←— ادتعى ←— ادّعى. فهي من قبيل المماثلة الكلية حيث تأثرت التاء المهموسة بالدال، وهي صوت يتسم بملمح الجهر، تأثرا تقدميا مما أدى إلى قلبها إلى مقابلها

---

(١) ينظر: علي: سعيد محمد، الدرس الصوتي عند ابن عصفور، ص١٩٤

(٢) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٢٩٨.

المجهور، والمقابل المجهور للتاء هو صوت الدال، ثم جرت بعد ذلك عملية الإدغام في الصوتين المتماثلين المتجاورين، ... لقد حققت بهذه العملية مماثلة تامة بين الصوتين المتجاورين في داخل البنية في ملمحي الجهر والمخرج " (١).

ذ+ت –(دّاذّ): مجهور+ مهموس ـــــ مجهور مضعف انفجاري| مجهور مضعف احتكاكي.

يقول:" إذا وردت الذال والتاء متجاورتين في داخل بنية واحدة، وكانت هذه البنية على صيغة افتعل أو إحدى مشتقاتها، فإن القياس يقتضي أن تقلب التاء المهموسة إلى مقابلها المجهور وهو صوت الدال، كي يتحقق بذلك تماثل الصوتين المتجاورين – وهما الذال والدال– في الملمح، وهو ملمح الجهر، فيصبح التشكل البنيوي على النحو الآتي: اذ تكر > اذّ دكر

بيد أن هذا التشكل البنيوي غير جائز نظرا لأن كل واحد فيهما يرغب في صاحبه في الانفصال فلم يجز في الحرف الواحد إلا الإدغام " (٢).

ويرى أيضا أنه يمكن أن يتم الادغام بإجراء أحد التشكين للبنية:

١. أن تدغم الذال في الدال وذلك على قاعدة الأصل في الإدغام على حد قول القدماء.

اذتكر > اذدكر > ادّكر.

٢. أن تدغم الدال في الذال، أن يدغم الآخر في الأول، وذلك خلافا للأصل في الإدغام.

اذتكر > اذدكر > اذّكر.

ويعلل هذين التشكيلين بما يلي:

أ. أن كل واحد منهما يستند في وجوده، على عنصر قوة فيه، يتمثل بملمح الجهر الذي يتسم به كل من صوتي الذال والدال.

ب. عدم وقوع أحد التشكيلين أو وقوع واحد منهما، مع التشكل البنيوي، الأصلي وهو (اذتكر) خوفا من ذهاب ملمح الجهر في الذال (٣).

لقد اعتمد محمد جواد النوري في تفسير هذا البدل على ما جاء عند القدماء، فكان الاستشهاد بأقوالهم دليل على هذا الرأي، علاوة على أنه مزج بين القدماء والمحدثين من حيث المصطلحات. إلا أنه لم يتعرض في صبغة (اذدكر) إلى القوة الموقعية التي جعلت الدال المتسم بملمح الجهر يؤثر في مثيله في الصفة وهو صوت الذال، لأن الدال قوي بموقعه في بداية مقطع،

---

(١)النوري، محمد جواد،علم أصوات العربية، ص٣٠٠-٣٠١.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٠١-٣٠٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٠٢.

علاوة على أنه تحصن بالحركة، أما الذال فقد وقع في نهاية المقطع ساكنا، مما جعله عرضة للوقوع تحت تأثير صوت الدال.

إن الصيغة الأصلية في بنية افتعل إذا كانت فاء الفعل ذالا لا يمكن وقوعها بسبب الخلاف في الصفة بين الصوتين المتجاورين وهما الذال والتاء. أما بعد البدل فيرى الباحث أن ورودها لا يخالف قياس الأنظمة الصوتية للغة العربية، بل إنها توضح الأصل ويهتدي إليها القارئ بيسر وسهولة. علاوة على توحيد قاعدة البدل إذا كانت فاء الفعل صوتا مجهورا فإن التاء في افتعل تبدل دالا وورودها يوحد الصفة بين الصوتين المتجاورين.

من الملاحظ أن الإبدال يقوم على مبدأ علاقة ثلاثة أصوات بعضها ببعض (المبدل+ المبدل منه+ التماثل).

فالقاعدة تتمثل في المخطط التالي:

القاعدة الأولى:

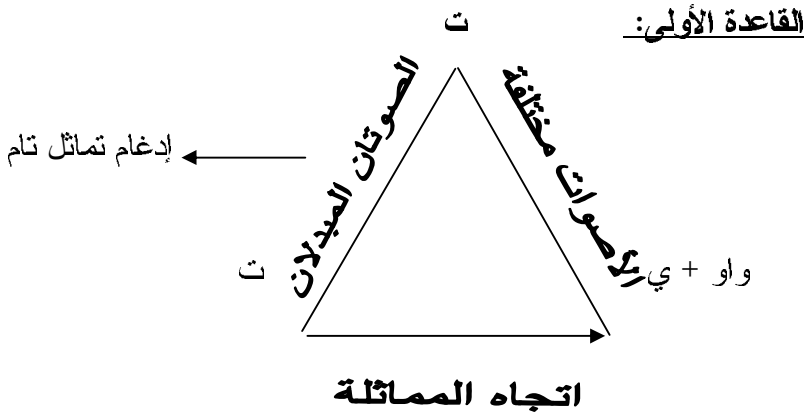

القاعدة الثانية: د+ز+ذ

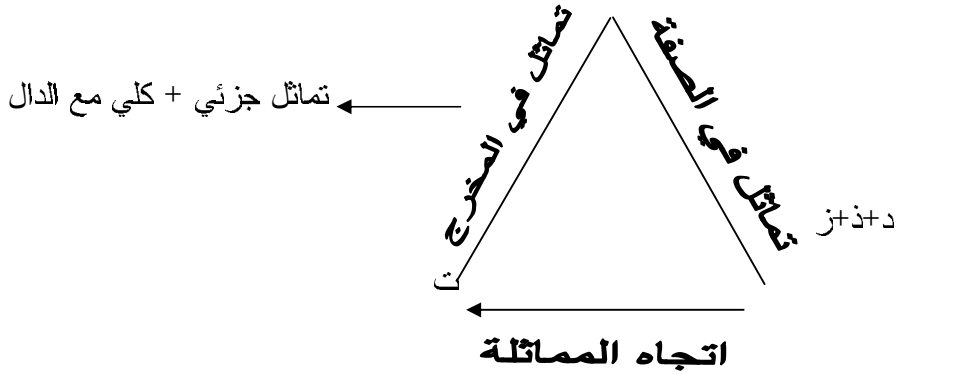

القاعدة الثالثة:

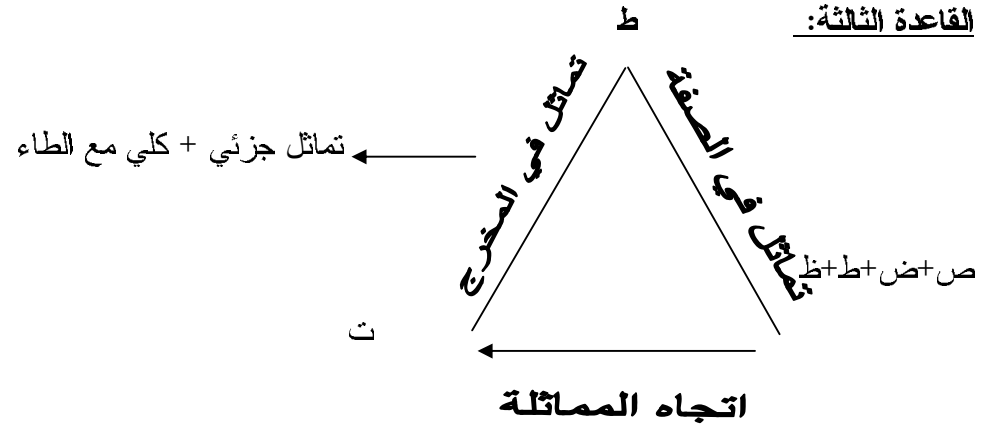

نستنتج من المخطط السابق أن القاعدة الأولى لا تشابه بين الصوتين المتجاورين فكان لقوة الموقع الأثر في التغيير.

أما القاعدة الثانية والثالثة فهناك علاقة تشابه بين صوتين على الأقل.

ز+د الجهر

د ← ت علاقة المخرج

ص+ض+ ظ ← ط علاقة صفة

ط ← ت علاقة مخرج

وهناك بُعْدٌ بين الصوتين المؤثر والمؤثّر فيه حتى يقلب الأخير إلى صوت شبيه أو قريب من الصوت المؤثر، وهذا القرب إما أن يكون في الصفة أو المخرج أو كليهما فيصبح مِثلاً يدغم في مِثله. إضافة إلى أن صفات القوة هي العَلَم البارز في سبب التأثير والقلب.

ويوجد مخطط ثانوي ممكن حدوثه وهو كالآتي:

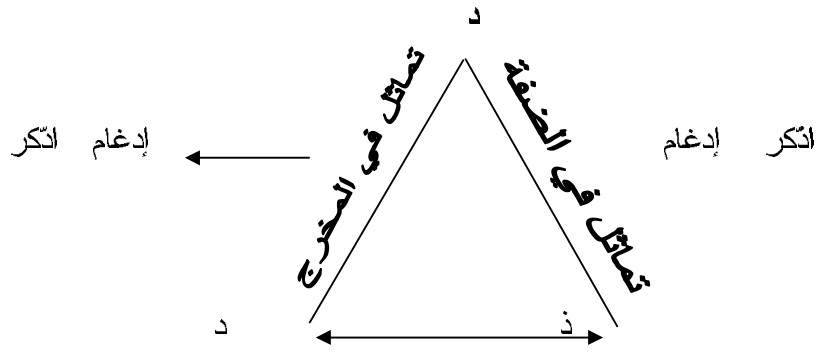

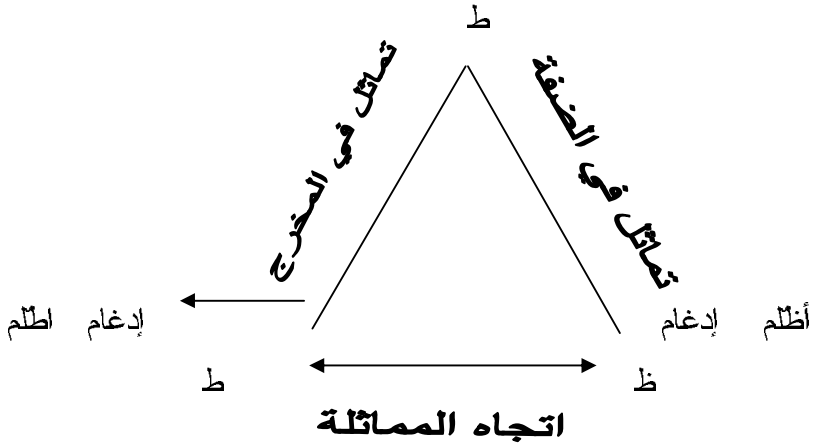

اتفاق في الصفة مع اختلاف في القوة الموقعية

٢- قواعد الإعلال عند المحدثين

لقد عمد المحدثون إلى تفسير التغيرات والتبادلات بين أصوات العلّة والهمزة الواردة في كتب التراث اللغوي بما يتناسب مع معطيات علم اللغة الحديث، ومع ذلك نجدهم لـم يتفقـوا – شأنهم في ذلك شأن القدماء – في توحيد تفسيراتهم لبناء قاعدة عامّة في ظل النظريـة اللـسانية العربية لينطلق منها الباحث والمتعلم بيسر وسهولة.

ولبيان وجهة النظر اللسانية الحديثة عند علمائنا المحدثين لا بد أن نتكئ علـى أمثلـة القدماء لكي يتضح الفرق بين الفريقين. وسيعمد الباحث إلى التقسيمات القديمـة لهـذه القـضية لتوافق مع ما جاء عند القدماء من جهة، ولسهولة استخراج الفروق من جهة أخرى.

١- الإعلال بالقلب.

يتناول هذا الموضوع التغيرات الواقعة بين أنصاف الحركات والـصوامت والحركـات بعضها مع بعض وهي كما يلي:-

أ- قلب نصف الحركة إلى همزة (قلب الواو والياء إلى همزة).

ذكرت كتب الصرف لهذه المسألة عدة قواعد وهي:-

١- أن تتطرف الواو والياء بعد ألف زائدة مثل: كساء وبناء .

يرى عبد الصبور شاهين أن سبب هذا القلب يعود إلى خاصة الوقف العربـي. يقـول " يمكن تفسير الهمزة بخاصة الوقف العربي الذي لا يكون على حركة مثل: كـساء kisaa + u.

فحذفت الضمة المولدة للواو بازدواجها مع الفتحة الطويلة، وأقفل المقطع بصوت صامت ، هو الهمزة ، التي تستعمل هنا قفلا مقطعيا تجنبا للوقوف على المقطع المفتوح " (١) .

إن الواو عند عبد الصبور شاهين مكونة من إزدواج الضمة مع الفتحة الطويلة، وهذا الرأي لا نوافق عليه؛ لأن الصوت الأخير في كسا وهو نصف الحركة وليس مكونا من ضمة وفتحة ومما يؤيد ما نذهب إليه أن الألف (الفتحة الطويلة) غير أصلية، أو بعبارة أدق أصل البنية كَسَو kalsalwa فصيغ المصدر منها على وزن فِعال فتم تطويل الفتحة القصيرة التي قبل الواو ، فأصبحت في حالة الوقف كساو ، فالوقف هنا ليس على حركة بل على نصف حركة سواء أكانت الواو أو الياء.

ويرى عبد الصبور أن الطبيعة الإنتاجية للواو أو الياء ناجمة عن الانزلاق بين الحركتين المختلفين. يقول: " الواو والياء، أو حرف العلة كما يقال، وهما من الناحية الصوتية نتيجة تتابع الحركات المختلفة الطويلة أو القصيرة، فإذا تتابعت حركتا الفتحة والكسرة هكذا: $\frac{a+i}{Y}$ نتج صوت الياء .

وإذا تتابعت حركتا الفتحة والضمة هكذا:- $\frac{a+U}{W}$ نتج صوت الواو ،أي أن الانزلاق بين الحركتين المختلفتين هو في الحقيقة ما يسمى بالياء أو الواو " (٢).

إن هذه الفرضية الإنتاجية لكلا الصوتين فيها شيء من التكلف، لأن الطبيعة الإنتاجية للحركات تختلف اختلافا بينا عن الطبيعة الإنتاجية لصوت الواو والياء باعتبارها نصفي الحركة.

أما جعفر عباينة فيرى أن سبب القلب ناتج عن ضعف الموقع. يقول :" إن التداخل الفونيمي بين الهمزة والواو والياء معروف تماما في اللغة العربية " (٣).

غير أننا نجد محمد جواد النوري يسهب في تفسير مثل هذا القلب ، ويرده إلى أكثر من سبب يقول: " وقعت كل من الواو والياء وهما نصفا حركة semi vowels في نهاية مقطع طويل مغلق، وكانتا مسبوقتين بفتحة طويلة وذلك على النحو التالي: سماو sa|maaw وبناي bi|naay

ومن المعلوم في الدرس الصوتي أن الواو والياء تشتركان مع الحركات الصرفية vowels ، وهي الكسرة والفتحة والضمة في الملمح التقاربي Approximaut featara ويقصد بهذا الملمح اقتراب عضو نطق من عضو نطق آخر دون أن يصل هذا التقارب بينهما حد

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٠.

(٣) عباينة، جعفر، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، ص٧٩.

الاحتكاك .... ومن ناحية أخرى فقد اختتم المقطعان الأخيران بصامت ضعيف وقد زاد من ضعفه وقوعه في نهاية مقطع " [١]. ويرى أيضا أن في المقطع الأخير تتابعا غير مرغوب فيه وهو تتالى الحركة الطويلة مع نصف الحركة الواو أو الياء، فلجأ الناطق إلى استبدال الهمزة بالواو والياء هروبا من تتابع الحركات ومن ثم لتكوين مقطع عربي سليم، ويضيف أن النطق بالصوت الانفجاري أسهل من النطق بالصوت ألاحتكاكي علاوة على أنه يتمتع بصفة قوة تميزه عن الصوت الإحتكاكي ويذكر أن الأصل في الوقف هو السكون، والعربية تكره الوقوف على المقاطع المفتوحة، علاوة على أن الهمزة تقوم بوظيفة تقوية النير[٢].

نلاحظ أن محمد جواد النوري تناول البنية من جميع جوانبها ومكوناتها الصوتية غير أننا نتفق مع محمد جواد النوري في ضعف الموقع لكلا الصوتين، وتقوية النير من قبل الصوت البديل، ولكننا نختلف معه في الانفجار والاحتكاك، لأن الواو والياء ليستا كالأصوات الاحتكاكية ولو كانتا كذلك لوقعتا تحت اسم الصوامت. وكيف يرى أن الهمزة أسهل نطقا من نصف الحركة وقد وصفها القدماء أشد الاصوات اللغوية نطقا وهي في نظرهم نبرة تخرج من الصدر كالتهوع !؟

إن كل ما حدث في هذه البنية وما شاكلها هو وقوع الواو والياء بوصفهما نصفي حركة في نهاية مقطع ساكنين في حالة الوقف وهما ضعيفان وزاد من ضعفهما سكونهما، إضافة إلا أنهما سبقا بحركة طويلة فإراد الناطق العربي أن يقوي المقطع باستبدال الهمزة بالواو والياء لأنها صوت قوي شديد. وبها يقوي البنية .ويغلق القناة الهوائية المكونة من الحركة ونصف الحركة.

٢- أن تقع احداها عينا لاسم فاعل فعل أعلت فيه نحو: قائل وبائع.

٣- أن تقع إحداها بعد صيغة منتهى الجموع وقد كانت مد زائدة في المفرد نحو عجائز وصحائف.

٤- أن تقع احداها ثاني حرفين لينين بينهما ألف مفاعل، سواء أكان اللينان ياءين نحو نيايف، جمع نيفٌ، أو واوين نحو، أواول، أم مختلفين نحو: سياود.

٥- إذا اجتمعت في أول الكلمة واوان ثانيهما متحركة مطلقا، أو ساكنة متأصلة الواوية نحو: أواصل و أوّل وأولى.

---

(١) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص ٣٢٣.

(٢) ينظر:المرجع نفسه، ٣٢٤ – ٣٢٥.

يذكر عبد الصبور شاهين في الحالات الثانية والثالثة والربعة: " أن المقطع الأخير في قا| ول – با | يع – عجا |وز – صحا| يف – نيا| يف يبدأ. بحركة مزدوجة تالية الحركة الطويلة ، وهذا ضعف في البناء المقطعي، فسقط الانزلاق وحلت محله الهمزة النبرية، كوسيلة صوتية لتصحيح المقاطع، لا على سبيل الإبدال لعدم وجود العلاقة المبيحة له " (١) .

إن ما ذهب إليه عبد الصبور ينفي التبادل الفونيمي ما بين الهمزة وأصوات العلة ونحن معه بعدم وجود علاقة صوتية بين الصوتين المبدلين غير أن العربية دأبت على تبادل المواقع بين الهمزة وأصوات العلة , فهو في نظره إعلال بالحذف .

غير أن محمد جواد النوري يرى أنه إعلال بالقلب، يقول : " وقعت في هذه الحالات كل من الواو والياء في بداية مقطع متوسط مغلق ص ح ص في حالة الوقف، أو مقطع قصير ص ح في حالة الوصل، ووقعت هذه الأصوات في الوقت نفسه مسبوقة بمقطع متوسط مفتوح ص ح ح، ومعنى هذا أن نصف الحركة وقعت بين حركة طويلة سابقة، هي الفتحة الطويلة، وحركة قصيرة تالية ، هي الكسرة القصيرة وذلك على النحو التالي:

قاول	qaa|wil	بايع	baa|yic
عجاوز	ca|Jaa|wiz	صحايف	Sa|haa|yif
أواول	ʔa|waa|wil	نيايف	na|yaa|yif
		سياود	sa|yaa|wid

يتضح من خلال استعراض هذه الأمثلة، وما كان على غرارها، أن النسيج المقطعي لها جاء مشتملا على سلسة طويلة متواصلة من الأصوات التي يجمع بينها الملمح الحركي وفي أثناء النطق بهذا النوع من الأصوات يتسع الممر الهوائي في القناة الصوتية ... وهذا يؤدي إلى نوع من الصعوبة، ولهذا عمد النطق إلى قلب الصوت الوسط في تلك السلاسل الصوتية، وهو الواو والياء، إلى صامت انفجاري نبري قوي هو الهمزة، بهدف تلافي ذلك النوع من التعاقب الصوتي، وقد أدى ذلك إلى إغلاق القناة الصوتية في مرحلة متوسطة " (٢) .

ويرى أيضا أن الهمز أدى إلى تحقيق هدفين يقول:" فقد أدى الهمز في مثل هذه الأمثلة إلى تحقيق هدفين:

الأول:- التخلص من تعاقب الحركات ، وأنصاف الحركات وتتابعها.

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبيئة العربية، ص١٧٧.

(٢) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.

والآخر:- نبر بعض المقاطع بالهمزة، وتحويل نبر الطول إلى توتر " [١].

ويضيف أن من أسباب هذا القلب الطبيعة المقطعية التي تتطلب صوتاً قوياً في بداية المقطع ويقول: " فقد جاء المقطع الأخير مبدوءاً بنصف حركة تقوم من الناحية الفونولوجية والوظيفية المقطعية بدور صامت، غير أنها من الناحية الفوناتيكية تنقصها خصائص بعض الصوامت كالاحتكاك والانغلاق، فضلا عن كونها؛ أي نصف الحركة صامتا ضعيفا في ذاتها وضعيفا في موقعها، حيث جاءت متوسطة بين الحركات " [٢].

وقد نص على هذا هنري فليش حيث ذكر: " أن الواو والياء، هما صامتان ضعيفان، وقعا بين مصوتات فزاد ضعفهما، كما أن كلا منهما قد تلاها مصوت مكروه من جنسها أو مغاير لها ... ويعد موقع ما بين المصوتات بصفة عامة وضعا ضعيفا بالنسبة إلى صامت ما " [٣].

ويتعرض عبد القادر عبد الجليل إلى تعليلات القدماء لهذا القلب بقوله: "وهذا التعليل لا يشكل رؤية واضحة المعالم، إنما لأن الواو صوت انتقالي مسبوق بصائت طويل وهي جزء من حركة semi – vowl، إضافة إلى أن الهمزة لها وظيفة صوتية تميزية وهي إفادة النبر أو الارتكاز، مما يكسب المقاطع بيانا ووضوحا صوتيا " [٤].

ويرى محمد جواد النوري أن في تغيير إحدى الواوين أو الياءين إلى همزة في المثالين (أواول ونيايف) نوعاً من المخالفة الصوتية، وذلك لتحقيق قدر من الانسجام في مكونات السلسلة الصوتية لبعض البنى اللغوية " [٥].

أما الحالة الأخيرة فيذكر عبد الصبور شاهين: "وإذا صح اجتماع واوين صوتيتين متحركتين في أول الكلمة في مثل وواصل، فإن في المثال الآخر وهو وقوع الواو الثانية ساكنة، نظراً، لأن هذه الواو الثانية هي ضمة الواو الأولى هي واو كتابة لا نطقاً، ولما كانت مجرد حركة فهي ليست عين الكلمة بل وقعت موقعها، حفاظا على الإيقاع المقطعي في الصيغة فوزن الكلمة على حالها وولى: (فولى) وعلى الأصل وُوْلى (فُعْلى) وكان العدول عن الواو في أول الكلمة إلى الهمزة نظرا للصعوبة المقطعية... فقد تعرضت هذه الكلمات وأشباهها لصعوبة البدء

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٢٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٢٦ – ٣٢٧.

(٣) فليش، هنري، العربية الفصحى – نحو بناء لغوي جديد، تعريب عبد الصبور، شاهين، ط، بيروت: دار المشرق، ص ٤٦ –٤٧.

(٤) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص ٤٢٧.

(٥) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص ٤٢٧.

بحركة مزدوجة، وهي مما تتجنبه العربية، فجيء بالهمزة في موقعها هذا تصحيحاً لبداية المقطع حتى يصير عربيا سليما" [١].

ويذهب إلى " أنه لا يصح أن يقال: إن هذا النوع من الكلمات اجتمعت فيه واوان، بل هي واو وحركتها، وهو ما ينفي أصلا القول بأن الواو ساكنة فهي حركة في ذاتها " [٢].

ويقول في نموذج توالي واوين متحركتين بفتحتين كما في وَ واصل > أواصل واللغة في هذا تصحح بداية المقطع بهمز الواو الأولى. وفي نموذج تحرك الواو بحركة من جنسها أي بضمة طويلة وقعت موقع العين كما في وُولى > أولى وأصل التتابع في هذه الكلمة هو ɔuu|laa < wuu|laa < wuw|laa وقد كان همز المقطع هنا تخلصا من هذا التجانس الثقيل الذي توهمه الصرفيون واوين بسبب خلطهم بين الرمز الكتابي ومدلوله الصوتي " [٣].

إننا نختلف مع عبد الصبور في تفسيره للنموذج الثاني، ففي رأيه بعض الخلط على الرغم من أنه بينه من خلال الكتابة الصوتية، فالواو الثانية في صبغة (وُولى) لم تكن حركة من جنس الواو كما ادعى، بل هي نصف حركة ساكنة والصيغة على وزن (فُعلى) وليس على وزن (فولى) كما يذكر . فقد مرت الصيغة بالمراحل التالية :

وُولى wuw|laa > أولى ɔuw|laa > أولى ɔuu|laa بمعنى أنه بعد قلب نصف الحركة الأولى إلى همزة، ثم قلب نصف الحركة الثانية إلى ضمة قصيرة كوّنت مع الضمة القصيرة السابقة عليها ضمة طويلة هكذا :

ɔuu|laa < ɔuw|laa < wuw|laa

ويذكر عبد القادر عبد الجليل سبب القلب في أواصل: " ولعل في هذه الشواهد رؤية صوتية تكمن في أن الواو الأولى صوت انتقالي، متبوع بصائت قصير والواو الثانية صوت انتقالي متبوع بصائت طويل، وكلا الصائتين من جنس واحد وأصلهما (الفتحة) مما يؤدي إلى تركيب حركي مزدوج الصحة الصوتية، وهذا يتطلب صوت الهمزة، بغية تصحيح المسار الصوتي وتحقيق عامل النبر الوظيفي " [٤].

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي، ص١٧٨.

(٢) المرجع نفسه، ص١٧٩.

(٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) عبد الجليل عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص٤٢٧ – ٤٢٨.

أما محمد جواد النوري فيرى أن سبب القلب يعود إلى التخلص من الملمح الحركي ، إضافة إلى تقوية المقطع القصير في وَاصل wa ووُل wu والمقطع المتوسط في المثال الأخير وُلى wuw بتغيير نصف الحركة الضعيفة في نفسها وفي موقعها ،إذ وقعت في بداية مقطع يفترض أن يكون قويا، لذلك لا مفر من تغييره وقلبه إلى صامت نبري قوي هو الهمزة، وفي المثال الأخير تخلص الناطق من الحركة المزدوجة (uw) ويعد النطق بهذا النوع من الحركات أمرا صعبا [١].

أما بكوش فيذهب إلى قاعدة عامة ، دون أن يفسر ذلك بقوله :" تقلب الواو أو الياء همزة إذا وقعت بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة :

قاول ← قائل

بايع ← بائع

دعاو ← دعاء

وفاي ← وفاء [٢]

لكن سرعان ما يشذ عن قاعدته وُول و وُلى فلم تقع الواو فيهما بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة ومع ذلك قلبت نصف الحركة إلى همزة.

غير أننا نرى أن للقلب في مثل البنى السابقة أسبابا كثيرة تحكمها طبيعة الصوت المتغير، والنسيج المقطعي للبنى اللغوية والموقعية، علاوة على أن الهدف الرئيس من القلب هو تحقيق السهولة في النطق. وتتحقق هذه السهولة بالتخلص من الملمح الحركي والحركة المزدوجة. وإحداث المخالفة الصوتية. في بعض البنى السابقة. والنظرة الأولى للأمثلة السابقة ترينا أن نصف الحركة وقعت بين حركتين فاجتمع في البنية حركة + نصف حركة + حركة، وهذا التتابع من شأنه أن يضعف البنية فلجأ الناطق إلى التخلص منه بقلب نصف الحركة إلى همزة قوية تقوي البنية بعامة والمقطع المبدوء بها بخاصة. إضافة لما سبق إن بعض البنى السابقة تحكمها بنية الصيغة فتتطلب تغييرا يلائم البنية الجديدة . فكلمة مثل نيّف لم تتغير ولكن عندما جمعت أو انتقلت من بنية صرفية إلى بنية أخرى احتاجت إلى بعض التغير في الأصوات المكونة لها.

---

(١) ينظر: النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٢٨ – ٣٢٩ بتصرف.

(٢) بكوش، الطيب، التصريف الصوتي من خلال علم الاصوات الحديث، ص٦٦.

ب – قلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء .

يسير هذا الباب من الإعلال على نحو مغاير للباب السابق ، أي أن الهمزة وهي صامت نبري قوي هي التي تكون موضع تأثر فتنقلب إلى واو أو ياء.

إن ما يعنينا في هذا الباب من الإعلال هو حالة التقاء همزتين في كلمة واحدة ففي هذه الحالة تكون الهمزة الثانية هي موضع الإعلال والقلب والتغيير. وتقسم هذه الحالة إلى قسمين:

أ – أن تكون الهمزة الأولى متحركة وهذا شأنها دائما، والثانية ساكنة، فإن الهمزة تقلب إلى حركة من جنس الحركة السابقة عليها. نحو: آمن وأومن وإيمان، فأصلها أأمن وأأمن وإئمان.

ب– أن تكون الهمزتان متحركتين، فإنهما تردان على النحو التالي:–

١– أن تكون الهمزتان مفتوحتين كجمع (آدم) على أءادم > أوادم.

٢– أن تكون الهمزة الأولى مضمومة والثانية مفتوحة نحو: أُوَيدوم تصغير آدم وأصلها أأيدم.

٣– أن تكون الهمزة الأولى والثتنية مكسورة، نحو (أيمة) جمع إمام وأصلها (أئمة).

يقول عبد الصبور شاهين في أمثلة الحالة الأولى: " في هذه الأمثلة الثلاثة سكنت الهمزة الثانية وتحركت الأولى بالحركات الثلاث، والإجراء الذي يراه الصرفيون هو أن تقلب الثانية حرف علة من جنس حركة ما قبلها. فإن كانت الحركة الأولى فتحة، قلبت الثانية ألفا فقيل أامن، وإن كانت الحركة الأولى ضمة قلبت الثانية واوا فقيل أومن، وإن كانت الحركة الأولى كسرة قلبت الثانية ياء فقيل: إيمان. والواقع الذي يؤكده التحليل الصوتي هو أن الناطق أسقط الهمزة الثانية في هذه الأمثلة الثلاثة، وعوض مكانها حركة قصيرة مجانسة لما قبلها فتحولت حركة الهمزة الأولى من قصيرة إلى طويلة كما يتضح من كتابة الأمثلة صوتياً:

ɔa ɔ|man ⟶ ɔaa|man

ɔu ɔ|min ⟶ ɔuu|min

ɔi ɔ|maan ⟶ ɔii|maan [١]

ويرى أن هذه الحالة من باب التعويض الإيقاعي. يقول: " وهذا النوع من التعويض إيقاعي، يحافظ على كمية المقطع, دون نظر إلى نوعه فهو في كلتا الحالتين طويل ولكنه في الحالة الأصلية مقفل (ص ح ص)، وفي البديلة مفتوح (ص ح ح) ولكن كمية الأصوات واحدة، ولذلك ثبت إيقاع الكلمة، وتحققت الصيغة المرادة " [٢] .

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩٣.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٣.

ويضيف" الملاحظ على آية حال أن تعويض الهمزة لم يكن إلا بحركة قصيرة، فتحة أو كسرة أو ضمة، وهو ما يزلزل قاعدة الصرفيين، فضلا عن أننا لا نقول بالإبدال، كما قالوا، بل بمجرد التعويض الموقعي للمحافظة على الإيقاع " (١).

إن ما ذهب إليه عبد الصبور يتفق ومعطيات الدرس الصوتي الحديث، ولكن نختلف معه فيما نادى به من أن الهمزة حذفت، وعوض عنها بحركة قصيرة ومن وجهة نظرنا نرى أن الهمزة وقعت تحت تأثير الحركة فحولتها إلى جنسها وذلك لسكون الهمزة ووقوعها في نهاية مقطع. أي ان الهمزة قلبت إلى حركة قصيرة كونت مع الحركة السابقة عليها حركة طويلة. فهي من باب قلب الصامت إلى حركة.

أما محمد جواد النوري فيرى أن سبب هذا القلب يعود إلى ثقل الهمزة من جهة، وأحداث المخالفة من جهة أخرى, يقول: " إن كل ما حدث، في أمثلة هذه الحالة، التي استثقل فيها اجتماع همزتين، قد تمثل في إحداث مخالفة .... ولقد تجسد هذا التخالف، الذي كان نتيجة للاستثقال، ووسيلة للتيسير والتسهيل، تجسد بقلب الهمزة الثانية إلى حركة قصيرة من جنس الحركة القصيرة السابقة عليها " (٢).

ويذكر ما ترتب على هذا التغيير من إعادة تشكيل النسيج المقطعي للكلمات المعلة يقول:" وقد ترتب على هذا التغير الصوتي إعادة تشكيل النسيج المقطعي حيث استبدل الناطق بالمقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) مقطعا متوسطا مفتوحا (ص ح ح)، ومن الجدير بالمعرفة أن الهمزة التي تعرضت لعملية القلب والتغيير في هذه الأمثلة لم تقلب إلى ألف أو واو أو ياء، كما ذكرت لنا كتب التراث الصرفي وانما قلبت، كما يوضح لنا التحليل الصوتي إلى حركة قصيرة، هي الفتحة والضمة والكسرة على التتالي، فكونت كل حركة من هذه الحركات مع الحركة السابقة عليها والمجانسة لها حركة طويلة " (٣).

ويعلل سبب وقوع علمائنا القدامى في هذا الوصف غير الدقيق لعملية القلب والإعلال ، اعتمادهم على الشكل الكتابي المحدث للبس . لاعلى النطق الواقعي للأصوات (٤).

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية،ص ١٨٣.

(٢) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٣٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٣٢ -٣٣٣.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص٣٣٣.

غير أننا نرى أن سبب هذا الوصف عند القدماء، يعود إلى عدم اهتمامهم بالحركات القصيرة من جهة، والخلط بين حروف المد واللين من جهة أخرى، فالحركات القصيرة في نظرهم تسقط بسقوط الحرف الحامل لها.

أما في أمثلة الحالة الثانية فيرى شاهين ما يلي:-

١- أوادم: يقول:" ونلاحظ على أحكامهم في الأمثلة السابقة أن قلب الهمزة واوا في أوادم ليس مسلما به؛ لأن اللغة تعتبر هذا جمعا لكلمة آدم بعد إسقاط الهمزة، فيكون على مثال خاتَم وطابَع، حين يجمعان على فواعل فيقال: خواتم وطوابع، وكذا: أوادم فالواو فيها جميعا واو الصيغة، لا بدل عن الهمزة " (١).

٢- أيمّة: يقول:" وأما قلب الهمزة ياء في(أيمة) فهو مما لا نسلم به أيضا، فما حدث هو إسقاط للهمزة ليس إلا، وحينئذ تتصل الفتحة بالكسرة هكذا:

ɔa|yim|mat < ɔa–im|mat < ɔa| ɔim|mat

فالياء كما رأينا هي نتيجة الانزلاق بين الفتحة والكسرة، وقد حافظ هذا الانزلاق على إيقاع الجمع بوزنه المراد " (٢).

٣- أويدم: يقول فيها:" وكذلك جرى الأمر في تصغير آدم على (أويدم) فقد اتصلت ضمة التصغير بالفتحة العوض، فكانت الواو، هكذا:

ɔu| way| dim < ɔu – ay | dim < ɔu | ɔay |dim " (٣).

قد نتفق مع عبد الصبور في تعليله للمثال الأول ن فهو من قبيل النقلات الصرفية فسقطت الهمزة على النحو التالي:

ɔa|waa|dim < ɔa| ɔaa|dim . لكننا نختلف معه في تحليله للمثالين الباقيين، لأنه أسقط الهمزة ولم يعوض عنها شيئا، بل ذهب إلى أن الواو والياء ناتجتان عن انزلاق الفتحة + الكسرة للياء، والضمّة + الفتحة للواو مع بقاء الحركتين، وهذا لا يتفق مع ما ذهب إليه سابقا، حيث ذكر أن صوت الياء ينتج عن تتابع حركتي الفتحة والكسرة $\underset{y}{a+i}$ ، وكذلك صوت الواو ينتج عن تتابع حركتي الفتحة والضمة $\underset{w}{a+u}$ (٤).

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٨٤.

(٢) شاهين، عبد الصبور، المرجع نفسه، ص١٨٤.

(٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص٣٠.

أي أن الواو والياء يأخذان مكان الحركتين، ولكن هنا نلاحظ أنه أبقى الحركتين ونتج صوت الياء وصوت الواو.

أما محمد جواد النوري فيعزو هذا القلب إلى ثقل الهمزتين، حيث يقول:" أما أمثلة الحالة الثانية فإنها تقدم لك البنى المقطعية والصوتية التالية:-

أءادم ʔa|ʔaa|dim ، أئمة ʔa|ʔim|mat ، أأيدم ʔa|ʔay|dim

لقد استثقل المتكلم النطق بهمزتين متواليتين لا يفصل بينهما سوى حركة قصيرة فعمد إلى التخفيف من شدة الهمز المتكرر عن طريق قلب الهمزة الثانية إلى نصف حركة، أو، لنقل إلى صامت احتكاكي ضعيف من شأنه أن يحدث توازنا وتعديلا للحدة الناجمة عن نطق الهمزتين متتاليتين، وكان هذا الصوت هو الواو المتلوة بفتحة، كما في المثالين الأول والثالث، والياء المتلوة بكسرة كما في المثال الثاني وذلك على النحو التالي:-

أءادِم ʔa|ʔaa|dim > أوادم ʔa|waa|dim

أئِمة ʔa|ʔim|mat > أيمّة ʔa|yim|mat

أأيدم ʔa|ʔay|dim > أويدم ʔu|way|dim [١]

لقد عارض محمد جواد النوري نفسه في تفسيره هذا، ففي قلب نصف الحركة إلى همزة ذكر أن بداية المقطع تتطلب صامتا قويا، وهنا نلاحظ أنه أبدل بالقوى الضعيف، أي أن بداية المقطع جاءت نصف حركة، علاوة على أنها مسبوقة بحركة ولاحقتها حركة مما يزيد من ضعفها، وهو هنا يخالف ما نادى به في السابق. [٢]

أما الباحث فيرى أن أوادم من قبيل النقلات الصرفية فهي على وزن فواعل فالفاء تقابل الهمزة الأولى، ونصف الحركة الواو تقابل الهمزة الثانية، فحذفت الثانية لتحل محلها واو الصيغة.

فو اعل، فلا اعلال فيها من وجهة نظرنا

أ ء ادم

أما أئمة وأويدم فيبدو أن سبب القلب يعود إلى تباين الحركات والانتقال من الفتحة إلى الكسرة أو من الضمة إلى الفتحة فيه صعوبة في النطق، فعمد الناطق إلى تقريب مسافة الانتقال فقلب الهمزة إلى نصف حركة قريبة من حركتها في أئمة، ومن

---

(١) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٣٣.

(٢) ينظر، المرجع نفسه، ص٣٢٧.

الحركة السابقة عليها في أويدم بالإضافة إلى إحداث مخالفة بين الهمزتين اللتين لا يفصل بينهما إلا حركة قصيرة فعمد الناطق إلى قلب الهمزة إلى نصف حركة. " لما بينهما من التداخل الفونيمي " . (١)

وقد يكون للنبر دورٌ في هذا القلب حيث إن المقطع قبل الأخير هو موضع النبر، والهمزة في ذاتها صوت نبري، فأراد الناطق أن يخفف من حدة النبر بقلب الهمزة إلى نصف حركة ضعيفة من جهة، وإظهار موقع النبر الحقيقي من جهة أخرى.

ج- قلب الألف إلى ياء

تقلب الألف إلى ياء كما مر في قواعد القدماء في موضعين :-

١- أن يكسر ما قبلها في مثل مصابيح جمع مصباح، وكذلك تصغيره على مُصَيْبيح.

٢- أن تقع ياء التصغير بعد الألف، مثل كُتيّب، تصغير كتاب.

غير أننا نجد عند المحدثين رأياً آخر في هذا القلب، فها هو ذا عبد الصبور شاهين يقول: " ونلاحظ أن الألف في (مصباح) وهي فتحة طويلة لم تقلب ياء في مصابيح ولكنها قلبت كسرة طويلة في الجمع والتصغير فالتبادل واقع بين حركات فقط ". (٢)

ويقول أيضا:" إن الألف في مصباح هي ألف صيغة (مفعال) اسم آلة، والكسرة الطويلة في مصابيح هي كسرة صيغة منتهى الجموع وهي تأتي في جمع ما لا ألف فيه مثل سفاريج جمع لسفرجل ". (٣)

أما محمد جواد النوري فيفسر هذا التغيير على النحو الآتي:

يقول: " تقدم لنا أمثلة الحالة الأولى البنى المقطعية والصوتية التالية في حالة الجمع:

مفتاح mif | taah ← مفاتياح ma |faa |tii |aah

في حالة التصغير مفتاح mif |taah ← مُفيتياح mo |fay |tii |aah

ففي هاتين الحالتين وأمثالهما, وقعت الفتحة الطويلة وهي التي يسميها التراث اللغوي ألفاً في بداية مقطع ومسبوقة بكسرة طويلة، وهي التي يسميها التراث اللغوي ياءً، وذلك على النحو التالي: aah| tii|.... ولقد أدى هذا التتابع الصوتي إلى تشكيل بنية مقطعية غريبة غير موجودة في اللغة العربية وهي (ح ح ص)، لذا فقد عمد الناطق إلى إعادة تشكيل نسيج البنية المقطعية

---

(١) عباينة، جعفر، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، ص٧٧.

(٢) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٨٦.

(٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

بما يتلاءم مع النظام المقطعي في العربية فأسقط الألف أو على نحو أدق الفتحة الطويلة من بنية الكلمة وأبقى الكسرة الطويلة على النحو التالي:

مفاتياح ← مفاتيح ma |faa |tiih ma |faa |tii |aah

مُفيتياح ← مُفيتيح mu |fay |tiih mu |fay |tii |aah

فأصبح التشكيل المقطعي من نوع (ص ح ح ص) وهومقطع طويل مغلق تعترف به العربية وتُقِرّه في حالة الوقف". (١)

ويرى أيضا أن هذا الإعلال من قبيل الإعلال بالحذف، لأن الناطق أسقط الفتحة الطويلة دون الكسرة الطويلة، وهي أي الكسرة، حركة تتوسط بين الضمة الثقيلة والفتحة الخفيفة، وذلك من أجل المحافظة على المورفيم الدال على الجمع، في الحالة الأولى، والمورفيم الدال على التصغير في الحالة الثانية، إضافة إلى أن الصوت المحذوف وهو الألف صوتاً واهنا، وأضعف من أخويه الضمة والكسرة. (٢)

إن ما ذهب إليه محمد جواد النوري فيه شئ من عدم الدقة، وذلك؛ لأن سبب الحذف ليس الثقل والخفة وضعف المحذوف، وإنما إن كان حذفا فسببه الحفاظ على الصيغة، ولكننا نجد في تعليلات القدماء والمحدثين كثيرا من الشطط؛ لأنهم أجروا الجمع على المفرد والمكبر على المصغر، وهذا لا يجوز، فهذه الأمثلة وما جاء على شاكلتها هي من قبيل النقلات الصرفية، وهذا ما نادى به جعفر عبابنة، حيث قال: " والخطأ الذي وقع فيه أصحاب هذا المذهب هو أنهم أوقعوا بنية الجمع على بنية المفرد مباشرة، وهذا لا يجوز، لان هذا التغيير ليس تغييرا في ذات المفرد كتغير بَوَب إلى باب ونَور إلى نار ونيب إلى ناب، دون أن تخرج الكلمة عن أصل نوعها، أو يتغير معناها بل هي نوع من النقلات الصرفية تتحول فيه صيغة مستقلة بكاملها إلى صيغة مستقلة أخرى لإضافة معنى جديد، وليس معنى ذلك أن الصيغة الثانية مشتقة من الأولى مباشرة، بل هما صيغتان مستقلتان، وإن ربطتهما روابط شكلية ومعنوية ". (٣)

وينفي القرالة ما نادى به القدماء من وجود كسرة قبل الألف، يقول: " والحقيقة أن الألف في مصباح وما شاكلها لم تسبق بكسرة، بل هي التي تحولت إلى كسرة، ولو كانت

---

(١) النوري، محمد جواد، دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص١٧.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) عباينة، جعفر، التقاء الساكنين، ص٧٨.

مسبوقة بكسرة كما ورد لكان في ذلك محذور؛ هو تتابع الحركات المختلفة، وتخلصا من هذا المحذور لا تلجأ العربية إلى محذور آخر وهو قلبها إلى كسرة؛ لأن تتابع الحركات بقي ماثلا مع اختلاف نوعية الحركات المتتابعة ، ويؤكد عدم وجود كسرة قبل الألف في هذه الكلمات وما شاكلها، تقسيمها إلى مقاطعها الرئيسية قبل الألف على النحو التالي.

سلطان ← سلاطان sul |ta:n ← Sa la: ta:n

مصباح ← مصاباح mis baih ← ma sa: ba:h

إن الجمع في الكلمات مع بقاء ألف المفرد لا يظهر وجود كسرة قبل الألف كما قال القدماء، بل جاءت مسبوقة بأصوات صوامت .... ومن هنا فإن الكسرة الطويلة في جمعها المألوف لدينا منقلبة عن الفتحة الطويلة: a:← i: فتجمع على سلاطين ومصابيح ". (١)

ويعلل سبب هذا القلب بقوله:" وأحسب أن علّة القلب هي وجود غير حركة طويلة في كلمة واحدة من جهة، وأن هذه الحركات من جنس واحد، فتخلصت من تشابه هذه الحركات بقلب الفتحة الطويلة الثانية كسرة طويلة، وهو نمط من المخالفة وأرجح أيضا أن جمع كلمة مصباح على مصاباح قد لايفي بدلالة الجمع ". (٢)

فقد تضاربت أراء المحدثين حول نوعية هذا الإعلال فعبد الصبور يرى أنه إعلال بالقلب ومحمد جواد النوري يرى أنه اعلال بالحذف والقرالة كذلك. غير أن الناظر في مثل هذه البنى يجد أن البنية خضعت لحكم الصيغة, فصيغة منتهى الجموع تتطلب الكسرة الطويلة قبل الحرف الأخير " مفاعيل " فبنية المفرد تكسرت فزيد عليها حركة طويلة تقع بعد فاء الكلمة وحذف منها الحركة الطويلة التي كانت في المفرد لتحل محلها الكسرة الطويلة التي تطلبها الصيغة فهذه ليست من قبيل الإعلال من وجهة نظرنا وإنما هي مطلب بنائي للصبغة.

أما أمثلة الحالة الثانية، فبذكر شاهين: " وأما الإلف في غلام فإن مشكلتها تخضع لملاحظتين.

١- أنها غير مسبوقة بفتحة كما يتردد كثيراً في كتب الصرف، ولكنها هي ذاتها حركة اللام.

٢- وحين تطرأ حالة التصغير على الكلمة فإن القاعدة تفرض وضع ضمة بعد الصامت الأول، وفتحة بعد الصامت الثاني، وهاتان الحركتان (الضمة والفتحة) تسقطان

---

(١) القرالة، زيد خليل، الحركات في اللغة العربية، ص١٠١ – ١٠٢.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٢.

الحركتين السابقتين قبلهما في الكلمة، ففي رَجُل raJul يُقال ruJayl وهكذا ينبغي أن نتصور سقوط الألف في غلام لتحل محلها فتحة التصغير، ثم تجيء ياء التصغير بعد ذلك، فيقال: غُلَيم، ولكن تصغير الكلمة على هذا النحو لا يختلف عن تصغير الثلاثي إلى جانب أنه يفقدها إيقاعها النبري الذي اتخذ شكل الطول في غلام، فحولت اللغة نبر الطول إلى نبر توتر بتضعيف ياء التصغير فقيل غليَّم، أي أن الياء الثانية ياء نبرية ". (١)

٣- ويذكر في موضع آخر: " فإذا نظرنا إلى صيغة التصغير (فُعَيْعِل) وجدناها تنقسم إلى مقاطع ثلاثة: cil| cay| fu. ونحن ملزمون أن نجعل الكلمة على مثال هذا الوزن الإيقاعي فكلمة مثل: غزال تصغر هكذا gu |zay |aal... ومن ذلك نرى أن المقطع الأخير لم يأخذ صورة المقطع الطويل الأخير في: فعيعل: (ص ح ص) فكان أن أسقطت الحركة الطويلة، وعوض موقعها بتضعيف ياء التصغير مع كسرها كما هو حكم الصيغة، غُزَيّل gu |zay |yil ". (٢)

غير أن القرالة يرى:" أن الحركة لا تسقط ويعوض عنها بشبه الحركة الياء |y| بل تقلب الحركة إلى الياء شبه الحركة ؛ لأن قلبها أولى من سقوطها ". (٣)

أما محمد جواد النوري فيرى أن سبب هذا القلب يعود إلى محاذير النسيج المقطعي للغة العربية. يقول: " يقدم لنا مثال الحالة الثانية وما كان على غرارها البنية المقطعية والصوتية التالية:

كتاب ki |taab ← كتياب ku |tay |aab ← كُتَيِّب ku |tay |yib

فقد وقعت الفتحة الطويلة (الألف) على غرار أمثلة الحالة السابقة في بداية مقطع من نوع (ح ح ص) ومسبوقة بمقطع، من نوع (ص ح ص) مختوم بنصف الحركة الياء، ولكن المقطع الأول أي مقطع (ح ح ص) غير موجود في العربية ولهذا فقد عمد الناطق إلى تشكيل البنية المقطعية على نحو حافظت فيه على كمية الفتحة الطويلة، بيد أنها استبدلت نصف الحركة، وهي الياء المتلوة بكسرة بها، كما استبدل نبر التوتر بنبر الطول، وذلك لإحداث مماثلة صوتية

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٨٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٥.

(٣) القرالة، زيد خليل، الحركات في اللغة العربية، ص١٠٦.

يبين أنصاف الحركات المتجاورة، فأصبح المقطع (ص ح ص) بناء على ذلك مقطعا متوسطاً مغلقا". (١)

ويذكر أيضاً:" ومن الجديد بالذكر أن المقطع قبل الأخير في هذه البنية ...+ tay ... والذي ختم بنصف الحركة الياء، التي تعد كما ذكرنا غير مرَة، صامتا ضعيفا. نقول: إن هذا المقطع قد عززت خاتمته الضعيفة بالتشديد أو التضعيف عن طريق نصف الحركة التي استبدلت بالفتحة، وهذا من شأنه أن يصيّر حرف العلة المشدد حرفا كالصحيح ". (٢)

يتضح من خلال التعليلات السابقة أن عبد الصبور يصنّف هذا الإعلال تحت الإعلال بالحذف والقرالة ومحمد جواد النوري يريان أنه من قبيل الإعلال بالقلب غير أننا نرى أن هذا من قبيل النقلات الصرفية التي تتطلبه الصيغة، فيحدث تغيرا على البنية ليتناسب مع إيقاع الصيغة الجديدة ودلالتها. وما ذهب إليه شاهين يتفق مع هذا القول، فالياء الأولى لها وظيفة واحدة وهي بيان نوع الصيغة، أي أنها مورفيم التصغير، أما الياء الثانية فهي وظيفة تميزية. تميز الثلاثي عن غيره من جهة، وتحول النبر من نبر الطول إلى التوتر من جهة أخرى، إن كل ما حدث في هذه البنية جاء بحكم الصيغة، ويتمثل في قلب الجزء الأول من الفتحة الطويلة إلى نصف حركة الياء الوظيفية، والجزء الآخر إلى كسرة قصيرة يتناسب معها.

لم يبين القرالة من أين أتت الكسرة القصيرة التي بعد نصف الحركة من هنا بدأ الخلل في رأي بعض المحدثين؛ لأنهم لم يتناولوا البنية برمتها، ولم ينظروا إلى الصيغة الجديدة وهيكليتها، وإنما تتبعوا حروف العلة والتبادلات الموقعية بينها دون أن يراعوا الفرق بين صيغة المصغر وصيغة المكبر، فالمقطع الأخير الذي بدأ بحركة في نظرهم وهو | aab | قبل التصغير وأصبح بعد التصغير | yib | فنصف الحركة تقابل الجزء الأول من الحركة الطويلة (الفتحة) والكسرة القصير تقابل الشق الثاني من الفتحة الطويلة ، فقلب الجزء الأول من الفتحة الطويلة نصف حركة | y | والجزء الآخر كسرة قصيرة | I | لتتناسب مع الياء ومن أجل خلق انسجام صوتي في البنية.

د – قلب الواو إلى ياء .

يتناول هذا الموضوع حالات التغيير الذي يلحق بعض الأصوات العربية، وتتناول هذه الحالة دراسة التغيرات التي تلحق صوت الواو وتحوله إلى ياء. وفق وجهة نظر المحدثين، غير

---

(١) النوري، محمد جواد، دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص١٨.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

أننا لا نستطيع أن نذكر تفسيرات المحدثين، دون ذكر ما جاء عند القدماء من قواعد، فقد حصر الصرفيون حالات هذا التغيير فيما يأتي:

١- أن تقع الواو بعد كسرة مثل رَضِوَ التي تصبح رَضِيَ وصِوام التي تصبح صيام ودوار التي تصير إلى ديار.

٢- أن تلي كسرة وهي ساكنة مفردة مثل مِوْزان ⟵ ميزان.

٣- أن تلتقي هي والياء في كلمة والسابق منهما ساكن متأصل، وحينئذ تدغم الياء المنقلبة في الياء الأصلية مثل سيّد وميّت وأصلهما سيْود وميوت ومثل طيّ ولـيّ وأصلهما طويٌ ولوي.

٤- وقوع الواو لاماً في صيغة اسم المفعول من الفعل الذي ماضيه على وزن فَعِل نحو: مرضي أصلها مرضوي. أو وقوعها لاماً في صيغة فعول نحو: عصيّ وأصلها عصوو.

٥- وقوع الواو متطرفة رابعة فصاعداً ومسبوقة بفتحة نحو: أعطيت وأصلها أعطوت.

٦- وقوع الواو لاماً لصيغة فُعلى، نحو دنيا وأصلها دنوا.

نلاحظ من خلال القواعد السابقة أنها تصنف إلى ثلاثة أقسام هي:

أ) وقوع الواو بعد كسرة، كما في القاعدتين الأولى والثانية.

ب) اجتماع الواو والياء في كلمة واحدة كما في القاعدة الثالثة.

ج) خضوع الواو لحكم الصيغة كما في القواعد الثلاث الأخيرة.

وسنبين رأي المحدثين وتفسيراتهم لهذا التغير. يقول عبد الصبور شاهين في وقوع الواو إثر كسرة: " والحقيقة أن الإبدال في القواعد السابقة هو هروب من ثلاثية الحركة إلى ثنائيتها، أي أنه عدول عن تتابع الكسرة والضمة والفتحة (i + u + a) بإسقاط الضمة، والاقتصار على الكسرة والفتحة نظرا لصعوبة الضمة بعد الكسرة، أولا؛ ولأن الحركة المزدوجة أيسر نطقا ثانيا ... وعلى ذلك نرى أن عنصر الضمة قد أسقط في هذه الأمثلة فاتصلت الكسرة بالفتحة مباشرة، فكانت الياء نتيجة الانتقال بينهما، دون أن تكون بدلا من الواو كما قيل.

هكذا ra (d i – u a) < rad i – a). [1]

w y

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٨٩.

المتأمل في الرأي السابق يجد خلطا بين الحركات وأنصافها، فالمكونات الصوتية للبنى التالية توضح هذا:

رَصوَ ra |di |wa	رَضي ra	di	ya
صِوام si	waam	صيام si	yam
حواض hi	waad	حياض hi	yaad

نلاحظ من خلال المعطيات الصوتية والمقطعية للبنى السابقة أنه لا وجود لثلاثية الحركة، وما ذهب إليه عبد الصبور تبطله الكتابة الصوتية لهذه البنى، علاوة على أنه يرى أن الياء والواو هما انزلاق من حركتين، ومع ذلك تبقى الحركتان المكونتان لهما في رأيه ويأتي بنصف الحركة ونصف الحركة الواو في البنى السابقة من جذر الكلمة وليست نتيجة انزلاق حركتين.

أما محمد جواد النوري فيعزو سبب القلب إلى صعوبة الانتقال بين موضع الحركة ومخرج نصف الحركة، إضافة إلى أن مثل هذا القلب يحدث تجانسا صوتيا في البنية يقول: " في هذه الأمثلة وقعت الكسرة وهي حركة قصيرة، في نهاية مقطع، متلوة بمقطع آخر مبدوء بواو وهي نصف حركة وهذا يستدعي انتقالاً مباشراً من منطقة نطق الكسرة وهي منطقة أمامية... إلى منطقة نطق نصف الحركة الواو وهي منطقة خلفية... ولا شك في أن هذا الانتقال مع ما يصاحبه من آلية استدارة وانفراج متعاقبة للشفتين، ينطوي نسبياً، على شيء من الصعوبة، نظرا لكونه انتقالا بين أصوات متخالفة، لذا فقد عمد الناطق على تحويل الواو إلى نصف حركة من جنس الكسرة السابقة، ونعنى بها الياء، وذلك من أجل إحداث نوع من التجانس والتماثل بين الأصوات المتجاورة ". (١)

وقد نص على مثل هذا هنري فليش، حيث قال:" عندما تلتقي الواو بالكسرة قد يحدث أن ترى نوعا من تكلف النطق وثقله، فلكي ننطق بالواو تستدير الشفتان، ولكي ننطق بالكسرة يحدث العكس فتنفرجان ". (٢)

غير أن الباحث يرى في مثل هذه البنى أن الكسرة القصيرة أثرت في نصف الحركة فحولتها إلى نصف حركة مماثلة لها، وذلك من أجل إحداث تجانس بين الأصوات المتجاورة من جهة، وبهذا التجانس تنتج السهولة النطقية من جهة أخرى.

---

(١) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٣٥.

(٢) فليش، هنري، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، ص٢٠٤.

أما (موْزان) فيرى عبد الصبور شاهين: " أن قلب الواو ياء ليس إلا وهما جسدته الكتابة العربية في كلمة ميزان – والواقع أن اللغة العربية لما كانت تكره تتابع الكسرة والضمة فقد أسقطت عنصر الضمة وعوضت مكانه كسرة قصيرة تصبح بالإضافة إلى سابقتها كسرة طويلة بعد الميم، هي التي كتبت في صورة الياء فالأولى أن نقول: قلبت الضمة كسرة تخلصا من الصعوبة، ونزوعا إلى الانسجام. (١)

غير أن محمد جواد النوري يرى أن للموقعية دوراً في هذا القلب، إضافة إلى التخلص من الحركة المزدوجة. يقول: " تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية التالية:

موْزان miw |zaan ⟵ ميزان mii |zaan

موعاد miw |caad ⟵ ميعاد mii |caad

وفيها وقعت الواو في نهاية مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) وكانت مسبوقة بكسرة قصيرة، وقد نتج عن ذلك حدوث حركة مزدوجة مؤلفة من كسرة قصيرة ونصف حركة الواو (iw) ويعد النطق بهذا النوع من الحركات امراً صعباً، إن كا ما حدث، يتمثل في أن الناطق عمد إلى حل الحركة المزدوجة عن طريق قلب نصف الحركة الواو إلى كسرة قصيرة، ولقد أدى التقاء هذه الكسرة القصيرة التي استبدلت بالواو مع الكسرة القصيرة السابقة عليها إلى تكوين حركة طويلة بسيطة وهي الكسرة الطويلة iw⟵ ii، التي تعد أخف من الحركة المزدوجة ". (٢)

أما القرالة فيرى أن القلب يتم بإحدى الطريقتين التاليتين:

" الأولى: تقلب الواو شبه الحركة إلى كسرة مباشرة لمماثلة الكسرة السابقة فتتحول الكلمة من موْازن إلى ميْزان، وذلك بالتقاء الحركتين المتماثلتين: الكسرة الأصلية والكسرة المنقلبة عن الواو شبه الحركة. أما الطريقة الثانية: فهي قلب الواو شبه الحركة المسبوقة بكسرة إلى ياء شبه حركة إذ الياء من جنس الكسرة موْزان miw | zain تتحول إلى ميزانmiy | zain ثم تقلب الياء شبه الحركة إلى كسرة تبعاً لقانون مماثلة شبه الحركة للحركة فيتحول البناء من miy| zain إلى ميزان mii| zaan وذلك بالتقاء الحركتين المتماثلتين ... والأرجح أن القلب يتم بالطرقة الثانية ". (٣)

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٨٩.

(٢) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٣٦.

(٣) القرالة، زيد خليل، الحركات في اللغة العربية، ص١٠٩ – ١١٠.

غير أننا نرى أن هذا القلب ناجم عن ضعف نصف الحركة في ذاتها وفي موقعها وفي سكونها، فقد وقعت ساكنة في نهاية مقطع مما جعلها عرضة لتأثير الكسرة فيها فقلبتها إلى مثلها على النحو الآتي:

miw |zaan > mii |zaan فنتج عن هذا القلب التجانس بين الأصوات في المقطع الأول. والتخلص من الطبيعة الإنتقالية من موضع الكسرة إلى مخرج نصف الحركة الواو. فهذا التحول من قبيل تحول نصف الحركة إلى حركة قصيرة.

أما القاعدة الثالثة في مثل سيّد وما شاكلها: يقول عبد الصبور شاهين: " تقوم على أساس تتابع مزدوجين. في كلمة سيود هكذا: (sa + i + u +id) وهذا التتابع أشبه بتتابع الكسرة والضمة، حيث تقع فيه الواو إثر الياء ونظراً لصعوبة هذا التركيب، وكراهة اللغة له – فإنها مالت إلى إحداث الانسجام في هذا المثال وأشباهه، بتغليب عنصر الكسرة على عنصر الضمة وهنا يمكن أن يقال: إن الواو قلبت إلى ياء فعلا ". (١)

ويقول محمد جواد النوري في وقوع الواو والياء متصلتين في كلمة واحدة:" تقدم لنا أمثلة هذه الحالة البنى المقطعية والصوتية التالية:

طوْي	tawy	←	طيّ tayy
سيود	say | wid	←	سيّد say | yid
رويان	raw | yaan	←	ريّان ray | yaau

.... إن كل ما حدث في الحالة الأولى يتمثل في تأثير الياء في الواو تأثيراً رجعياً، وذلك رغبة من اللغة، أو الناطقين بها، في إغلاق المقطع المستثقل في حد ذاته والذي زاد استثقاله بإغلاقه بنصفي حركة مختلفتين في المخرج وفي أوضاع اللسان، والشفتين ينصف حركة مضعفة مماثلة، ليكون العمل من وجه واحد، ولما في ذلك من سهولة بالقياس إلى إغلاقه بنصفي حركة مختلفتين، علاوة على ذلك فإن الياء تعد أيسر في النطق من الواو وبخاصة في نهاية الكلمة (٢).

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٨٩ – ١٩٠.

(٢) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٣٧.

ويرى أن في سَيْود، أثرت الياء في الواو تأثراً تقدمياً فحولتها إلى جنسها، وفي رَوْيان، أثرت الياء في الواو تأثراً رجعياً فحولتها إلى جنسها، وذلك بهدف أحداث تجانس وتماثل بين الأصوات المتجاورة [١]. لقد عالج محمد جواد النوري الأمثلة السابقة في حالة الوقف، وبنى تفسيراته في المثال الأول على المقطع الطويل المزدوج الإغلاق، ولكن في حالة الوصل تتخلص البنية من المقطع الثقيل على هذا النحو: (طَوْيٌ) taw | yun، وهذا أصل البنية، إن ما حدث في هذه البنية أن أثرت الياء نصف الحركة التي قويت بموقعها وحركتها تأثيراً رجعياً في نصف الحركة الواو الضعيفة، بموقعها في نهاية مقطع وسكونها، فقلبتها إلى جنسها، لإحداث نوع من التماثل بين الأصوات المتجاورة. ولأن الفتحة القصيرة وبعدها الياء أخف نطقا من الفتحة وبعدها الواو؛ وذلك لأن في أثناء نطق الواو يحدث استدارة في الشفتين لا نجدها في الياء، وهي أقرب من الواو إلى الفتحة.

أما في سيود فيختلف الباحث مع محمد جواد النوري، لأن الياء ضعيفة في موقعها وسكونها فلا تستطيع التأثير في الواو المتحصنة بحركتها، ولكن يمكن القول أن الكسرة القصيرة أثرت في الواو فقلبتها إلى نصف حركة مجانسة لها وهي الياء، فأحدثت تجانسا مع ما قبلها وما بعدها. وفي رَوْيان يمكن القول: أن الواو وقعت ساكنة في نهاية مقطع، فضعفت فأثرت فيها الياء فحولتها إلى جنسها، وبهذا التحول حدث تجانس في أصوات البنية، وتخلص الناطق من صعوبة الانتقال من فتحة قصيرة إلى نصف حركة خلفية إلى نصف حركة أمامية a+w+y، والنطق بالفتحة متلوة بالياء أخف من نطقها متلوة بالواو.

بقي القسم الثالث من هذا القلب، الذي تخضع فيه الواو لحكم الصيغة حيث قال فيه عبد الصبور شاهين:" فقد قبلت فيها الواو ياء، نظراً لأن الياء أيسر نطقا من الواو، وبخاصة في نهاية الكلمة، إلى جانب أن الياء من خصائص النطق الحضري، كما أن الكسرة كذلك في مقابل ما تعوده البدو من إيثار الواو والضمة " [٢].

ويقول محمد جواد النوري في عصيّ ومرضيّ:" تقدم لنا الأمثلة البنى المقطعية والصوتية التالية: عصوي ca | suuy ← عِصيّ ci | siyy

مرضوي mar | duuy ← مرضيّ mar | diyy

لقد مرت بنية هاتين الكلمتين وما كان على غرارها بالمراحل التالية:

---

(١) ينظر:النوري،محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٣٨.

(٢) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩٠.

١. اجتمعت في المقطع الأخير من البنية، وهو مقطع طويل مغلق: (ص ح ح ص) الضمة ونصف الحركة، وهذا يعني أن المقطع الأخير في الكلمة ختم بتتابع حركي من شأنه إضعاف النسيج المقطعي للكلمة.

٢. حدثت مماثلة صوتية، رجعية أثرت فيها الياء على الضمة الطويلة فقسمتها إلى نصف حركة مماثلة لها مسبوقة بكسرة قصيرة، لمناسبة الياءين، ثم إدغام نصفي الحركة (الياءين) معا، مما أدى إلى إغلاق المقطع بصامتين ضعيفين تمت تقويتهما بالتضعيف، فتحقق بذلك نوع من التجانس، والتماثل الصوتي.

٣. قلبت الضمة التي ختم بها المقطع الأول في كلمة (عُصي)، إلى كسرة من أجل إحداث تناغم بين الحركات المتجاورة في المقطعين، فأصبحت عِصيّ " [١].

غير أن الباحث يرى أن هذه البنى من قبيل النقلات الصرفية، التي لا تنطبق على الأصل، وإنما تبنى من أجل ملائمة الصيغة الجديدة. إضافة إلى أن محمد جواد النوري بنى تعليلاته في حالة الوقف، وهذا لا يتفق مع البنية، لأنها في حالة الوصل، لا وجود لما ذهب إليه؛ لأن النسيج المقطعي يتغير، وتعطى نصف الحركة صفة القوة الموقعية حيث تقع في (مرضوي) mar | duu | yin في بداية مقطع. ويمكن تفسير هذا القلب على النحو الآتي:

١. أثرت نصف الحركة الياء في الضمة الطويلة فقلبت الجزء الأخير منها إلى نصف حركة مماثلة فأصبحت البنية (مَرْضُيٌ) mar |duy | yun.

٢. ثم أثرت نصف الحركة الجديدة في الضمة القصيرة فحولتها إلى كسرة قصيرة تتناسب معها، وبهذا التحول يتخلص الناطق من الطبيعة الانتقالية من موضع الحركة الخلفية (الضمة) إلى مخرج نصف الحركة الأمامية (y) فأصبحت mar | diy | yun.

أما عُصيّ فلا تختلف عن سابقتها إلا بقلب الضمة في المقطع الأول إلى كسرة لأحداث تجانس بين الحركات المقطعية.

أما في أعطوت ʔac | taw | tu وزكوت za | kaw | tu. فقد عمد محمد جواد النوري إلى تفسير هذا التغير في حالة الوقف، وعزا ذلك إلى وقوع الواو بوصفها نصف حركة في نهاية مقطع، وهو المقطع الطويل المزدوج لإغلاق، وقد اشتمل هذا المقطع على حركة مزدوجة (aw)

---

(١) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٣٩.

فعمد الناطق إلى التخفيف من حدة المقطع بقلب الحركة المزدوجة (aw) إلى حركة مزدوجة أخف منها وهي (ay) فأصبحت البنية أعطيت وزكيت[١].

ولكن الناظر في البنى المقطعية لهذين المثالين يجد أن الواو لم تقع في نهاية مقطع حتى في حالة الوقف، بل إن المقطع أغلق بصوت التاء وهي لاحقة صوتية. فلا وجود للمقطع المزدوج الإغلاق في حالة الوصل. هكذا: ɔac| taw| tu إن كل ما حدث يتمثل في قلب الحركة المزدوجة الواوية إلى حركة مزدوجة يائية، التي تعد أيسر نطقا من الواو، والفتحة القصيرة أقرب إلى الياء من الواو فحدث تقارب صوتي بين الأصوات المتجاورة.

أما الحالة الأخيرة في قلب الواو إلى ياء عندما تقع لاما، في صيغة فعلى يقول محمد جواد النوري:" تقدم لنا أمثلة الحالة الأخيرة من حالات قلب الواو إلى ياء البنى المقطعية والصوتية التالية:

دنوا dan| waa	دنيا dun| yaa
علوى cul| waa	عليا cul| yaa

فقد انقلبت الواو الواقعة في بداية مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح) إلى ياء ولعل السبب يعود إلى أن النطق بالياء أيسر من النطق بالواو وبخاصة في حالة التطرف والوقوع في آخر الكلمة ' [٢].

إلا أن الباحث يرى خلاف ذلك، حيث يعود القلب إلى البعد ما بين الواو والفتحة الطويلة، فعمد الناطق إلى التقريب بين الأصوات المتجاورة فقلب الواو إلى ياء والياء أسهل نطقا من الواو.

أما عبد القادر عبد الجليل فيرى أن سبب قلب الواو إلى ياء في التراث الصرفي يعود إلى " عوامل صوتية تشترك فيها صفات الأصوات ومخارجها وتنوعاتها حسب كيفية الممر الهوائي" [٣].

إن ما ذهب إليه عبد القادر يدل على العمومية، وما يؤخذ عليه أنه جمع الأمثلة دون أن يفسر سبب هذا القلب في كل حالة من الحالات الواردة في التراث اللغوي.

---

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص٣٣٩.

(٢) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٤٠.

(٣) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص٤٢٠.

هـ- قلب الياء إلى واو.

يقرر الصرفيون أن الياء تبدل واواً في أربع قواعد، هي:

١. أن تكون الياء ساكنة مفردة في غير جمع مثل مُيْقِن ومُيْسِر حيث يصبحان موقن وموسر.

٢. أن تقع الياء بعد ضمة وهي لام فُعَل مثل: نَهُي الرجل فإنها تنطق نَهُوَ الرجل.

٣. أن تكون الياء عينا لفُعْلى مثل طُيْبى تصبح طوبى.

٤. أن تكون الياء لاما لِفَعْلى-اسماً- لا صفة مثل تَقْوى وشَرْوى وأصلهما تقيا وشريا.

٥. غير أن المحدثين يفسرون هذا البدل في ضوء قواعد علم اللغة الحديث تفسيراً يختلف عما جاء عند القدماء. فعبد الصبور شاهين يرى أن سبب القلب في القاعدة الأولى ناجم عن تتابع الحركات. يقول: " فالقاعدة الأولى وهي وقوع الياء ساكنة بعد ضم في مثل: مُيْقِن، فهو يشبه وقوع الواو ساكنة بعد كسرة في مثل مِوْازن كلاهما ناشئ عن تتابع ضمة وكسرة أو كسرة وضمة، ونظراً لثقل هذا التتابع فقد تخلص الناطق العربي منه بإسقاط العنصر الثاني وإطالة العنصر الأول: mu – i –qin > muu | qin، فالتبادل في هذه الأمثلة بين الحركات، لا بين أحرف العلة " (١).

غير أن الباحث يختلف مع عبد الصبور فيما ذهب إليه من حيث إن الكتابة الصوتية تبين غير ذلك. وهي هكذا:

مُيْقِن muy | qin > موقِن muu | qin

إذ قلبت نصف الحركة الياء إلى ضمة قصيرة كونت من الضمة السابقة عليها ضمة طويلة. أو بمعنى آخر وقعت الياء نصف الحركة الساكنة في نهاية مقطع مما جعلها تقع تحت تأثير الضمة السابقة عليها فحولتها إلى مثلها، وبهذا التحول حدث تجانسٌ بين الأصوات المتجاورة، وتخلص الناطق من صعوبة الانتقال من موضع الحركة القصير (الضمة) الخلفية إلى مخرج نصف الحركة (y) الأمامية، فهو من قبيل قلب نصف الحركة إلى حركة. وليس من قبيل قلب الياء إلى واو كما ذهب القدماء، ولا من قبيل التبادل في الحركات كما ذهب عبد الصبور.

إلا أن عبد القادر يرى أن سبب هذا التغير هو عامل المخالفة الكمية. يقول: "ويلاحظ أن ما ذهب إليه الصرفيون يغفل جوانب المقطع والتجانس الصوتي:

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩١.

فأيقن ⟵ موقن س ع ع+ س ع+ س ع س

مُيْقَنٌ س ع س+ س ع + س ع س

ففي الحالة الثانية احتوت الكلمة على مقطعين متوسطين مغلقين في بداية الكلمة ونهايتها، وهذا يتطلب جهدا صوتيا لتحقيقهما مما تطلب تدخل عامل المخالفة الكمية لنقل المقطع الأول إلى مقطع متوسط مفتوح بمساعدة صوت الضمة التي هي جزء الصائت الطويل (الواو) [١].

أما محمد جواد النوري فيرى أن سبب القلب يعود إلى التخلص من الحركة المزدوجة المكونة من ضمة قصيرة ونصف حركة الياء (uy)، وإلى ضعف الياء ووقوعها في نهاية مقطع مما جعلها تقلب إلى ضمة قصيرة كونت مع سابقتها ضمة طويلة [٢] .

أما القاعدة الثانية فيقول عبد الصبور شاهين: " وقد سبق أن لاحظنا أن وقوع الواو إثر كسرة يجعلها ياء وأن ذلك ناشئ عن ثلاثية الحركة وهو ما حدث في (نَهُىَ) nahu+i+a، فأسقط الناطق عنصر الكسرة لتصبح الحركة المزدوجة فقط، وتنشأ بذلك الواو نتيجة الانتقال من الضمة إلى الفتحة، فما حدث هو اختصار الحركة الثلاثية إلى ثنائية وبذلك سقطت الياء ونشأت الواو نتيجة الانتقال من الضمة إلى الفتحة " [٣].

غير أننا نختلف مع عبد الصبور، وننفي وجود الحركة الثلاثية التي فسر القلب بموجبها، والكتابة الصوتية تعزز ما نذهب إليه وهي على النحو التالي:

نَهُيَ na| hu| ya ⟵ نَهُوَ na| hu| wa فلا وجود لما ذهب إليه شاهين، إن ما حدث هو قلب نصف الحركة الياء الواقعة في بداية مقطع إلى نصف حركة تعتبر من الناحية الصوتية أقوى منها، وهي الواو، وبهذا القلب تخلص الناطق من صعوبة الانتقال من موضع نصف الحركة الضمة القصيرة الخلفية إلى مخرج نصف الحركة (الياء) القريبة من موضع الكسرة الأمامية وقد أدى هذا القلب إلى تقوية المقطع من جهة، وإحداث تجانس بين أصوات البنية من جهة أخرى.

لقد عزا محمد جواد النوري هذا القلب إلى المماثلة التقدمية، حيث يقول:" وقعت الياء في بداية مقطع، ومسبوقة بمقطع منته بضمة قصيرة على النحو التالي:

نهُيَ na| hu| ya نَهُوَ na| hu| wa

---

(١) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، حاشية، ص٤٢١.

(٢) ينظر النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٤٠.

(٣) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩١-١٩٢.

ومن المعلوم أن بداية المقطع تحتاج إلى صوت قوي، ولهذا فقد تأثرت الياء الضعيفة، اللاحقة بالضمة القوية السابقة تأثرا تقدميا، مما أدى إلى قلب الياء إلى صوت قوي، بل إلى أقوى الحركات، كما ذكر القدماء، وهي الواو، وقد ترتب على ذلك تماثل أو قل إن شئت تناغم بين الحركات المتجاورة u+ya... u+wa.... مما أدى إلى سهولة عملية النطق (١).

لقد خلط محمد جواد النوري بين القوة والضعف، والخفة والثقل، فالياء ليست ضعيفة بل قويت بموقعها في بداية المقطع، ولم تبدل بما هو أقوى منها، والأهم من ذلك أنه أسقط وصف القدماء للحركات على أنصاف الحركات، فالواو ليست حركة هنا بل نصف حركة، أثقل نطقا من الياء، فعمد الناطق إلى إحداث تجانس بين الحركات وأنصافها المتجاورة، فقلبت نصف الحركة إلى نصف حركة من جنس الحركة السابقة عليها.

القاعدة الثالثة في قلب الياء إلى واو يقول عبد الصبور شاهين في سبب هذا القلب: " وتلحق القاعدة الثالثة بالقاعدة الأولى لأنها تتابع ضمة وكسرة في مثل طيبى tu-ibaa ويصير التتابع إلى ضمة طويلة طوبى tuu| baa " (٢).

أما محمد جواد النوري فيرى أن سبب القلب يعود إلى التخلص من الحركة المزدوجة (uy) الموجودة في آخر الكلمة (٣).

ويقول:" إن الآلية التي حكمت عملية التحول الصوتي، في هذه الحالة، تمثلت في حذف الياء من آخر المقطع، ثم إطالة حركة الضمة القصيرة، أو قل إن شئت أنها تمثلت في قلب الياء إلى حركة قصيرة مماثلة للحركة القصيرة السابقة عليها، وهي الضمة القصيرة، مما أدى إلى أحداث تناغم بين الحركات المتجاورة " (٤).

إن ما جاء عند شاهين لا يتفق والطبيعة الانتاجية لصوت الياء، ولا يوجد تتابع ضمة وكسرة، وإنما هي ضمة ونصف حركة، أي ضمة خلفية ونصف حركة أمامية، فنطق مثل هذا التتابع يترتب عليه صعوبة، لأن اللسان سينتقل من منطقة خلفية إلى منطقة أمامية، ولهذا حدث هذا القلب، أو يمكن أن نقول وقعت الياء ساكنة في نهاية مقطع مما جعلها عرضة للتأثير.

---

(١) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٤١.

(٢) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩٢.

(٣) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٤٠.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٤١.

فأثرت فيها الضمة القصيرة فحولتها إلى جنسها، وكوّنت الضمة القصيرة المنقلبة عن نصف الحركة، مع الضمة القصيرة السابقة عليها ضمة طويلة وهي من قبيل المماثلة التقدمية، وهنا قلبت نصف الحركة إلى حركة وليس كما ذهب القدماء.

القاعدة الأخيرة في تحولات الياء إلى واو هي في رأي عبد الصبور شاهين التي احتوت قلب الياء إلى واو حقا. يقول: " أما القاعدة الرابعة فهي التي حدث فيها إبدال الياء واواً تبعا للمأثور من كلام العرب فقيل في تُقيا: تُقوى وفي شُرْيا: شُرْوى " (١).

غير أن شاهين لم يبين سبب هذا القلب ودواعيه من الناحية الصوتية. أما محمد جواد النوري فقد عزا هذا القلب إلى أن الواو أقوى من الياء، وبداية المقطع تتطلب الصوت الأقوى، يقول:" أما في الحالة الأخيرة فقد وقعت الياء في بداية مقطع على النحو التالي:

تقيا taq| yaa ⟵ تَقوى taq| waa

فتيا fat| yaa ⟵ فتوى fat| waa

إن ما جرى في هذه الحالة شبيه إلى حد كبير، بما جاء في الحالة السابقة وذلك أن بداية المقطع تحتاج إلى صوت قوي، وعلى هذا فقد تم استبدال نصف الحركة الياء بنصف حركة أقوى منها، ونعني بها الواو" (٢).

نحن نختلف مع محمد جواد النوري في تعليلاته لسبب هذا القلب، فالقلب هنا لا يعود إلى القوة والضعف كما ذهب، فلياء والواو نصفا حركة، أي أن آلية انتاجهما لا تختلف كثيراً، ولكن يمكن أن نبين سبب هذا القلب بالإستئناس برأي القدماء، الذي جعل هذا القلب يقوم بوظيفة تميزية بين الاسم والصفة فأبدلوا الياء نصف الحركة الأخف نطقاً إلى واو نصف حركة أخرى أثقل نطقاً في الاسم دون الصفة، لأن الصفة أثقل من الاسم. ويمكن أن يكون هناك سبب صوتي يتمثل في المخالفة بين الحركات في مثل هذه البنى، حيث الياء أقرب إلى الفتحة الطويلة من الواو فأراد الناطق أن يخالف في حركات البنية برمتها، وتعزيزاً لهذا الرأي أن الواو في علوا cul| waa قلبت إلى ياء، فقد يكون لحركة المقطع الأول دور في هذا القلب.

و: قلب الألف إلى واو

يقرر الصرفيون أن الألف تبدل واواً في مسألة واحدة هي أن تضم ما قبلها في البناء للمجهول والتصغير. ضارب ضورب. ضارب ضويرب. غير أن هذه القاعدة لا تتفق والدرس الصوتي الحديث. يقول عبد الصبور شاهين: " والواقع أن حركة الضاد في (ضارب) هي

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩٢.

(٢) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٤٢.

الفتحة الطويلة بعدها (ورمزها الألف) وأن حركتها في (ضورب) هي الضمة الطويلة بعدها (ورمزها الواو) ومن ثم لا يصح أن يقال: أن الألف ضم ما قبلها فقلبت واواً. ولكن يقال: إن بناء الفعل للمفعول من هذه الصيغة يقتضي إبدال الفتحة الطويلة في حالة البناء للفاعل، ضمة طويلة في البناء للمفعول، وذلك من باب استعمال الحركات في وظائف نحوية " (١).

ويقول في التصغير:" فإذا لم تكن الألف أصلية، بأن كانت ألف الصيغة كما في (ضارب) ... فإنها حينئذ لا تمثل شيئاً محدداً سوى وجودها على ما هي فتحة طويلة، فإذا سبقت بضمة حدث من الانزلاق بين الحركتين واو انتقالية تليها ياء التصغير ساكنة هكذا:

duay| rib < du| aay| rib < daa rib

فالواو ليست نتيجة قلب الألف، بل نتيجة الانزلاق بين ضمة التصغير بعد الصوت الأول، وبين هذه الألف التي تتحول من فتحة طويلة إلى فتحة قصيرة " (٢).

إن ما جاء به عبد الصبور يختلف عما توضحه الكتابة الصوتية والبنى المقطعية في كلا الحالتين: ففي البناء للمجهول، تمر البنية في المراحل التالية:

daa rib ⟵ ضُارب du| aa| rib ضورب duu| rib

فقد جاء المقطع الثاني في البنية الثانية. مكونا من فتحة طويلة وهذا مالا تجيزه العربية فعمد الناطق إلى إسقاط الجزء الثاني من الفتحة الطويلة، وقلب الجزء الأول ضمة كونت مع الضمة السابقة عليها ضمة طويلة. وليس الهدف منه الإعلال بقدر ما هو تناسب لحركات البنية التي تتطلبها البنية الجديدة فهي أيضا من النقلات الصرفية.

وفي حالة التصغير نلاحظ أن البنية الثانية احتوت على مقطع محذور فعمد الناطق إلى التخلص منه بأن قلب الجزء الأول من الفتحة الطويلة إلى نصف حركة مجانسة للضمة السابقة. وليس نتيجة انزلاق كما ذهب عبد الصبور. أما محمد جواد النوري فقد ذهب إلى أن سبب القلب يعود إلى المحاذير المقطعية والمماثلة التقدمية. يقول:

" في حالة البناء للمفعول– كاتب kaatib > كُاتب ku| aa| tib كوتب kuu| tib. وقعت الفتحة الطويلة في مقطع مستقل بعد ضمة فاء الفعل المبني للمفعول، فترتب عن ذلك تتابع مقطعي على هذا النحو: ص ح، ح ح، ص ح ص. ولكن المقطع الأوسط لا تجيزه العربية الأمر الذي أدى إلى اسقاطه متأثرا بالضمة السابقة تأثرا تقدميا " (٣).

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٤.

(٣) النوري محمد جواد، دراسة صوتية لموضوعي الإعلال والإبدال، ص٢٢.

ويذهب في التصغير إلى ما ذهب إليه سابقا من المحاذير المقطعية، حيث اشتملت البنية على مقطع محذور، على النحو الآتي:

كاتب kaa| tib > كُايتب ku| aay| tib > كُوُيتب ku| way| tib

يقول:" وعلى هذا فإن الألف، أو، بعبارة أدق، الفتحة الطويلة لم تقلب واواً كما تذكر كتب الصرف، وإنما قلب جزؤها الأول إلى واو التي هي نصف حركة، وبقي جزؤها الثاني مكونا مع ياء التصغير، التي أضيفت إلى البنية حركة مركبة (ay) " [١].

غير أننا نرى أن في البنية مقطعاً لا تقبله العربية فأثرت الضمة بالفتحة الطويلة فحولت جزأها الأول إلى نصف حركة، من جنسها ويقي جزؤها الآخر مع ياء التصغير دلالة على الصيغة، وأرى أن الفتحة + نصف الحركة الياء يمثلان مورفيم التصغير وليس الياء وحدها. وهذه البنية من النقلات الصرفية التي تتطلب الصيغة تغييرا يتلاءم مع دلالاتها الجديدة.

غير أننا نجد عند عبد القادر عبد الجليل تعليلا جيدا في البناء للمفعول. حيث تقلب الألف إلى واو فيه. يقول: " في تقاتل... تقوتل... لأن لحركة الضم على صوت التاء وهي تؤدي فعلها الوظيفي، أن تخلي المسرب إلى نهاية الصيغة، بما يتلاءم مع جريانها، وأن توزع الصوائت وفق الصورة النطقية الميسرة، فالصورة الأولى لا غبار عليها، لأن صوائت الفتح القصيرة الأربع وبينهما صائت الألف الطويل هي من جنسٍ واحد، وحين استوجب البناء في مبتدئه صائت الضم من اجل مجهولية الفاعل كان لا بد من التوافق والانسجام الصوتي مما تطلب صائت الواو المدي لأنه معها من نفس النسج مع فارق الكمية الانتاجية، وهو استبدال مقبول صوتيا لأنه تحول من صائت طويل إلى آخر مثله، في الصفة الصوتية (الجهد ودرجة الصوت) " [٢].

نتفق مع عبد القادر بأن الصيغة تتطلب تغيرا يتناسب مع النقلة الجديدة.

ز: قلب الواو والياء ألفا.

استند الصرفيون في عملية قلب الواو أو الياء، ألفا إلى قاعدة عامة تنص على أن إذا تحركت الواو أو الياء وفتح ما قبلها تقلب إلى الألف، ويتم ذلك في الكلمات الجوفاء والناقصة وبعض المصادر. وغير أن الاستقراء اللغوي لهذه الأمثلة جعل علماءنا الصرفيين يصطدمون بعدد غير قليل من الأمثلة التي لا تنطبق عليها هذه القاعدة لذا قيدوا هذه القاعدة بضوابط

---

(١) النوري، محمد جواد، دراسة صوتية لموضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٢.

(٢) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص٢٠٤-٢٠٥.

وشروط تكاد تصل إلى عشرة جمعها عبد الصبور شاهين في كتابه المنهج الصوتي للبنية العربية " (١).

ومن المؤكد أن علة هذا القلب عند القدماء، لا تتفق مع ما رآه المحدثون من علماء اللغة. فعبد الصبور شاهين يذكر أن:" من المؤكد أن موقع العين في هذه الكلمات هو موقع واو أو ياء، نتجت كل منهما من توالي الحركات المتخالفة، وإليك الأمثلة بالكتابة الصوتية:

قوَل qa-u-ala

بَيَع ba-i-aca

خَوِف ha-u-ifa

فإذا حدث انزلاق من الفتحة الأولى في كل مثال، إلى الحركة التالية لها نتجت الواو أو الياء التي هي عين الكلمة، في الأصل، ولكن لنعد إلى خصائص المقطع العربي ولنذكر أن هذا المقطع لا يمكن أن يتكون من حركات فقط فإذا أجرينا تقسيما مقطعيا لهذه الكلمات كانت على النحو التالي لثلاثة نماذج:

qa| ua| la fa cala

ba| ia| ca fa cala

ha| ui| fa fa cila

فالمقطع الأوسط فيها جميعا مكون من حركات مزدوجة، وهو أمر ترفضه اللغة ولذلك كان الحل هو إسقاط العنصر الذي يسبب الازدواج وهو الضمة في الأول والكسرة في الثاني، فلا يبقى سوى فتحتين قصيرتين، هما الفتحة الطويلة هكذا qaa| la > baa| ca " (٢).

غير أن هذا التفسير لا ينطبق على النموذج الثالث فذهب إلى حذف الضمة والكسرة يقول:" وأما النموذج الثالث فتسقط منه الضمة والكسرة معا، لأن وجود إحداهما يسبب ازدواجاً غير مألوف في هذه الصيغة من الأفعال ثم تطول الفتحة الأولى حملا لها على (قال وباع) تبعا لعامل القياس الموحد: haa| fa ،أي، طرداً للباب على وتيرة واحدة " (٣).

ويقول في كلمة مثل " قوَمَ qa+u+ama اجتمعت فيها حركة ثلاثية، نشأ عن اتصال أجزائها (الواو). فإذا سقطت الضمة انتفى الانزلاق، واتصلت الفتحتان القصيرتان قبلها وبعدها

---

(١) ينظر: شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩٢-١٩٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٢-٨٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٣.

لتصبح الكلمة: قام: qaa| ma فكل ما حدث هو إسقاط عنصر الضمة في واقع الأمر، هروبا من ثلاثية الحركة، إلى الحركة الطويلة " (١).

ويقول في بَيَـع: " تعرضـت لـنفس الإجـراء، وهـو حـذف الحركـة الوسـطى، فتلتقي الحركتان(الفتحتان) لتصبحا فتحة طويلة هي باع baa| ca.

وكذلك رميَ > رمى، دعو > دعا " (٢).

غير أننا نختلف مع عبد الصبور في تعليلاته، وخاصة في انتاجية كل من الواو والياء الناجمة عن انزلاق الحركات المختلفة، بالإضافة إلى أن البنية العميقة للأمثلة السابقة لا تحتوي على ثلاثية الحركة. بل إنها تتكـون مـن الـواو والياء بوصـفهما نـصفي حركـة مثـل: قوَلَ qawala > قال qaa| la وبَيَع ba ya ca > باع baa| ca. وكل ما حدث هو إسـقاط نـصف الحركة، وليس الضمة كما ذهب عبد الصبور ونجد عند داوود عبده رأيا مخالفا للقدماء أيضا في تفسيراتهم لهذا القلب ويرى أن هذا التفسير اصطدم بعدد من المشكلات منها:" أولاها أنّ لـيس هناك تفسير مقبول لسقوط الفتحتين، وثانيتها أن الواو والياء وهما تـشتركان فـي عـدد مـن الخصائص الصوتية ليستا من جنس الألف لكي تنقلبان ألفا. وثالثتهما أن الواو في مثل وَصَلَ أو قوَلَ لا تختلف عن الضمة. وهي مد قصير إلا في مقدار المسافة بين اللسان وأقصى الحنك عند النطق بهما (حيث تكون هذه المسافة أقل في حالة النطق بالواو) وبالتالي فإن من المنتظر حـين تنقلب إلى مد أن يكون المد قصيراً، ومن المعلوم أن الألف ليست مدا قصيرا بل هي مد طويـل يقابله المد القصير المعروف بالفتحة، ومثل هذا القول ينطبق على الياء " (٣).

ويرى أن " ما طرأ على كلمة (قوَلَ) حين أصبحت قال، و(بَيَعَ) حين أصبحت باع يمكن تفسيره بما يلي:

أولا: تحذف الواو والياء إذا وقعتا بين حركتين متماثلتين، أي مدين قصيرين متماثلين.

ثانيا: ينتج عن المدين القصيرين وقد أصبحا متواليين بعد سقوط الواو والياء مدٌ طويـل من جنسهما، فإذا كان المدان القصيران فتحتين نتج عنهما فتحة طويلة ... وإذا كانا ضمتين نتج عنهما ضمة طويلة، وإذا كانا كسرتين نتج عنهما كسرة طويلة " (٤).

---

(١) شاهين عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩٤-١٩٥.

(٢) المرجع نفسه ص١٩٥.

(٣) عبده، داود، أبحاث في اللغة العربية، ص٣٧، ودراسات في علم أصوات العربية، ص٣٣-٣٤.

(٤) المرجع الأول نفسه، ص٣٧.

ويفسر سبب "عدم سقوط الواو في مثل (غَيَدَ وحَوَلَ) إلى أن إحدى الفتحتين في مثل هاتين الكلمتين طارئة فإما أن الأولى كانت حركة غير الفتحة وبالتالي لم تسقط الواو والياء كما سقطتا في مثل قوَلَ وبَيَعَ... وإما أن الفتحة الثانية لم تكن موجودة أصلا وأضيفت فيما بعد، أي أن الأصل في غَيَدَ وحَوَلَ هو سكون الواو الياء " (١).

إن هذا الافتراض الذي ذهب إليه عبده يبقى افتراضا من وجهة نظره؛ لأن هناك ألفاظاً وقعت فيها الواو بين حركتين متباينتين ومع ذلك سقطت مثل (خَوَفَ) أما غَيَدَ وحَوَلَ فيبدو أن عدم السقوط يكمن في البنية الدلالية لهاتين الكلمتين أو الوظيفية التميزية.

أما بكوش فيذهب إلى سقوط الواو والياء إذا وقعتا بين حركتين قصيرتين، دون أن يذكر التماثل بين الحركتين، بل رأى أنها تسقط في جميع الحالات التي تقع فيها الواو والياء بين حركتين. يقول:" تسقط الواو والياء بين حركتين قصيرتين: أ- الحركتان فتحتان ـَ - ـَـــ L فتحة طويلة (٢).

ويقول أيضا:" ... ولا يسقط –يعني نصف الحركة- إلا إذا سبق أيضا بفتحة لثقل نطقه بين فتحتين قصيرتين " (٣).

وهذا الرأي يحتاج إلى إعادة نظر، لأن التعليلات الصوتية تختلف عندما تكون الحركتان مختلفتين.

وينفي عبد القادر عبد الجليل وجود علاقة بين الواو والياء من جهة والألف من جهة أخرى يقول: " ومع الفعل الأجوف (عاد) يقول الصرفيون إن أصله عَوَدَ، وإنه لما تحركت الواو وفتح ما قبلها انقلبت ألفا فصارت عاد، وهذا دون أية إلماعة لسر الإنقلاب الذي حطم (الواو) وحولها إلى (ألف)، مع العلم أن هذه الأصوات الثلاثة يختلف الواحد عن الآخر، في طريقة إنتاجه وصفاته الصوتية " (٤).

ويعزو سبب القلب إلى التركيب المقطعي يقول:" نقول: إننا لسنا مع هذا الافتراض المزعوم، وإنما مع التركيب المقطعي للفعل عاد الذي يحتوي في أصل تكوينه على صوتين:

عادَ ـــــ س ع ع + س ع

الأول: صائت طويل (ع ع)

---

(١) عبده، داود، أبحاث في اللغة العربية، حاشية ٣، ص٣٧.

(٢) بكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص٥٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٦١.

(٤) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص٤٢٤.

الثاني: صائت قصير (ع)

ولو توغلنا أكثر في التركيب نلاحظ أن الصائت القصير يؤشر (الجنس والعدد) ولو ضعّفنا هذه الحركة لأمكننا أن نحصل على صائت طويل هو الألف الذي يؤشر (الجنس والعدد)، وهو مع الأول مفرد مذكر ومع الثاني مثنى مذكر " [١].

ويذهب إلى أبعد من ذلك عندما يذكر أن جذر الماضي من الفعل عادَ هو عُدْ يقول: " أما لو عدنا إلى مضارع الفعل عاد فهو يعود ولذا نبقى مع القول أن جذر الماضي هو عَدْ، وجذر المضارع يعود، وليس هناك ثمة تحول، وقد نشأ هذا الجذر من إطالة الصائت القصير في جذر الماضي وليس من أصل مزعوم. إن هذه الواو نشأت من إطالة الصائت القصير في جذر الماضي لتصبح صائتا طويلا في جذر المضارع وإن هذه الألف في عاد أضيفت من خارجه " [٢].

إن ما ذهب إليه عبد القادر فيه خلط من جهات:

الأولى: أنه ساوى بين الضمير والحركة القصيرة، وهما من ناحية القيمة لا يكمل أحدهما الآخر لأن الفتحة القصيرة حركة، وألف الاثنين حركة وظيفية تمييزية لها قيمة نحوية ومورفيم يدل على التثنية.

الثانية: أنه جعل جذر الماضي (عُدْ) وهذا افتراض غير مقبول، لأنه جعل الماضي أصلا للمضارع، علاوة على أنه ماثلَ بين الجذر والفعل الماضي.

الثالثة: كيف يتوقع دخول الألف من الخارج على عاد، دون أن يفسر سبب هذا الدخول؟ ولماذا الألف دون غيرها؟ ولو كانت كذلك ودخلت على الجذر أين ذهبت حركة العين (الضمة القصيرة) في عُدْ؟ وكيف يتوافق هذا الدخول مع النسيج المقطعي للبنية؟.

أما محمد جواد النوري فيرى أن سبب هذا الإعلال يعود إلى ضعف الصوتين الواو والياء وكراهية المقاطع المفتوحة، وأورد الأمثلة التالية.

قوَل qa| wa| la	———	قال qaa| la
دَعَوَ da| ca| wa	———	دعا da| caa
مَيَلَ ma| ya| la	———	مال maa| la
رَمَيَ ra| ma| ya	———	رمى ra| maa

(١) عبد الجليل عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص٤٢٤-٤٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٢٥.

يقول:" إن التحليل المقطعي والصوتي للأمثلة السابقة التي تنضوي تحت هـذه القاعـدة تظهر لنا أن كل من الواو والياء، وهما نصفا حركة وقعت بين حركتين قصيرتين وكل ما حدث في هذه الحالة، يتمثل في استثقال النطق بنصف الحركة الواقعة بين حـركتين، ممـا أدى إلـى سقوطها، دون التعويض عنها بشيء، ولقد ترتب على سقوط نصف الحركة من البنية إلى التقاء الفتحة القصيرة التي كانت ملابسة لها مع الفتحة القصيرة السابقة عليها فنتج عـن ذلـك فتحـة طويلة، هي التي يسمونها في التراث ألفا " (١)

ويقول أيضا:" وقد ذهب بعض اللغويين إلى أن الواو والياء وهما صـامتان ضـعيفان يزداد ضعفهما عند وقوع أحدهما بين حركتين، بحيث ينحوان نحو الإختفاء، بالإضافة إلى ذلك فقد اجتمعت في هذه البنى، وما كان على غرارها مقاطع مفتوحة متوالية يكره العـرب النطـق بها"(٢)

ويرى أن في مثل هذه البنى إعلالا بالحذف، وليس كما ورد عند القدماء من أنها إعلال بالقلب. يقول:" وعلى هذا فإن ما قيل عن قلب الواو أو الياء إلى ألف لا يؤيده التحليل الصوتي، ولعل طريقة الكتابة هي المسئولة عن الخلط في عملية الوصف والتقعيد " (٣).

إن ما جاء به محمد جواد النوري يتفق والعلة الصوتية من حذف نصف الحركة وتَشَكُّل الفتحة الطويلة من الفتحتين القصيرتين السابقة واللاحقة لنصف الحركة، غير أننا نخالفـه فـي تحميل الكتابة العربية مسؤولية الخلط في التوصيف والتقعيد، لأن الكتابة هنا ليس لهـا أي دور في تغيير البنية، فالقدماء ذهبوا إلى أن هذه البنى من قبيل الإعلال بالقلب، وهذا الخلط والخطـأ ربما يعود السبب فيه إلى عدم الاهتمام بالحركات القصيرة من جهة، وعدم اعتبارهم الألف فتحة طويلة من جهة أخرى، بل هي عندهم أخت الواو والياء، في حزمة صوتية واحدة، فهـي فـي نظرهم حلت محل الواو والياء، في حزمة صوتية واحدة، فهي في نظرهم حلت محـل الـواو والياء في بنية الكلمة فقالوا: قلب الواو أو الياء إلى ألف.

إن ما ذهب إليه المحدثون يتفق إذا كانت حركة العين فتحة، أما إذا كانت غيـر فتحـة، فمثل هذه الحالة تحتاج إلى تماثل الحركات قبل عملية الحذف. فمثلا (طال وهاب) حركة العين ضمة قصيرة في الأولى وكسرة قصيرة في الأخيرة. والكتابة الصوتية توضح ذلك:

---

(١) النوري، محمد جواد، دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية ص٢٤.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسهأ.

طَوُلَ ta| wu| la

هَيبَ ha| yi| ba

فعند إسقاط نصف الحركة يتشكل عندنا مقطع من حركة قصيرة، وهذه الحركة مباينة للحركة السابقة، ففي مثل هذه الحالة يجب أن نماثل بين الحركة السابقة لنصف الحركة، والحركة اللاحقة لها. ثم يتم إسقاط نصف الحركة لوقوعها بين حركتين متماثلتين، لتتكون عندنا الفتحة الطويلة على النحو الآتي:

طَوُلَ ـــــ طَوَل tawala ـــــــــ طال taa| la

هَيبَ ـــــ هَيَبَ hayaba ـــــــــ هاب haa| ba

ويمكن لنا أن نحذف المقطع برمته المكون من نصف الحركة والحركة التي من جنسها، ونعوض بدلا من هذا المقطع، بإطالة الحركة السابقة، على النحو الآتي:

طَوُل ta|wu|la ـــــــــ طَ×لَ la +ـــــ ta ـــــ طال taala

هَيبَ ha|yi|ba ـــــــــ هَ×بَ ba+ـــــ ha ـــــ هاب haaba

ويترتب على مثل هذه التعليلات الصوتية أن نعيد النظر في الميزان الصرفي لأن الألف هنا ليست من جذر البنية، وقد حذفت عين الكلمة، فلهذا نرى أن يكون وزن الأجوف (فال) وليس فعل. ووزن الناقص (فعا).

٢- الإعلال بالحذف

يكمن تقسيم هذا النوع من الإعلال إلى ثلاثة اقسام:

أ. حذف الهمزة.

ب. حذف نصف الحركة.

ج. تقصير الحركة الطويلة.

أ. حذف الهمزة:

لقد تناولت كتب الصرف كما ذكرنا سابقا صوت الهمزة وتغيراته في حزمة واحدة مع الواو والياء والألف، ودرج حديثا تناوله على تلك الشاكلة، مع الإيمان بأنه لا علاقة صوتية بين الهمزة والأصوات السابقة الذكر. غير أن التبادل الفونيمي الواقع بين الهمزة وأصوات العلة هو الذي جعل العلماء المحدثين يتناولونها مع هذه الأصوات. وما يهمنا هنا هو الحذف القياسي لهذا الصامت الحنجري.

يقول عبد الصبور شاهين:" ومن مواضع الحذف القياسي سقوط همزة أفعل في صيغة المضارع مثل أكرم يُكرم، مع ملاحظة أن هذا الحذف جار هنا على صوت صامت هو الهمزة، ويبدو أن الحذف في هذه الصيغة (أفعل) مقتصر على كون الزيادة في أولها في صورة الهمزة " (١)

أما محمد جواد النوري فقد عزا هذا الحذف إلى الثقل، وقانون التردد النسبي. يقول:" استثقل الناطق الهمزة الواقعة في بداية مقطع متوسط مغلق (ص ح ص)، والهمزة في هذه الأمثلة زائدة، فضلا عن كونها حرفا مستثقلا، وبالإضافة إلى ذلك فإن مثل هذه البنى والصيغ يكثر ورودها في الكلام، الأمر الذي أدى إلى سقوطها من البنية وفقا لقانون التردد النسبي....

أكرم ʔak| ram ـــــ يؤكرم yu| ʔak| rim ـــــ يكرم yuk| rim

أكرم ʔak| ram ــ يؤكرم yu| ʔak| rim ــ مُؤكرم mu| ʔak| rim ــ مُكْرِم muk| rim

وقد ترتب على ذلك إعادة تشكيل النسيج المقطعي للبنى المختلفة، إذ أصبح المقطع الأول وهو مقطع قصير مقطعاً متوسطاً مغلقاً، اختتم بالكاف التي كانت خاتمة المقطع المتوسط المغلق الذي ألغي من البنية بعد سقوط الهمزة المفتوحة ' (٢).

من الملاحظ من خلال البنى السابقة أن المحذوف هو الصامت الحنجري+ الفتحة القصيرة، وقد حذفت الفتحة لأن المقطع العربي لا يبدأ بحركة فحذفت مع الصامت السابق عليها. ويبد أن سبب الحذف يعود إلى الثقل النطقي الناتج عن الانتقال من الحركة القصيرة (الضمة) إلى مخرج الهمزة، ثم إلى الفتحة القصيرة وفي هذا جهد وصعوبة انتقالية، فعمد الناطق إلى إسقاط الهمزة وبإسقاطها يتكون مقطع لا تجيزه العربية فأسقط معها حركتها.

غير أن عبد القادر عبد الجليل يرى أن " صوت الهمزة في الفعل الماضي أكرم يتطلبه متن اللغة كواسطة للنطق بهذا الصائت القصير (الفتحة) والهمزة في حقيقتها، هذا الصائت، القصير، ويمكننا أن نستدل عليه من صوغ المضارع (يكرم) حيث اختفى صوت الهمزة لوجود صامت محله في الابتداء، ولذا أصبح غير ضروري، ولا مبرر لوجوده، ولو ظهر لسبب ثقلا ومشقة في التحقيق وتغييرا في البنية " (٣).

إن عبد القادر تعامل مع البنية السطحية للكلمة، دون اللجوء إلى البنية العميقة، وذهب إلى أن صوت الهمزة جاء وسيلة لنطق الفتحة القصيرة، وهذا الكلام فيه نظر، لأن زيادة الهمزة

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢٠١.

(٢) النوري، محمد جواد، دراسة لموضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٧-٢٨.

(٣) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص٤٢٦.

على البنية وظيفية، وليست وسيلة نطق، فلو كانت كذلك لما ذهبت الهمزة والفتحة عند تحويل البينة إلى المضارع، ولبقيت الفتحة القصيرة عند وجود مورفيم المضارعة.

ويؤكد داوود عبده على أن المضارع من أفعل يؤفعل لا يفعل. يقول:" والأصل المقدر يؤفعل له ما يبرره: أولا أن الأصل في المضارع أن تكون صيغته مجرداً من حرف المضارعة، وهي صيغة الماضي عينها بعد تحويل الفتحة التي تلي عين الفعل كسرة. فاعَل: يُـ+ فاعِل... ويبرره ثانيا أن العلة التي تلي الصوت الأول في السابقة (حركة حرف المضارعة) هي الضمة. ولو لم يكن أصل يفعل يؤفعل لوجب أن تكون هذه العلة فتحة، كما في يجلس مثلا " (١).

إن هذا الرأي فيه دقة، لأن حركة السابقة لها علاقة صوتية بما يجاورها من الأصوات. وربما تقوم بوظيفة تمييزية.

ب. حذف نصف الحركة:

تحذف الواو نصف الحركة في المثال الواوي، ويفسر محمد جواد النوري هذا الحذف بقوله:

"وقعت الواو ساكنة في نهاية مقطع متوسط (ص ح ص)

وَعَد wa| ca| da ← يَوْعد yaw| cid ← يَعد ya| cid

وعد wa| ca| da ← يَوْعد yaw| cid ← وْعد wcid ← عِدْ cid

وعد wa| ca| da ← يَوْعِد yaw| cid ← وْعد wcid ← عدة cidah

ومن المعلوم أن الواو ومثلها الياء، صامت ضعيف، وقد زاد ضعفه وقوعه في نهاية مقطع ساكنا، مما أدى إلى حذفه من صيغة المضارع، في المثال الأول، وترتب على ذلك تحويل المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) إلى مقطع قصير (ص ح). أما في المثال الثاني فقد وقعت الواو على غرار المثال السابق ساكنة في نهاية مقطع وعند صياغة الأمر من المضارع، يحذف مورفيم المضارعة، مما يؤدي إلى إلتقاء ساكنيين أولهما الواو الساكنة، وثانيهما العين، فيما يسمى بالعناقيد الفونيمية في بداية الكلمة، وقد ترتب على ذلك تكوين مقطع من نوع (ص ص ح ص) وهو مقطع لا تسمح به العربية، فعمد الناطق من أجل البنية المقطعية إلى حذف الصامت الضعيف الساكن وهو الواو من البنية، وتكوين مقطع مسموح به، وكثير

(١) عبده، داوود، دراسات في علم أصوات العربية، ص٦٠-٦١.

الاستعمال وهو المقطع (ص ح ص)، وقد سلكت صيغة المصدر الخطوات السابقة باستثناء إلحاق التاء في نهايتها للدلالة على المصدرية " [١].

ويضيف الباحث إلى ما سبق في المثال الأول أن المقطع الأول في البنية وهو (yaw) يتسم بملمح حركي فهو مكون من نصف حركة + حركة + نصف حركة. ونطق مثل هذا المقطع يتطلب مشقة، فعمد الناطق إلى تسهيل هذا المقطع بالتخلص من نهايته، لأن النهاية تكون عرضة للتغيير والحذف، بالإضافة إلى أن هذا المقطع يحوي على نصفي حركة، وحركة متباينات فعمل الناطق على التخلص من الواو وأبقى الياء والفتحة لما بينهما من قرب.

ويرى الباحث أيضا أن في بنية الأمر وصيغة المصدر لا داعي للرجوع إلى البنية العميقة، فيتم التعامل مع البنية السطحية وهي(يعد) والأمر منه يكون بحذف مورفيم المضارعة على القياس.

غير أن بكوش يرى أن علة الحذف وظيفية تمييزية وليست صوتية يقول: " تنزع الواو في المثال الواوي إلى السقوط في المضارع، بينما تنزع الياء في المثال اليائي إلى الثبوت في المضارع، فمن الناحية الصوتية الحركة المزدوجة. / ـتيْ / ليست أخف من / ـتوْ / بل إنها قد تكون أثقل. السر إذن ليس في خصائص الياء والواو الصوتية، وإنما هو في وظيفتهما المعنوية، فثبوت الياء ذو قيمة تميزية، يمكن من تمييز المثال اليائي من المثال الواوي، ولكن قد نتساءل: لماذا لم يقع هذا التمييز بإثبات الواو وإسقاط الياء، ولاسيما أن الياء أقل بكثير؟ الجواب في هذا التفاوت الكمي بالذات، فالمثال الواوي أكثر عددا وتصرفا من المثال اليائي، لذلك وقع الحذف للتخفيف في كل الحالات العادية، ولم يقع الاحتفاظ بالصيغة الأصلية –رغم ثقلها– إلا لغاية التمييز، فمن الطبيعي أن يقع ذلك الاحتفاظ في ما هو قليل الاستعمال قليل التواتر" [٢].

غير أننا نجد أن ثبوت الياء في المثال اليائي ناجم عن تناسق نصف الحركة الياء مع الفتحة القصيرة، والياء أقرب إلى الفتحة من الواو، والنطق بهما مجتمعتين لا يمثل صعوبة، أما المثال الواوي فيتطلب النطق به انتقالاً صعباً واستدارة في الشفتين فأسقط الناطق نصف الحركة الواو لعلة صوتية وليس لعلة تمييزية كما ذهب بكوش.

ونجد عند الشايب رأيا مخالفا تماما لما ذهب إليه المحدثون حيث يرى أن الحذف كان من الأمر، ثم قيس المضارع عليه. يقول: " وفي الحقيقة أننا لا نجد مسوغا صوتيا لسقوط الواو من مثل يَوْعد، أي من المضارع، ولكننا إذا ما تركنا المضارع جانبا وتأملنا الأمر منه، فإننا

---

(١) النوري، محمد جواد، دراسة صوتية لموضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٨.

(٢) بكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص١٣٨.

حينئذ سنضع أيدينا على السبب الحقيقي لسقوط الواو، ففي الأمر من المثال مطلقا تتخلق سياقات صوتية مرفوضة عربيا البتة. في صيغة الأمر وحدها نجد المسوغ الصوتي الحقيقي لسقوط الواو، وهذا يعني أن الواو من وجهة نظرنا إنما تسقط أولا من فعل الأمر، ثم يأتي القياس فيعم هذا الحكم على المضارع والمصدر " (١).

ثم بين ما جرى في صيغة الأمر من المثال الواوي لحذف الواو يقول: " ونحن إذا ما قمنا بتجريد يَوْعد yaw| cid من حرف المضارعة وتسكين آخره. فإننا سنحصل في النهاية على (وْعد) wcid ، وبتوليد الأمر من المضارع ينشأ كما هو ظاهر محذور لغوي، أي سياق صوتي مرفوض عربيا وساميا، ألا وهو التقاء صامتين في بداية مقطع وهذا لا يجوز ولا يكون بحال " (٢).

وللتخلص من هذا المحذور اعتمد الشايب على ما قاله بروكلمان حيث يقول الأخير: " لا يمكن بحسب قوانين المقاطع في اللغات السامية أن يلتقي صوتان صامتان في أول الكلمة، فلذلك فإنه إذا وجد مثل هذين الصوتين في صيغة ما نشأت حركة جديدة قبل الصوت الأول ونادراً بعده وكونت معه مقطعاً مستقلاً وهذه الحركة المساعدة في العربية هي الكسرة " (٣).

وبعد استناده على الرأي السابق يقول الشايب:" وبإلحاق الكسرة المساعدة تصبح الصيغة (وعِد) iw| cid ولكن إضافة الكسرة لا تحل المشكلة لأن المقطع في العربية والساميات لا يبدأ بحركة وتخلصا من هذا الإشكال الصوتي تعمد العربية وبشكل تلقائي إلى تخقيق الحركة، وبتحقيقها تتخلق همزة الوصل، وبتحقيق الحركة وتخلق همزة الوصل تصبح الصيغة أوْعد ɔwi| cid وهنا فقط نضع أيدينا على السبب الحقيقي لسقوط الواو من المثال وذلك أنه بتخلّق همزة الوصل تشكل سياق صوتي مرفوض أيضا ألا وهو المزدوج الهابط: أو (ɔiw) في المقطع الأول " (٤).

وبعد الخطوات الإجرائية للبنية السابقة يعلل الشايب سبب هذا القلب بقوله: " وللتخلص من هذه السياقات الصوتية المرفوضة تقوم العربية وبشكل آلي بالمخالفة بين عنصري المزدوج وهو هنا (iw) عن طريق حذف الصامت ومد الحركة، وبذلك ينتقل الفعل من أوعد ɔiw|cid إلى ɔii|cid أي من أفعل إلى ايعل، وبسقوط الواو التي كانت السبب الحقيقي لتخلق همزة الوصل

---

(١) الشايب، فوزي (١٩٨٩)، تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، حوليات كلية الآداب، الحولية العاشرة، جامعة الكويت، ص٣٠.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٧٣.

(٤) الشايب، فوزي، تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ص٣١-٣٢.

يسقط المقطع الأول الذي يتشكل من همزة الوصل وكسرتها الطويلة – ɔii ... فتسقط همزة الوصل مع حركتها، ومن ثم تصبح الصيغة عِدْ (cid) وبهذا يكون الأمر من وَعَد قد مر بالمراحل التالية:

وعد wcid ← وعْد iw| cid ← اوْعد ɔiw| cid ← ايعد ɔii| cid ← عد cid " [1].

إن المتأمل في رأي الشايب يرى أنه يحتاج إلى إعادة نظر، لأن الأصل أن يقاس الأمر على المضارع وليس العكس، لأن المضارع أصل والأمر فرع.

وبالإضافة إلى ذلك فقد جعل الصيغة تمر بأكثر من بنية عميقة حتى وصلت إلى البنية السطحية التي آلت إليها في نظره. علاوة على أن الصيغ تُعل لعلة خاصة بها ليس حملا أو قياسا. فكثير من قواعد القدماء تقوم على الحمل والقياس مما أوقعهم في الخطأ، لأنهم نفوا خصوصية الصيغة، وها هو ذا الشايب يتبع المنهج نفسه، مع العلم أن الحمل والقياس في القواعد اللغوية يحتاجان إلى رأي جريء يتبنى نفيهما من الدراسات الصوتية على الأقل.

إن الرأي الذي تبناه الشايب يمر بمراحل طويلة وعدة، وعمليات ذهنية افتراضية تعقد البنية وتجعلها عصية علي فهم المتعلم للغة، غير أننا نرى أن الحذف من الأمر والمضارع لعلة صوتية تكمن في أن البنية العميقة لفعل الأمر اوعد ɔiw| cid، يحوي مقطعها الأول على أصوات متباينة في الصفات، فهو يتكون من همزة نبرية+حركة أمامية+نصف حركة شبه خلفية ضعيفة، فاشتمل هذا المقطع على متناقضات، فأراد الناطق أن يتخلص من هذا المقطع، فأسقطه، وبسقوطه لم تتأثر البنية دلاليا، وبقي المقطع الأخير الدال على فعل الأمر وهو عِد cid.

أما يوعد yaw| cid فقد سقطت الواو لأن الناطق أراد أن يقلل من التناغم الحركي – كما ذكرت سابقا– الموجود في المقطع الأول، فهو يتكون من نصف حركة + حركة قصيرة + نصف حركة، فلا يستطيع أن يحذف إلا نصف الحركة وهي الواو، لأنه بحذف غيرها لا يستقيم المقطع العربي، وهي من أضعف الأصوات المكونة للمقطع، وذلك لسكونها، ووقوعها في نهاية المقطع. فسهل سقوطها.

ويظهر عبد القادر عبد الجليل برأي مغاير لسابقيه حيث يقول:" والفعل (وَصَف) يجري تصريفه: وصف– أصف– يصف– تصف– نصف. وأصولها في المضارع أوصف – يوْصف– توْصف – نَوْصف... وهذا الحذف لا ينهض على تعليل صرفي عدا أن عين المضارع مكسورة ويجري البناء المقطعي على وفق التالي:

يَوْصف = س ع س + س ع + س ع.

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٣.

وهنا نلاحظ أن المقطع الأول المتوسط جاء مغلقاً وهو نتيجة اتحاد العنصر الصوتي (y) بالحركة المركبة (aw) مما سبب اضطرابا في عملية الانسجام الصوتي وهنا يأتي دور المخالفة الكمية Quantuty - dissimilation، لتخفض من كمية المقطع الصوتي الأول وذلك بحذف الحركة المركبة (aw):

س ع + س ع + س ع " [١].

لكننا نختلف مع عبد القادر لأن الكتابة الصوتية تبطل ما ذهب إليه وهي كالآتي: يَوْصف yaw| si| fu حيث نجد أن المحذوف جزء من الحركة المزدوجة، وليس الحركة برمتها هكذا يصف ya| si| fu .

ج-حذف الحركة (تقصير الحركة)

يقع هذا الحذف أو قل إن شئت التقصير في الأفعال الماضية الجوفاء عند إسنادها إلى ضمائر الرفع، وفي حالة الأمر منها، ويقع كذلك في الفعل المضارع المعتل العين، والمعتل اللام في حالة الجزم.

يقول الشايب في حديثه عن إسناد الأجوف إلى الضمائر الصامتة المتحركة: " وبإلحاق الضمائر الصامتة تتشكل سياقات صوتية مرفوضة، عبارة عن مقاطع مديدة مفردة الإغلاق ومثل هذه المقاطع مرفوضة (ص ح ح ص) ومثل هذه المقاطع مرفوضة على هذه الصورة، وبتقصير الحركة تصبح الأفعال قلت وبعت وطلت وخفت وهبت، وهنا تعمد العربية إلى التمييز بينها، فما كانت عينه ياء أو محركة بالكسر تكسر فاؤه، لأن الكسر والياء متجانسان، وتضم فاء ما عدا ذلك من الأفعال، ومن ثم تصبح الأفعال في النهاية، قُلْت وَطُلْت وبِعْتُ وخِفتُ وهِبتُ " [٢]

لقد عمد الشايب إلى تقصير الحركة أولاً، ثم قلب ما تبقى منا بما يتناسب مع حركة العين أو أصل العين ياء أو واو. بمعنى أن الجزء المتبقي من الحركة الطويلة قلب لوظيفة تمييزية، ولم يحذف حرف العلة كما ذهب القدماء. ويقول عبد القادر عبد الجليل في قمت وما ماثلها:" قمت: يجري بناؤها المقطعي الذي يفرض عليها هذه الحالة التركيبية على وفق التالي: س ع س + س ع وهذا هو واقع اللفظة الذي تجري عليه العربية. وأصل تحولاته:

قامَ > قامْ + تُ س ع ع س+ س ع .

---

(١) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص٤١٥.

(٢) الشايب، فوزي، تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ص٥٩ .

وبما أن المقطع (*) غير مرغوب في العربية، حيث لا يكون ابتداء إلا آخرا، وعندما يوقف عليه، لذا كان لا بد من تقصيره عن طريق عامل المخالفة؛ الكمية لذا جاء البناء على هذه الصورة " (١)

وقد ذهب محمد جواد النوري إلى مثل هذا، ولكنه لم يتحدث عن قلب الجزء المتبقي من الحركة الطويلة. يقول: " ففي هذه الحالة يعمد الناطق إلى تقصير الحركة الطويلة في المقطع الطويل المغلق ص ح ح ص _ quum و siir و وتحويله إلى مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) sir| qam في النطق والكتابة " (٢)

أما في حالة الأمر من هذه الأفعال يقول عبد الصبور شاهين:" وفعل الأمر لا يؤخذ إلا من المضارع بإجراءين:

١. حذف حرف المضارعة.

٢. إسكان الأمر.

فهو إذن من يقول: قول quul، ومن يبيع: بيع biic ولكن ما الذي جعل الأمر من هذين الفعلين وأشباهما: قُلْ qul وبع bic ؟

هنا نتذكر ما سبق أن قلنا بشأن سلوك المقطع المديد المكون من (ص+ح+ح+ ص) إنه مقطع مقبول في اللغة في حالة الوقف فقط، وبشرط أن ينقسم في حالة الوصل إلى مقطعين، طويل وقصير، وقد كان من الممكن أن ينقسم في حالة الوصل إلى مقطعين: طويل وقصير، وقد كان من الممكن قياسا أن يكون فعل الأمر من هذين الفعلين (قول وبيع) لولا أن الشكل المقطعي في هذه الصيغة لا ينقسم في حالة الوصل، لأنه مقفل أبداً، فالسكون فيه ليس عارضا للوقف بل هو علامة بناء للجزم، ولذلك اختصر المقطع المديد وفقاً ووصلا إلى مقطع طويل مقفل، فصارت قُلْ qul وبع bic = ص+ ح+ ص " (٣)

ويقول محمد جواد النوري في هذا:" قال ـــ يقول ـــ قول ـــ قُلْ

باع ـــ يبيع ـــ بيع ـــ بِعْ

أما أمثلة هذه الحالة فلا تشتمل كما تذكر كتب الصرف على واو أو ياء وإنما اشتملت على مقطع طويل مغلق، شغلت موقع النواة فيه ضمة طويلة في كلمة قول: quul وكسرة طويلة

(*) دالة المقطع الكبير المغلق المزدوج النواة (س ع ع س).

(١) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص ٤١٣.

(٢) النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣١٦.

(٣) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٨٥-٨٦.

في كلمة بيع biic وكل ما حدث في هذه الحالة تمثل في تقصير الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة فقط " (١)

ويقول في أمر الناقص من هذه الأفعال:

" غزا &a| zaa ← يغزو ya&| zuu ← غزو &zuu ← اغزُ &u| zu

رمى ra| maa ← يرمي yar| mii ← رمي rmii ← ارم ir| mi

فقد أدت صياغة الأمر من المضارع إلى حذف مورفيم المضارعة الياء مما أدى إلى التقاء صامتين في بداية الكلمة وتكوين المقطع (ص ص ح ح) وهو مقطع لا تسمح به العربية ولا تجيزه، فعمد الناطق من أجل تعديل البنية المقطعية إلى جلب همزة الوصل بهدف التمكن من نطق الصيغة وتلافي البدء بصامتين... بالإضافة إلى تقصير الحركة الطويلة الواردة في نهاية صيغة الأمر إلى حركة قصيرة فقط " (٢).

ويرى عبد القادر عبد الجليل أن تعليلات القدماء مجانبة للصواب وإنما يقوم الأمر على أساس البناء المقطعي (٣).

ويوضح القرالة سبب هذا الحذف بقوله:" أما حذف الحركة أو ما يسمى تقصير المد في الفعل الأجوف فإنه يأتي على النحو التالي:

يقول ya| quu| lu

يسير ya| si:| ru

ينام ya| na:| mu

ونلاحظ أن هذه الكلمات تتكون من التقسيم المقطعي التالي:

ص ح + ص ح ح + ص ح ، وبما أن علامة الجزم تتمثل بحذف حركة آخر الفعل، فإن حذفها يؤدي إلى مشكلة في المقطع العربي، فالمقطع العربي لا يتكون من صامت منفرد /ص/ وهنا لا بد من ضم ما تبقى من هذا المقطع إلى المقطع السابق فيتحول التقسيم المقطعي لهذه الكلمات إلى ص ح | ص ح ح ص) والنمط الثاني من هذا البناء المقطعي مكروه تتحاشاه العربية فتحاول التقليل منه، فيتكون البناء المقطعي عند جزم هذه الأفعال كما يلي:

لم يقل lam| ya| qal

لم يسر lam| ya| sir

لم ينم lam| ya| nam

---

(١) النوري، محمد جواد، دراسة صوتية لموضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٩.

(٣) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص٤١٤.

وفي هذا البناء يتحول المقطع المديد (ص ح ح ص) إلى مقطع طويل مغلق (ص ح ص) وذلك بالحذف الجزئي للحركة الطويلة " [١].

ويرى أيضا أن العلة من هذا الحذف تتأتى مع دافعين:" أولاهما علة المقطع وإشكالياته التي تقع في حيز عدم الجواز حينا وفي الكراهية حينا آخر... أما الدافع الثاني فيتمثل في كون الحركة المحذوفة لا تمثل قيمة فونيمية أو مورفيمية " [٢].

ويقول في المضارع المعتل الآخر المجزوم:" وعند دخول عامل الجزم فإن علامة الجزم في هذه الأفعال هي حذف الحركة، وهو هنا حذف جزئي، حيث تقصر الحركة الطويلة:

يمشي	لم يمش
يغزو	لم يغز
يسعى	لم يسعَ

ونلاحظ هنا أن الحركة الطويلة التي قصرت لا تمثل دلالة فونيمية أو مورفومية وهذا يسهل عملية الحذف الجزئي. وبقاء قسمها الآخر ضروري لإتمام المقطع، فلو حذفت الحركة حذفا كاملا لوقع مجذور في بناء الكلمة، وهو تشكل المقطع الأخير من صامت منفرد، وهذا مرفوض في بناء المقاطع العربية " [٣].

ويذهب عبد القادر عبد الجليل إلى أن إعراب لم يخش وما شاكلها" يكون فعل مضارع مجزوم بتقصير المقطع المتوسط المفتوح، وليس بحذف حرف العلة، ودليل صوابنا هو صائت الفتح الموجود على سطح الشين الذي يمثل نصف الكمية الصوتية للألف " [٤].

ونجد داوود عبده بجرأته يعطي قاعدة عامة يقول فيها: " ظاهرة (حذف حرف العلة، أو على الأصح تقصير المد الطويل بحيث يصبح مداً قصيراً ظاهرة لغوية مستقلة تتبع قانونا لغويا عاما في العربية لا يقتصر على حالة جزم الفعل الأجوف وحدها، فالمد الطويل يتحول إلى المد القصير الذي يماثله في كل حالة يتلوه فيها صوت ساكن " [٥].

غير أننا نجده لم يفرق بين الحركة الطويلة بوصفها فونيم والحركة الطويلة بوصفها مورفيم، ونجد حركات طويلة لم تقصّر ويليها صامت ساكن مثل يكتبون ومسلمون في حالة الوقف، والحركة الطويلة هنا تدل على مورفيم الجمع، فلذلك لم تقصر. ويعلل ذلك بأن السكون

---

(١) القرالة، زيد خليل، الحركات في اللغة العربية، ص١١٨.

(٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٧.

(٤) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص٤١٤.

(٥) عبده، داوود، أبحاث في اللغة العربية، ص٤٣.

فيها طارئ يقول:" إن القاعدة اللغوية التي تحوّل العلة الطويلة إلى العلة القصيرة التي تجانسها لا تنطبق على الحالات التي يكون السكون فيها طارئا على الكلمة فالعلل الطويلة في الكلمات مثل معلمون ومعلمين ومعلمان، لا تتحول إلى علة قصيرة حين تلفظ الكلمات السابقة بسكون النون لأن الأصل فيها معلمونَ ومعلمينَ معلمانِ " (١).

ولكننا نختلف مع تفسيرات المحدثين بجزم المضارع الناقص والأجوف، حيث أنهم أغفلوا البنية العميقة في المضارع الناقص، لأن آخره نصف حركة وليس كما زعموا. وهو على النحو الآتي:

يَرْمِيُ yar| mi| yu ⟵ yar| mi-u ⟵ yar| mii

يغزو ya&| zu| wu ⟵ ya&| zu-u ⟵ ya&| zuu

وبدخول عامل الجزم على الفعل الذي يؤدي إلى الوقف على لام الفعل، فيتكون نتيجة هذا الوقف مزدوج حركي هابط مرفوض، فتسقط معه شبه الحركة هكذا:

Lam| ya&| zuw ⟶ Lam| ya&| zu

Lam| yar| miy ⟶ Lam| yar| mi

فهنا حذفت شبه الحركة، والحركة الأخيرة هي حركة عين الفعل وليست تقصيرا من الحركة الطويلة.

وفي الأجوف سبب التقصير يكمن في البناء المقطعي للغة العربية، حيث يتكون في حالة الجزم مقطع صوتي تفر منه العربية ويتمثل في المعادلة الصوتية التالية:

يقوم ya| quu| mu ⟵ لم يقوم Lam| ya| quum ⟵ لم يقم Lam| ya| qum

فقد تخلص الناطق العربي من المقطع (ص ح ح ص) وتحول إلى (ص ح ص) وهو مقطع أكثر دورانا في العربية.

٣. الإعلال بالنقل

يقع هذا الإعلال في كتب الصرف في أربعة مواضع، هي:

١. المضارع المعتل العين مثل يقوم ويبيع.

٢. الاسم المشبه بالمضارع في وزنه دون زيادته مثل، مقام معاش

٣. المصدر بوزن إفعال واستفعال مثل إقوام واستقوام

٤. صيغة مفعول نحو مقول ومبيع.

---

(١) عبده، داوود، دراسات في علم الأصوات، ص٤٥.

غير أن تفسير المحدثين لهذا الإعلال يغاير تماما ما جاء عند القدماء. ففي الحالة الأولى يرى عبد الصبور شاهين أن "التصرف الصوتي جرى على النحو التالي:" المضارع بوزن يفعل من قام هو يَقْوُم yaq| wu| mu تسقط الواو نظراً لكراهية اجتماعها مع ضمة (wu) فتبقى الضمة وحدها (u) فتختل الزنة، وإيقاعها، فيعوض، موقع الواو الساقطة بطول الضمة بعدها فيقال: يقوم ya| quu| mu [١].

ويقول في يَبْيِعُ بوزن يَفْعِلُ yab| yi| cu سقطت الياء لاجتماعها مع كسرة (yi)، وهو تركيب تكرهه اللغة، فتبقى الكسرة وحدها، فيختل إيقاع الكلمة، ويعوض المحذوف بطول الحركة (ii) فيقال: يَبْيِعُ فالذي جرى ليس نقلا للحركة، بل إسقاطا للواو أو الياء " [٢].

ويجري هذا عنده في مقام ومعاش [٣].

ويعلل هذا السلوك الصوتي بـ" أن اللغة تكره أن تتابع أصوات اللين في صورة حركة ثنائية على هذا النحو الثقيل فتهرب منه إلى توحيد الحركة لتصبح فتحة أو كسرة أو ضمة طويلة هذا من الناحية الصوتية، وأما من الناحية المقطعية فإن المقطع العربي يتكون في حالة الحركة الثنائية من حركة فقط وهو مالا يتفق مع خصائص النسيج المقطعي العربي، فكان إسقاط الواو أو الياء سببا في إلحاق الحركة الطويلة المتخلفة عنه باعتبارها حركة فاء الكلمة، وجزءاً من المقطع الطويل " [٤].

ويقول محمد جواد النوري في الحالتين الأوليين تمثلهما الأمثلة الآتية:

يَقْوُم yaq| wum ← يقوم ya| quum

مَقْوَم maq| wam ← مقام ma| qaam

يقول: " إن التحليل المقطعي والصوتي الدقيق للأمثلة يُظهر لنا أن نصفي الحركة وقعتا متحركتين في بداية مقطع، ومن المعلوم أن الواو والياء صامتان ضعيفان وقريبا الشبه بالحركات ولهذا فإن المقطع المبدوء بهما يكون ضعيفا... ومن ناحية أخرى فقد جاءت نصفا الحركة متحركتين، وقد نص اللغويون العرب على استثقال النطق بهما، في حالة تحركهما، على تفاوت في ذلك الثقل بحسب نوع الحركة الملابسة لنصفي الحركة، إن كل ما حدث في هذه الأمثلة وما كان على غرارها تمثل في سقوط الواو والياء اللتين استثقلتا بالحركة الملابسة لهما

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩٨.

(٢) المرجع نفسه، ص١٩٨.

(٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المرجع نفسه، ص١٩٨.

من بداية المقطع ثم تم التعويض عنهما بإطالة الحركة القصيرة الواقعة بعدهما، وذلك من أجل المحافظة على الإيقاع وعدم الإخلال في الكمية الصوتية المكونة للبنية" (١).

أما في حالة مصدر (الإفعال والاستفعال) من الفعل الأجوف. يقول عبد الصبور شاهين:" ويظهر في تحليل الصيغتين أن:

ɔi| qaa| mat < ɔiq| aam < ɔiq| waam

وكذلك: ɔis| ti| qaa| mat < ɔis| ti| qaam < ɔis| tiq| waam

أي أن الصورة الصوتية:

waa > aa " (٢).

إن ما ذهب إليه عبد الصبور يعني أن نصف الحركة حذفت وبقيت الحركة الطويلة وبهذا الحذف يتغير النسيج المقطعي للبنية بحيث تصبح الحركة المتبقية نواة مقطع (ص ح ح ص) وقد تم إضافة اللاحقة التاء المربوطة للتمييز بين الصيغ.

ويرى محمد جواد النوري أن ما حدث في هذين المثالين يتمثل في: " وقوع الواو والياء في بداية مقطع ومتلوة بحركة طويلة، فاستثقلت الواو في النطق استثقالاً زائداً أدى إلى سقوطها وعدم التعويض عنها بإطالة الحركة التالية، نظراً لكونها في الأصل طويلة، اللهم إلا ما حدث في هذه الحالة عندما صوحب إسقاط الواو في بعض البنى بإلحاق التاء في نهايتها ولعل ذلك يعود إلى الخوف من حدوث التباس بين بنية المصدر وبنية الفعل " (٣).

وفي الحالة الأخيرة، أي صوغ اسم بوزن (مفعول) من الفعل الأجوف يقول عبد الصبور شاهين:" وفي حالة صوغ اسم بوزن مفعول من هذا الفعل الأجوف يقال مقوول ثم: مقول ومبيوع ثم: مبيع أي أن التحول تم على الصورة التالية:

uu > wuu

ii > yuu

ويدلنا النظر في صورة هذا النموذج أن الواو أو الياء سقطت دون أدنى زيادة في موضعها، كما يدلنا أن الصيغة المطلوبة من الفعل هي التي تتحكم في شكل التحليل الصوتي...

---

(١) النوري، محمد جواد، دراسة صوتية لموضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٥-٢٦.

(٢) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٩٩.

(٣) النوري، محمد جواد، دراسة صوتية لموضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٦.

وتقلب الضمة الطويلة في مبوع كسرة طويلة تحقيقا للمغايرة بين واوي الأصل ويائيه، فيقال: مبيع " [١].

وقد جاء عند محمد جواد النوري إضافة لما سبق أن هذا الإعلال غيّر النسيج المقطعي للبنية:

مقوول maq| wuul ⟵ مقول ma| quul

مبيوع mab| yuuc ⟵ مبيع ma| biic

يقول في مَقْوول:" وقعت الواو نصف الحركة في بداية مقطع ومتلوة بحركة طويلة فاستثقلت الواو استثقالاً زائداً مما أدى إلى سقوطها... أما في صيغة مبيوع وما كان على شاكلتها، فقد استتبع سقوط الياء من بداية المقطع إلى بقاء الضمة الطويلة، فكان لا مفر من استبدال الكسرة الطويلة بها للإيحاء بالصوت المحذوف من جهة، وهو الياء، وللمحافظة على الأصل اليائي للكلمة من جهة أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن التغيرات الصوتية التي صاحبت عملية التشكلات البنيوية، استتبعت عملية إعادة تشكيل النسيج المقطعي " [٢].

وقد تعرض عبد القادر عبد الجليل إلى الطعن في النظرية الصرفية القديمة. يقول: " نقل حركة حرف العلة. إن هذا الأمر لا يمت إلى الواقع الصوتي والبناء بأي صورة. إذ على رأي الصرفيين أن أصل يقول يَقْوُل وقد نقلت حركة الواو إلى القاف قبلها. ومثلها يَبْيُع وقالوا إنه أحيانا ينجم عن النقل والتسكين التقاء ساكنين نحو: مقول ومبيع أصلها (مقوول ومبيوع) وحين نقلت الحركتان التقى ساكنان فحذف أحدهما هذا تعليل غير منطقي .... إذا لا توجد من الأساس حركة على الحرف الواقع قبل الصوائت الطويلة، لأنه لا يحق لتلك الحروف أن تحرك ثلاث حركات متوالية مرة واحدة، الحركة القصيرة، والحركة الطويلة المزدوجة " [٣].

إن ما ذهب إليه القدماء على أنه إعلال بالنقل لا يتفق مع النظرية الصوتية الحديثة، فهو كما أثبتت الكتابة الصوتية، والبناء المقطعي للبنى السابقة، هو إعلال بالحذف أي حذف الواو والياء بوصفهما نصفي حركة، وإطالة حركتها بعد الحذف، أو بحذفها دون إطالة، إذا كانت نفسها أي الحركة طويلة. ولا يغيب عن بالنا النقلات الصرفية للبنى الجديدة التي تتطلب بناء جديداً، يتفق والبنية الإيقاعية للصيغة إضافة إلى البنية الدلالية، فهناك تغيرات تتطلبها الصيغة مثل قلب الضمة الطويلة إلى كسرة طويلة في (مبوع) وهذا القلب يقوم بوظيفة تمييزية.

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢٠٠.

(٢) النوري، محمد جواد، دراسة صوتية لموضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٦.

(٣) عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ٤١٤-٤١٥.

الفصل الرابع

نقد وبناء

١- نقد قواعد القدماء:

أ-نقد قواعد الإبدال:

١- إبدال نصف الحركة الى صامت:

ذهب القدماء إلى وجود علاقة صوتية بين الواو والياء من جهة، والتاء من جهة أخرى في صيغة افتعل وما اشتق منها. وهذا الكلام مجانب للصواب؛ أن الواو والياء من الناحية الصوتية تنضام في حزمة واحدة، وهي أنصاف الحركات، أو أشباه الحركات، أو أشباه الصوامت، ولها خصائص صوتيه تختلف عن الصوامت، فإبدالها من الصوامت ليس لعلة صوتية كما ذهب القدماء، وإنما للحفاظ على بنية الكلمة ووزنها الإيقاعي.

ومما يؤخذ على القدماء في هذه البنية عدم التفريق بين الصوامت وأنصافها من ناحية صوتية، بل نجد ابن يعيش يصر على وجود علاقة بين الواو والتاء. فيقول:" ..... ولما رأوا مصيرهم إلى تغييرها لتغير أحوال ما قبلها – أي الواو– قلبوها إلى تاء، لأنها حرف جلد قوي لا يتغير بتغير أحوال ما قبله، وهو قريب المخرج من الواو وفيه همس مناسب لين الواو ليوافق لفظه لفظ ما بعده، فدغم فيها، ويقع النطق بها دفعة واحد " [١].

وقد ذهب ابن جني إلى أبعد من هذا عندما قال إن مخرج الواو من الشفة وقد نص على ذلك بقوله: " وكانت التاء قريبة المخرج من الواو، لأنها من أصول الثنايا والواو من الشفة، فأبدلوها تاء " [٢]. وهذا لا يتفق مع معطيات علم الأصوات الحديث؛ لأن الواو مخرجها من الطبق ولا دور للشفتين سوى تنظيم تيار الهواء المنتج لها عن طريق استدارتهما.

وحمل القدماء إبدال الياء إلى تاء في صيغة افتعل وما اشتق منها على الواو لأنها أختها في اللين. إن قاعدة إبدال نصف الحركة الواو أو الياء إلى تاء عند القدماء لا ترتكز على علل صوتية، وإنما وجدوا هذين الصوتين غير محصنين. بحركة ما قبلهما وأرادوا أن يتخلصوا من هذا التغيير مع المحافظة على الوزن الصرفي للبنية فأبدلوا منها تاء، لإحداث تجانس بين الأصوات المتجاورة، والتخلص من طبيعة التغيير لنصفي الحركة.

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠/٣٦-٣٧.

(٢) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/١٤٧-١٤٨.

إضافة لما سبق فإن القدماء لم يراعوا البنية المقطعية للغة العربية، والطبيعة الانتقالية في صيغة (افتعل) عندما تكون فاؤها واواً، فالناطق يستثقل الانتقال من موضع الكسرة الأمامية إلى مخرج الواو شبه الحركة. فتطرقوا إلى أثر الحركة السابقة على الواو، ولم يبينوا ضعف نصف الحركة لسكونها وموقعها في نهاية مقطع، بل اعتمدوا في تعليلاتهم على تغير الواو والياء حسب الحركة السابقة عليهما.

١. **إبدال صامت من صامت آخر في صيغة افتعل.**

تتطرق القدماء إلى هذا الإبدال في موضعين:

أ. أن تبدل التاء دالاً إذا سبقت بالأصوات المجهورة التالية: (د، ذ، ز).

ب. أن تبدل التاء طاءً إذا سبقت بأحد أصوات الإطباق (ص، ض، ط، ظ).

في هذين الموضعين اعتمد القدماء على التعليلات الصوتية، وكانت تعليلاتهم تنم عن فكر نير، أضاء للمحدثين أن يشتقوا منها قوانين صوتية يبنون عليها تعليلاتهم، وذكروا التقارب بين الأصوات واختلاف أجناسها. يقول ابن يعيش:" وأما قلب التاء مع الدال والذال والزاي دالا.... وإنما وجب إبدالها دالاً ههنا لأنهم كرهوا اجتماعهما للتقارب واختلاف أجناسهما، وذلك أن الدال والذال والزاي مجهورة والتاء مهموسة فأرادوا تجانس الصوت فأبدلوا من التاء دالاً؛ لأنها من مخرجها وهي مجهورة " (١).

لقد اعتمد القدماء في تعليلاتهم هذه على العلاقات الصوتية بين الأصوات المتجاورة، ولاحظوا أن الصوت المجهور أقوى من المهموس، فأثر فيه، فحوله إلى صوت مجهور، ليسهل النطق بين الأصوات المتجاورة، وقد كان تعبيرهم (تجانس الأصوات) يدل على فهم ووعي، لأن التجانس يكون في الصفة أو في المخرج، ولم يقولوا تماثلا؛ لأن التماثل يعني – كما يرى الباحث – أن يتحول الصوت المجاور إلى صوت مثله في الصفة والمخرج. وفي إبدال التاء إلى طاء إذا سبقت بأحد حروف الإطباق تنبه القدماء إلى صعوبة الانتقال من الصوت المستعلي إلى الصوت المنخفض، وتنبهوا إلى صفات القوة التي تجعل الصوت قادراً على التأثير في غيره من الأصوات.

ب- نقد قواعد الإعلال.

لا يوجد فرع لغوي تكالبت فيه عقول اللغويين، مثل الإعلال، فقد صنعوا قواعده في أحيان كثيرة على رؤى وهمية، وخلطوا بين أنواعه. وكانت تعليلاتهم له تجانب الصواب في

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٥٠/١٠.

مواضع كثيرة. وخلطوا بين الحركات وأنصافها، بل لم يميزوا بينهما. وسنتناول في هذا الجزء من البحث أقسام الإعلال عندهم وبيان مواطن الخطأ فيها.

١. نقد قواعد الإعلال بالقلب

أ- قلب الواو والياء إلى ألف.

يرى القدماء أن ألف (قال وباع) نتجت عن واو في الأولى وياء في الأخيرة، دون النظر إلى الفتحة السابقة والفتحة اللاحقة للواو والياء، وفي قاعدتهم أن البنية أصبحت تتكون من ثلاث حركات متتابعة الأولى قصيرة والثانية طويلة والأخيرة قصيرة هكذا qa-aa-ala، وهذا مالا تجيزه العربية، ويعود السبب في هذا، إلى أنهم لم يعتدوا بالحركات القصيرة ولم يتعاملوا معها كفونيم مستقل، بل تعاملوا مع الصامت والحركة كوحدة واحدة.

ب- قلب الواو والياء إلى همزة.

يؤخذ على القدماء في قواعد هذا القلب وصفهم للألف بأنها ساكنة، ومن المعروف أن الألف (فتحة طويلة) حركة، والحركة لا تسكن ولا تحرك. يقول سيبويه: "فإن كان الساكن الذي قبل الواو ألفاً هُمِزت " [١]. ويذهب ابن عصفور إلى أن الألف حاجز غير حصين يقول: " فتحركت الواو والياء وقبلها فتحة، وليس بينهما وبينها حاجز إلا الألف وهي حاجز غير حصين لسكونها وزيادتها "[٢].

وقد ناقش هذا الرأي جعفر عبابنة حيث يقول: " وفي كلام القدماء هذا جملة من الأغاليط، كالحديث عن الحاجز غير الحصين، والفتحة التي تسبق هذا الحاجز. وإنني أعجب كيف تكون الألف هنا حاجزاً ضعيفاً فلا تمنع قلب الواو والياء ألفا، ثم تكوّن حاجزاً قوياً في قاوم وبايع فتمنع انقلابها ألفاً " [٣]. وفي قائم وبائع نجد آراء متفرقة ومتضاربة نكتفي بذكر رأي ابن جني للتمثيل خوفا من التكرار حيث يقول: " وإنما وجب همز عين اسم الفاعل إذا كان على وزن فاعل نحو: قائم وبائع؛ لأن العين كانت قد اعتلت فانقلبت في قام وباع ألفا، فلما جئت إلى اسم الفاعل وهو على (فاعل) صارت قبل عينه ألف فاعل، والعين قد كانت انقلبت ألفا في الماضي، فالتقت في اسم الفاعل ألفان، وهذه صورتهما " قاأم " فلم يجز حذف أحدهما، فنعود إلى لفظ قام، فحركت الثانية التي هي عين، كما حركت راء ضارب، لأن الألف إذا حركت صارت همزة " [٤].

---

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٣٨٥/٤.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٣٢٦/١.

(٣) عبابنة، جعفر، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، ص٧٩.

(٤) ابن جني، المنصف، ص ٢٤٤.

وأهم نقد يوجه إلى هذا الرأي هو تحرك الألف فقلبت همزة، فكيف تُحرك الحركة؟ وكيف تجتمع حركتان طويلتان، وهما الفتحتان الطويلتان الأولى المنقلبة عن الياء أو الواو في الماضي والثانية ألف فاعل؟

لقد ناقش جعفر عبابنة رأي النظرية الصرفية القديمة وقال إنه لا يجوز " إيقاع بنية اسم الفاعل على بنية الماضي المعل مباشرة، ثم تحويل الألف الثانية همزة أو حذفها، فكأننا قد فككنا بنية الفعل فكاً وركبنا عليها بنية أخرى هي بنية اسم الفاعل. والواقع أن اسم الفاعل لا يشتق بهذه الطريقة فكل من الفعل واسم الفاعل بنية مستقلة... وأرى أن الواو والياء في البنية الأساسية لاسم الفاعل قد قلبتا همزة مباشرة، لما بين الواو والياء والهمزة من تداخلات فونيمية كثيرة " (١).

ونتفق مع هذا الرأي لسببين:

الأول: أننا لو قمنا بحذف الألف الثانية لأدى ذلك إلى حذف أصل من أصول الكلمة، لأنه في نظرهم منقلب عن الواو أو الياء، وهما أصلان فيختل الميزان الدال على الصيغة.

الثاني: أن الألف لا تحرك، فمن السهل أن نقول قلبت الواو والياء همزة، والكسرة المجتلبة للألف ليست كما توهموا لالتقاء الساكنين، وإنما هي مطلب لصيغة اسم الفاعل.

ونلمس التناقض في أقوال القدماء عندما ينعتون الألف والواو والياء بأنها حروف ميتة يقول سيبويه: " وسألته عن واو عجوز وألف رسالة وياء صحيفة لأي شيء همزن في الجمع، ولم يكن بمنزلة معاون ومعايش إذا قلت صحائف ورسائل وعجائز؟ فقال: لأني إذا جمعت معاون ونحوها فإنما أجمع ما أصله الحركة... وهذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك وكانت ميتة لا تدخلها الحركة على حال... فهذه الأحرف الميتة أجدر أن تغير إذا همزت ما أصله حركة " (٢).

إن الفرق الرئيس بين واو عجوز وألف رسالة وياء صحيفة من جهة وواو معاون وياء معايش من جهة أخرى أن الأصوات الأولى حركات والأخيرة أنصاف حركات، تحمل الحركة لأنها تقوم من ناحية وظيفية بدور الصامت، والحركة لا يمكن أن تحمل حركة مماثلة.

وقد نوافقهم الرأي في وصفهم للألف بأنها ميتة ولكن الواو والياء عندما يدخلان تحت تغييرات الصيغة يصبحان نصفي حركة على هذا النحو:

---

(١) عبابنة، جعفر، التقاء الساكنين الحقيقة والوهم، ص٧٧.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٣٥٦/٤.

عجوز ⟵ عجا وز

صحيفة ⟵ صحايف

إن السبب في عدم همز معاون ومعايش أن الواو والياء أصليتان في بنية الكلمة. وليس الحركة أو عدمها.

ويؤخذ على القدماء كما قال جعفر عبابنة: " والخطأ الذي وقع فيه أصحاب هذا المذهب هو أنهم أوقعوا بنية الجمع على بنية المفرد مباشرة وهذا لا يجوز؛ لأن هذا التغير ليس تغيرا في ذات الفرد ... بل هو نوع من النقلات الصرفية تتحول فيه صيغة مستقلة بكاملها إلى صيغة مستقلة أخرى لإفادة معنى جديد " (١).

ج- قلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء.

خلط القدماء في هذا النوع من الإعلال، حيث إنهم لم يفرقوا بين الحركات وأنصافها. ففي حال التقاء همزتين الأولى متحركة بالضم أو بالفتح أو بالكسر والثاني ساكنة. يرى القدماء أن الهمزة الثانية تقلب إلى واو في حالة الضم وألف في حالة الفتح وياء في حالة الكسر. وتوهموا وجود فتحة قبل الألف وضمة قبل الواو وكسرة قبل الياء. وهذا كلام مغلوط، لأنهم لم يعتدوا بالحركة القصيرة السابقة على الهمزة الساكنة. وكل ما حدث في مثل هذه البنى أن تؤثر الحركة القصيرة في الهمزة فتقلبها حركة قصيرة من جنسها تكوّن مع سابقتها حركة طويلة. مثل:

أ أ تي ʔu ʔ| ti| ya ⟵ ʔuu| ti| ya أوتي

أ أ دم ʔa ʔ| da| ma ⟵ ʔaa| da| ma آدم

إ ئمان ʔi ʔ| maan ⟵ ʔii| maan إيمان

وفي حالة التقاء همزتين متحركتين فإن الهمزة الثانية تقلب إلى نصف حركة، ياء في حالة فتح الأولى وكسر الثانية، و واو في حالة كونهما مفتوحتين، أو الأولى مضمومة والثانية مفتوحة على النحو الآتي:

أءادم ʔa| ʔaa| dim ⟵ ʔa| waa| dim أوادم

أئمة ʔa| ʔim| mat ⟵ ʔa| yim| mat أيمة

أأيدم ʔu| ʔay| dim ⟵ ʔu|way| dim أويدم

(١) عبابنة، جعفر، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، ص٧٨.

لقد أصاب علماؤنا القدامى في تعليلاتهم لهذا القلب، وهو التخلص من الثقل الناجم عن التقاء الهمزتين، ولكن وقعوا في الخطأ السابق، لأنهم لم يفرقوا بين صيغة المفرد وصيغة الجمع وبين صيغة المصغر والمكبر، فهذه من قبيل النقلات الصرفية التي تتطلب بنية جديدة ذات دلالة جديدة.

د- قلب الألف إلى ياء:

ذهب القدماء إلى أن الألف تقلب إلى ياء إذا وقعت بعد كسرة مثل: مصباح تصبح بعد التصغير- مُصيبيح وبعد الجمع مصابيح. يقول الأنباري: " فإن قيل: (فلم قالوا في جمع مفتاح مفاتيح ... قيل إنما قلبوا الألف لسكونها وانكسار ما قبلها " [١].

ومما يؤخذ على أقوالهم أن الألف هنا لم تسبق بكسرة، بل هي التي تحولت إلى كسرة طويلة، والنسيج المقطعي إذا بُني على المكبر لا يتفق مع القوانين المقطعية للغة العربية، لذلك بنى القدماء المصغر على المكبر مباشرة دون النظر إلى المحاذير المقطعية الناجمة عن هذا البناء. والدليل على ذلك تصغير (كتاب) فالألف هنا فتحة طويلة وعند تصغيرها تصبح كتيب فالألف هنا قلبت إلى نصف حركة للتناسب مع مورفيم التصغير وكسرة قصيرة للمناسبة أيضا. وهي من قبيل النقلات الصرفية التي تتطلب تعبيرا للبنية.

هـ- قلب الواو ياء:

ذهب القدماء إلى أن الواو تقلب إلى ياء إذا وقعت إثر كسرة، في الاسم والجمع والمصدر، وخلطوا بين المفرد والجمع والمصدر، لأن لكل بنية خصوصية، وقد تتطلب الصيغة تغييراً يتناسب معها. وهذا لم يتناوله القدماء، وإنما ذهبوا إلى أن سبب هذا الإعلال يعود إلى الحمل على المفرد. والمصدر اعتل حملا على الفعل. يقول ابن عصفور: " وإذا كان على فِعَل بكسر الفاء وفتح العين جمعا لما قُلِبَت فيه الواو والياء ألفا، فإن الواو تنقلب فيه ياء لانكسار ما قبلها، مع أنهم أرادوا أن تعتل في الجمع كما اعتلت في المفرد، وذلك نحو: قامة وقِيَم، وديمة وديَم، والأصل قِوَم وديَم، لأنها من قام يقوم ودام يدوم " [٢].

وما ينطبق على الجمع في نظريتهم، ينطبق على المصدر إذا كان لفعل معتل، وجمع المفرد الذي عينه واو. مثل قام ← قيام. وسوط ← سياط إن ما حدث في مثل هذه البنى

---

(١) الأنباري، عبد الرحمن بن محمود. (١٩٩٧) أسرار العربية، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ص١٨٣.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٤٧١/٢.

ليس حملاً أو قياساً على المفرد كما زعم القدماء، وإنما هو مطلب صيغي، لأنها نقلات صرفية، ويوجد في عدم تغييرها صعوبة نطقية. تتمثل في العملية الانتقالية من موضع الكسرة إلى مخرج نصف الحركة الواو. وهنا قلبت نصف الحركة الواو إلى نصف حركة وهي الياء لتناسب الكسرة السابقة عليها.

وفي (ميزان وميعاد) خلط القدماء بين الواو والياء بوصفهما نصفي حركة، والواو والياء بوصفهما حركتين طويلتين، وفي هذه البنى إعلال يتمثل بقلب نصف الحركة إلى كسرة قصيرة كوّنت مع الكسرة السابقة عليها كسرة طويلة. ولأن النظرية الصرفية القديمة لم تعتد بالكسرة السابقة على نصف الحركة لأنها خاصة بالصوت السابق، لذلك قالوا: قُلِبَت الواو إلى ياء.

أما في (عصيّ ومرضيّ) فقد ذهب القدماء إلى أن سبب القلب يعود إلى الثقل، وهذا تفسير مقبول، ولكنهم أجهدوا أنفسهم في بناء مثل هذه القاعدة لأنها بحاجة إلى أكثر من عملية ذهنية حتى تستقيم ونظريتهم. ومن الأغاليط في تعليلاتهم لها عدم الاعتداد بالواو وهي حركة طويلة، بل اعتبروها ساكنة، والحركة كما ذكرنا أكثر من مرة لا تحرك. يقول ابن يعيش في عصيّ: " فأما عصيّ وحقيّ ودليّ فإن عقد ذلك إن كل جمع يكون على فعول ولامه واو فإن اللام تنقلب ياء، فتصير عصوي، فيجتمع الواو والياء والأول ساكن، فتقلب الواو ياء وتدغم في الياء، والعلة في ذلك ..... أن الواو فيها طريقان: أحدهما أن الواو الأولى مدة زائدة فلم يعتدُ بها، فصارت الواو التي هي لام الكلمة كأنها وليت الضمة فصارت في التقدير عصو، فقلبت الواو ياء والآخر: أنهم نزّلوا الواو الزائدة منزلة الضمة " [١]. وهذا التغيير الذي ظهر على هذه البنى من قبل النقلات الصرفية.

و. قلب الياء واواً

خلط القدماء في توصيف صوتي الواو والياء نصفي الحركة والواو والياء الحركتين الطويلتين ففي (مُيْقن) قلبت نصف الحركة ضمة قصيرة كونت مع الضمة السابقة عليها ضمة طويلة لكن القدماء كما ذكرنا لم يعتدوا بالحركة القصيرة السابقة على نصف الحركة، ولهذا تجاهلوا البنى المقطعية للغة العربية ومحاذيرها. واعتبروا أن الواو والياء في مثل هذه البنى أختان على الرغم من الفروق البينة بين الواو والياء نصفي الحركة، والواو والياء الحركتين من الناحية الفوناتيكية والفونولوجية.

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠/٢١-٢٢.

وقد تنبه القدماء إلى أن سكون الصوت يؤدي إلى ضعفه فقويت عليه الضمة يقول ابن جني: " وإنما وجب قلب الياء الساكنة واوا إذا انضم ما قبلها، لأنها لما سكنت ضعفت، فقويت الضمة قبلها على قلبها " (١).

وكذلك (طوبى) فحدث فيها ما حدث في (موقن) حيث قلبت نصف الحركة إلى ضمة قصيرة، وما ذهب إليه القدماء من قلب الياء واوا فيه خلط كبير، وذلك؛ لأنه لا يمكن أن تجتمع حركتان متتاليتان أحدهما قصيرة والأخرى طويلة. وذهبوا إلى أن سبب القلب في مثل (الشروى والتقوى) ثقل الاسم، وفي رأينا ليس هذا السبب الحقيقي، وإنما قد يكون السبب في الوظيفة التمييزية بين الصفة والاسم. وهنا كان وصفهم دقيقا حيث قلبت نصف الحركة الياء إلى نصف حركة وهي الواو.

ز. قلب الألف إلى واو

ترى النظرية الصرفية القديمة أن الألف تقلب إلى واو، إذا وقعت الألف بعد ضمة في حالتي المبني للمجهول والتصغير، والتكسير حُمِل على التصغير.

وهذه القاعدة توقع البنية في محاذير مقطعية لا تجيزها اللغة العربية، لأن هناك حركة متوهمة قبل الألف، والصيغة تتطلب قلب هذه الحركة إلى ضمة، فيجتمع ثلاث حركات، لأن الحركة الطويلة من حيث الكمية تساوي حركتين إن جاز لنا هذا التعبير، وهذا يتنافى مع القوانين المقطعية للغة العربية.

ففي المبني للمجهول من (ضارب) وما شابهها قُلِبَت الفتحة الطويلة (الألف) ضمة قصيرة كوّنت مع الضمة المجتلبة للصيغة ضمة طويلة وهي (الواو) وأسقط الجزء الثاني من الفتحة الطويلة. وقد غاب عن أذهان القدماء أن هذا التغيير، أو القلب هو مطلب صيغي لأنها نقلة صرفية تتطلب تغييراً في البنية ليتناسب مع المعنى الجديد لها.

ويؤخذ على القدماء في التصغير وجمع التكسير أنهم بنوه على المفرد مباشرة وتعاملوا معه على هيكلية المفرد دون النظر إلى الصيغة الجديدة.

٢. نقد قواعد الإعلال بالنقل

جعل القدماء الإعلال بالنقل في المضارع حملا على إعلاله في الماضي. يقول ابن جني: " فلما جاء المضارع أعلوه إتباعا للماضي لئلا يكون أحدهما صحيحا والآخر معتلاً " (٢).

---

(١) ابن جني، المنصف، ص٢٠٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٢٣.

لقد بنى القدماء قواعدهم في هذا النوع من الإعلال على وهم خاطئ، وهو أنهم قالوا بوجود حركة مجانسة قبل الواو والياء من جهة، وحملهم الإعلال في البنية على الماضي من جهة أخرى. ففي (يَقْوُل ويَبْيع) يرى القدماء بنقل حركة الواو وحركة الياء إلى الساكن قبلهما. وهذا تعليل خاطئ، فكل ما حدث هو إسقاط نصف الحركة وعوض عنها بحركة قصيرة مجانسة لها، كوّنت مع السابقة حركة طويلة، وفي اسم المفعول من الأجوف الثلاثي المعل، يرى الصرفيون نقل حركة العين، وهي الضمة، إلى الفاء الساكنة قبلها، وهذا تصور خاطئ، لأنه يجتمع بهذا النقل ثلاث حركات. يقول جعفر عبابنة: " إنه يترتب عليه في مرحلة من مراحل التحليل اجتماع ثلاث حركات (في عرفنا نحن) الحركة القصيرة التي تخيّلوا نقلها إلى الفاء ومُدين هما عين الكلمة وواو مفعول، والمد كما هو معلوم حركة طويلة، وهذا النوع من التتابع مستحيل ولا يمكن تحقيقه " (١).

وبتتابع الحركات الإجرائية لهذه الصيغة نلحظ موضع الخطأ عند القدماء وهي كالآتي:

مَقْوول ⟵ مَقْوُوْل ⟵ مقول

وفي يائي العين نجد حركات إجرائية أكثر، وتختلف من عالم إلى آخر وهي على النحو الآتي:

مَبْيُوع > مَبُيوع > مَبُيع > مبيع

ونجد أن الياء هنا ليست مدية وإنما هي نصف حركة، إن مثل هذه البنى تقوم بوظيفتين: الأولى :النقلة الصرفية، والثانية: الوظيفة التمييزية بين الواوي واليائي.

وفي المصدر بوزن (إفعال واستفعال) مصادر الأفعال الجوفاء المزيدة من بابي (أفعل واستفعل)، مثل أقام وأبان واستقام واستبان، نقلت حركة الواو والياء في كل منها وهي الفتحة، وحرك بها الساكن الذي قبلها، يقول ابن عصفور: " وذلك نحو: إفعال مصدر أفعل واستفعال مصدر استفعل فإنك تنقل الفتحة من العين إلى الفاء الساكنة قبلها ثم تقلب حرف العلة لتحركه في الأصل وانفتاح ما قبله فيلتقي ألفان: الألف المبدلة من حرف العلة والألف الزائدة قبل الآخر، فتخفف الواحدة لالتقاء الساكنين، فمذهب الخليل وسيبويه أن المحذوفة الزائدة ومذهب الأخفش أن المحذوفة الأصلية " (٢).

---

(١) عبابنة، جعفر، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، ص٧٦.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/٤٩٠.

يقول جعفر عباينة في نقد هذا الرأي: " ولم تكن حجج الفريقين مستندة إلى حقائق صوتيه وصرفية دامغة، بل كانت في معظمها استنتاجات منطقية، ومأخذنا على كلام القدماء في هذه المسألة هو إجازة أن تتم القاعدة على مرحلتين (قبل النقل وبعده)، وعدم الحسم في قضية الألف الأولى بالحذف، وكأن المسألة مسألة اختيار فردي لا قاعدة مضبوطة محكمة " (١).

إن قواعد القدماء لهذا الإعلال لا تسير وفق ضوابط، وإنما حملوها على إعلال الأفعال فقيست عليها. وأجهدوا أنفسهم في افتراضات وصفية من أجل بناء قاعدة تتفق مع ما يفترضون.

٣. نقد قواعد الإعلال بالحذف

تقسم قواعد الإعلال بالحذف عند القدماء ثلاثة أقسام وهي:

١- حذف الهمزة:

يرى القدماء أن سبب حذف الهمزة هو الثقل الناجم عن التقاء همزتين، غير أنهم اعتادوا حذفها، في صيغة أفعل مع عدم اجتماع الهمزتين، ومن القواعد التي تحتاج إلى نظر قولهم: " ولكنهم حذفوا الهمزة في باب أفعل من هذا الموضوع فأطرد الحذف فيه، لأن الهمزة تثقل عليهم، وكثر هذا في كلامهم، فحذفوه واجتمعوا على حذفه " (٢).

أي أن هذا الحذف لا يسير وفق قواعد صرفية واضحة المعالم، لأن في المضارع واسم الفاعل واسم المفعول لم تجتمع همزتان، لا شك أن في اجتماع الهمزتين ثقل يفر منه الناطق، لكن لماذا تحذف الهمزة الواحدة من مضارع (أفعل) واسم الفاعل واسم المفعول وتعود في المصدر والأمر منه؟

إن سبب الحذف ليس ثقل الهمزة كما ذهب القدماء، وإنما كما يتراءى لنا هو في صعوبة الانتقال من الضمة إلى الفتحة على النحو الآتي:

تحذف الهمزة هنا لأنها وقعت بين ضمٍ وفتح

- نُؤكرم nu| ɔak| rim
- مُؤكرم mu| ɔak| rim
- مُؤكرَم mu| ɔak| ram

وتبقى في الأمر والمصدر لأنها لم تسبق بضمٍ وتتلى بفتح مثل:

أكرم ɔak| ra| ma ← إكرام ɔik| raam ← أكرم ɔak| rim

---

(١) عباينة، جعفر، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، ص٨١.

(٢) سيبويه، كتاب سيبويه، ٤/٢٧٩.

ومما يؤيد ما نذهب إليه أن الهمزة تسقط مع حركتها، وليس الهمزة وحدها، فلو كان الثقل ناجم عنها لحذفت وحدها، فالانتقال من الاستدارة إلى الانفراج هو الذي أدى إلى سقوط الهمزة وحركتها، وسقوطها لا يؤدي إلى تغيير الدلالة.

٢- حذف الواو

يرى القدماء أن الواو إذا كانت فاء في فِعْل على وزن فَعَل فإنها تحذف في المضارع، ويعللون سبب هذا الحذف وقوعها بين ياء وكسر. نحو: يَوْعِد cid |yaw. وهذا قول خاطئ لأن الواو لم تقع بين ياء وكسر. وإنما سبب الحذف – كما نرى- هو الطبيعة الانتقالية من الفتحة إلى نصف الحركة (الواو) والدليل على هذا أنهم حذفوا الواو مع التاء والنون والهمزة.

أما المصدر منه فالبنية العميقة له هي وِعْدَة dat |wic فحذفت الواو وحركتها لأنها حذفت في المضارع فالتقى صوتان دون فاصل بحركة فاجتلبت الكسرة للتخلص من هذا المحذور المقطعي. دون أن يجهدوا أنفسهم في علل ذهنية وعمليات إجرائية من نقل الحركة وحذف الواو لأنها حركت بالكسرة.

٣- حذف حرف العلة

يقع هذا الحذف عند القدماء في المواضع الآتية:

أ- في الأفعال الماضية الجوفاء عند إسنادها إلى ضمائر الرفع وفي الأمر منها.

ب- مضارع الفعل المعتل العين أو اللام المجزوم.

وذهبوا إلى أن سبب الحذف في الموضع الأول يعود إلى التقاء الساكنين الناشئ عن تحريك الواو والياء وانفتاح ما قبلهما، فينقلبان إلى ألف في قواعدهم، والألف ساكنة في نظرهم فتلتقي مع لام الفعل التي سكنت بسبب البناء، ويتم التخلص من التقاء الساكنين بحذف الساكن الأول، وهذا وهم كبير، لأن الحركة ليست ساكنة، وهي ليست محذوفة كما ذهب القدماء وإنما قُصّرت للتخلص من مقطع غير مرغوب فيه في العربية. على هذا النحو:

قولت quul| tu > قُلْتُ qul| tu

بيعت biic| tu > بِعْتُ bic| tu

والحركة المتبقية لها وظيفة تمييزية، وهي معرفة أصل الباب.

وفي المضارع المجزوم من الأجوف، يعملون على نقل حركة الواو والياء إلى الساكن قبلهما، وبهذا النقل تصبح الواو والياء ساكنتين في نظرهم، مسبوقتين بحركة من جنسهما، فيلتقي ساكنان الواو أو الياء مع لام الفعل الساكنة بسبب عامل الجزم، ويتم التخلص من هذا الوضع في

قواعدهم بحذف الواو والياء، وهذا كلام مغلوط، فكل ما جرى في مثل هذه البنى هو تقصير الحركة الواو أو الياء للتخلص من مقطع غير مرغوب فيه.

وكذلك في المضارع الناقص المجزوم، فهو تقصير للحركة وليس حذفها.

إن هذا البناء الخاطئ عند القدماء نتج عن توهمهم بوجود حركة قبل الواو والياء المديتين. وفي رأينا أن تقصير الحركة يقوم بوظيفة نحوية. بحتة وهي التميز بين المرفوع من البنى من جهة، والمبني والمجزوم من جهة أخرى.

١- نقد قواعد المحدثين

أ- نقد قواعد الإبدال

لم تختلف قواعد الإبدال القياسي عند المحدثين عنها عند القدماء، بل اعتمد المحدثون في تفسيراتهم وتعليلاتهم الصوتية على ما جاء عند القدماء إلا في إبدال الواو والياء إلى تاء. فقد اختلف المحدثون في سبب هذا الإبدال وهم محقون في هذا الاختلاف، لأنه لا يوجد وشائج صوتية بين الصوتين المبدلين، فالواو والياء أنصاف حركات مجهورة آلية إنتاجها تختلف عن آلية إنتاج الصوامت، فالتاء صوت مهموس انفجاري، ومما يؤخذ على المحدثين أنهم اعتمدوا في تفسيراتهم على آراء المستشرقين، وأجهدوا القاعدة اللغوية، دون النظر إلى خصوصية اللغة العربية عن اللغات الأخرى في طبيعة تكوين أصواتها، وتصنيفها من جهة، وطبيعة نظامها المقطعي من جهة أخرى.

ب- نقد قواعد الإعلال

لم يكن المحدثون أكثر حظا في الاتفاق حول قواعد الإعلال. فقد كان الاختلاف في تفسيراتهم بينا، لذا لم نجد قواعد ثابتة تحيط هذا الموضوع وتكون معقد رأي واحد يسهل تناولها والتعامل معها.

وأحسب أن سبب الخلاف بين المحدثين ناجم عن تباين مصادر ثقافتهم من جهة، والآليات التي اعتمدوها في تفسيراتهم من جهة أخرى. فنجد منهم من يحمل على النظرية الصرفية العربية ويقوم بنسفها والتعرض إليها بالنقد، ومنهم من اعتمد على النظرية الصرفية القديمة واستنبط قواعده وتفسيراته منها. وأخيراً نجد منهم من اعتمد على الدراسات اللغوية الغربية، وطفق يطبق تلك الدراسات على اللغة العربية وقواعدها، فتضاربت الآراء لتباين المصدر فنجد منهم من أصاب، ومنهم من اعتمد قسرية القاعدة لتتناسب مع ما يرى. ولبيان ما توصلوا إليه لا بد لنا من تتبع قواعد الإعلال عندهم لنلحظ مدى الاختلاف والاتفاق فيما بينهم.

١- نقد قواعد الإعلال بالقلب

تضاربت آراء المحدثين في قلب نصف الحركة إلى همزة، فعبد الصبور شاهين يرى أن سبب القلب يعود إلى خاصة الوقف العربي، وخلط في إنتاجية أنصاف الحركات، وكان يرى أن الواو والياء ناتجتان عن انزلاق الحركات. يقول:" يمكن تفسير الهمزة بخاصة الوقف العربي الذي لا يكون على حركة، مثل كساء kisaa+u فحذفت الضمة المولدة للواو بازدواجها مع الفتحة الطويلة " (١). غير أننا نلاحظ أن الوقف لم يكن على الحركة وإنما على نصف الحركة التي تقوم بوظيفة الصامت وهي الواو في كساو ki| saaw.

ويرى محمد جواد النوري أن سبب القلب يعود لعدة أسباب وهي: التتابع الحركي، وتقوية النبر، وإغلاق المقطع بصامت قوي (٢).

ويذهب جعفر عبابنة إلى أن سبب القلب يعود لضعف الموقع (٣).

إن أهم نقد يوجه للمحدثين أنهم اعتمدوا على تفسير البنية دون أن يبنوا قاعدة، فتباينت آراؤهم في تفسير البنى حسب منبع ثقافتهم وعلمهم. ويؤخذ على المحدثين أيضا أنهم لم يفرقوا بين الأصل والنقلات الصرفية التي يؤدي بناؤها إلى تغيير يتناسب مع الصيغة الجديدة، واستثنى منهم جعفر عبابنة الذي تنبّه إلى هذه القضية في بحثه التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم " (٤) غير أننا نجد عند المحدثين دقة في التمييز بين الواو والياء بوصفهما نصفي حركة وبين الواو والياء الحركتين، ونجد منهم من صاغ قاعدة عامة ولكن سرعان ما تصطدم بما يخالفها. فبكوش مثلاً يقولك" تقلب الواو أو الياء همزة إذا وقعت بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة " (٥).

غير أننا نجد بنى لم تقع فيها الواو بين الفتحة الطويلة والضمة أو الكسرة وقلبت همزة، مثل وُوَل و وُوْلى.

---

(١) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوت للبنية العربية، ص١٧٧.

(٢) ينظر: النووي، محمد جواد، علم أصوات العربية، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٣) بنظر عبابنة، جعفر، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم، ص٧٩

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص٦١وما بعدها.

(٥) بكوش الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص٦٦.

٢- نقد قواعد الإعلال بالحذف

لقد اختلف المحدثون في تعليلاتهم وفي قواعدهم للحذف، ففي حذف همزة (أفعل) في المضارع واسم الفاعل واسم المفعول. يرى عبد الصبور شاهين أن سبب الحذف يعود إلى كون الزيادة في أولها [١].

ويعزو محمد جواد النوري سبب هذا الحذف إلى الثقل وقانون التردد النسبي [٢].

ويذهب عبد القادر عبد الجليل إلى أن الهمزة هي نفسها الصائت [٣].

ونجد داوود عبده يضع يده على البنية العميقة ولكنه لم يفسر سبب هذا القلب [٤].

بعد استقراء الآراء السابقة نلاحظ أن المحدثين اهتموا بتفسير الظاهرة دون بناء قاعدة. فتشعبت تفسيراتهم، فالقاعدة الواحدة عندهم تتشظى إلى عدة قواعد يصعب حصرها، ويحتار الدارس في الرأي الصحيح.

وفي حذف نصف الحركة (الواو) نجد التضارب والتباين في آراء المحدثين الأمر الذي يؤدي إلى تشتيت القارئ أو الباحث.

بعد استقراء قواعد الإبدال والإعلال عند كلا الفريقين نجد أن المحدثين أعادوا تبويب الإعلال بالنقل الذي ورد عند القدماء تحت باب الإعلال بالحذف. معتمدين في ذلك على الكتابة الصوتية، والقوانين المقطعية للبنى العربية، ونجد أن القدماء هم من أسسوا هذه القواعد، وكانت قواعدهم سببا في ظهور دراسات المحدثين، مع تباين وجهات النظر في التعليلات للظواهر اللغوية. فقد توصل القدماء بما توفر لهم من معطيات لغوية متواضعة إلى هذه القواعد التي نظمت اللغة، وعللوها بالاعتماد على الملاحظة والاستقراء، وكانوا يجهدون أنفسهم عندما يشذ شاهد أو مثال عن المجموعة، في صياغة قاعدة تصفه، فاعتمدوا في منهجهم على الوصف الدقيق لما ظهر لهم من قضايا لغوية. فإن حادوا عن الصواب بعض الشيء فهم معذورون. ومما لا شك فيه أن المحدثين تناولوا قواعد القدماء بداية، ثم قاموا بنقدها وإبطال بعضها، معتمدين في ذلك على ما توفر لهم من آليات مخبرية، ودراسات غربية، ساعدتهم في وصف الظاهرة اللغوية وصفاً دقيقاً يعتمد على قوانين صوتية إن جاز التعبير، ومع هذا نجد تبايناً جلياً في تعليلاتهم التي تنم عن تباين مصادر ثقافتهم.

---

(١) ينظر: شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢٠١.

(٢) ينظر: النوري، محمد جواد، دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية، ص٢٧-٢٨.

(٣) ينظر: عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، ص٤٢٦.

(٤) عبده، داود، دراسات في علم أصوات العربية، ص٦٠-٦١.

٢- بناء قواعد جديدة

إن القواعد الصرف صوتية لدى علماء اللغة. بحاجة إلى إعادة تصنيف وذلك لأن تلك القواعد دخلها الإضطراب بين القدماء والمحدثين. ومما لا شك فيه أن معطيات الدرس اللغوي في العصر الحديث ساعدت المحدثين على بناء قواعد مخالفة تماما لما جاء عند القدماء، وسنحاول في هذا الجزء من البحث – قدر الإمكان- بناء قواعد جديدة يمكن أن تسهل الدرس اللغوي وتجمع بين القديم والحديث.

أ- بناء قواعد الإبدال.

يدور الإبدال القياسي في صيغة افتعل ومشتقاتها، ويقع بين أنصاف الحركات والصوامت، وبين الصوامت بعضها ببعض. ويمكن حصر قواعده بما يأتي:

١- مماثلة نصف الحركة للصامت.

و/ ي+ ت ← نصف حركة+ انفجاري ← انفجاري مضعّف.

تُبدل نصف الحركة تاء إذا وردت مجاورة للتاء في صيغة افتعل أو إحدى مشتقاتها. وتنقسم هذه القاعدة إلى قسمين:

الأول: و+ ت ← تّ

تقلب الواو الساكنة. في صيغة افتعل أو إحدى مشتقاتها إلى تاء وذلك بسبب الصعوبة الإنتقالية من موضع الكسرة الأمامية إلى مخرج نصف الحركة الخلفية.

أوْتَعد ʔiw| ta| ca| da ← اتّعد ʔit| ta| ca| da

الثاني: ي+ت ← تّ

نلاحظ في البنية اليائية عدم وجود صعوبة انتقالية بين الكسرة القصيرة ونصف الحركة الياء، فيعود الإبدال إلى إحداث مخالفة بين الكسرة والياء.

ايتسر ʔiy| ta| sa| ra ← اتّسر ʔit| ta| sa| ra

ويضاف إلى ما سبق سكون. نصف الحركة ووقوعها في نهاية مقطع مما جعلها عرضة للتغيير. على سبيل المماثلة الرجعية.

٢- مماثلة بين الصوامت المتجاورة

تقع هذه المماثلة في حالتين:

الأولى: مماثلة الصوت المرقق للصوت المطبق. وتمثلها هذه المعادلة:

ص/ض/ ظ/ ط+ت ← ص ط/ ض ط/ ظ ط، ظ، ط/ ط

إذا وقعت الأصوات السابقة (أصوات الإطباق) متجاورة داخل بنية واحدة مع تاء (افتعل) أو إحدى مشتقاتها تقلب التاء طاءً، وذلك لأن الصوت المطبق يتسم بصفات قوة تجعله قادراً على التأثير في غيره من الأصوات على سبيل المماثلة التقدمية هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الناطق يجد صعوبة في الانتقال من الاستعلاء إلى الاستفال، وقلبت التاء طاء لوجود وشائج صوتية بين الصوتين من جهة المخرج، وعلاقة الصفة مع الأصوات المؤثرة

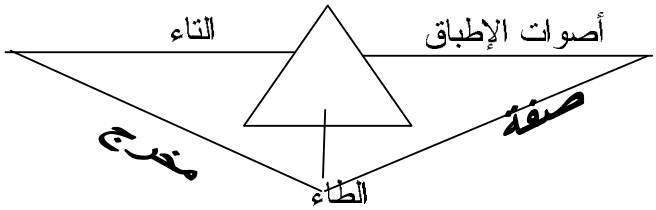

الثانية: مماثلة الصوت المهموس للصوت المجهور. وتمثلها المعادلة الآتية

د| ذ| ز+ ت ـــــ دّ | ز د، دٌ ، دّ | ز د. مجهور+ مهموس ← مجهور+ مجهور.

إذا وقعت الأصوات المجهورة السابقة متجاورة مع تاء افتعل، تبدل التاء دالا وذلك لإحداث مماثلة بين الأصوات المتجاورة، من خلال توحيد الصفة فعمد الناطق إلى إحداث تماثل في الصفة عن طريق قلب التاء إلى مقابلها المجهور، والمقابل المجهور للتاء هو صوت الدال، أي أن الصوت المجهور أثر في الصوت المهموس فحوله إلى مثله في الصفة. على سبيل المماثلة التقدمية.

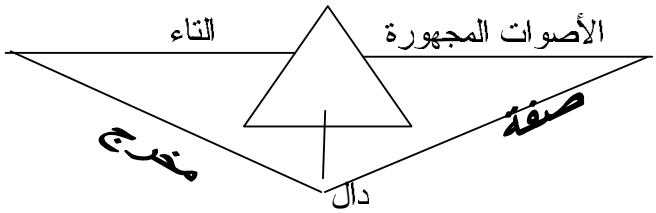

ب- بناء قواعد الإعلال.

لقد تباينت آراء علماء اللغة القدامى والمحدثين حول قواعد الإعلال وتبويبها وتعليلاتهم لتلك الوقاعد ،ولم نجد باباً لغوياً كان موضع خلاف كما في هذا الباب من اللغة، لأنه يعتري أصواته التغيير والقلب والحذف، ويتبادل المواقع مع الصوامت مثل الهمزة.

وسنحاول جاهدين تبويب قواعده وبنا قواعد جديدة – قدر الإمكان- ليسهل تناولها.

١- بناء قواعد الإعلال بالقلب

أ- قلب نصف الحركة إلى همزة

١- تقلب نصف الحركة الواو والياء إلى همزة إذا وقعت إحداها بين حركتين. الأولى الفتحة الطويلة والأخرى حركة قصيرة في النقلات الصرفية مثل:

كساوٌ ← كساءٌ

بناي ← بناءٌ

قاول ← قائل

بايع ← بائع

عجاوز ← عجائز

نيايف ← نيائف

ويعود سبب القلب إلى التخلص من الملمح الحركي، وتقوية النبر، ومراعاة للبناء المقطعي للغة العربية.

٢- تقلب نصف الحركة الواو إلى همزة في اجتماع الواوين في بداية الكلمة مثل (وواصل، وُوَل، وُوِّلى) وذلك لثقل النطق، وتقوية المقطع.

ب- قلب الهمزة الثانية عند اجتماع الهمزتين

يقسم هذا القلب إلى قسمين:

١- قلب الهمزة إلى حركة قصيرة من جنس سابقتها إذا كانت ساكنة نحو:

أأمن ← آمن

إئمان ← إيمان

أأمن ← أومن

وذلك لإحداث مخالفة بين الهمزتين، والتخلص من الثقل.

٢- تقلب الهمزة إلى نصف حركة. في النقلات الصرفية، عندما تكون الهمزتان متحركتين. في مثل جمع (آدم) وتصغيره. فتقلب الهمزة الثانية إلى واو وذلك مطلب صيغي. ويشترط في قلبها أن تكون الهمزتان مفتوحتين أو الأولى مضمومة والثانية مفتوحة.

وتقلب الهمزة الثانية نصف حركة ياء عندما تكون الهمزة الثانية مكسورة نحو:

أئِمة ← أيمة.

ج- قلب الحركة إلى حركة أخرى

يمكن حصر قواعد هذا القلب بما يأتي:

١- قلب حركة الفتحة الطويلة (الألف) إلى كسرة طويلة (الياء) في بعض أبنية جمع التكسير وذلك مثل: سلطان ومفتاح ومنشار، التي تجمع على سلاطين ومفاتيح ومناشير، وذلك من قبيل النقلات الصرفية، لأن مورفيم الجمع في مثل البنى السابقة لا ينحصر في الفتحة الطويلة فقط، يقول القرالة:" إن مورفيم الجمع في مثل مفاتيح وسلاطين ومناشير لا ينحصر في الفتحة الطويلة، بل يأتي مورفيم الجمع هنا مزدوجاً، فالألف والكسرة الطويلة المنقلبة عن ألف المفرد يمثلان الدلالة على الجمع " (١).

وقد أشار عبد الصبور شاهين من قبل إلى شيء من هذا بقوله:" إن الألف في (مصباح) هي ألف صيغة (مفعال) اسم الآلة، والكسرة الطويلة في (مصابيح) هي كسرة صيغة منتهى الجموع " (٢).

وتقلب إلى كسرة طويلة في تصغير هذه البنى وما شابهها، ففي تصغير سلطان ومصباح ومفتاح تقلب الفتحة الطويلة إلى كسرة طويلة على النحو الآتي: سُلَيْطين ومُصَيْبيح ومُفَيْتيح، وذلك من قبيل النقلات الصرفية التي تتطلب تكسير المفرد، وترتيب البنية بما يتلاءم مع الصيغة، وبهذا القلب تتخلص العربية من المحاذير المقطعية، ويحدث تماثل بين الأصوات في البنية الواحدة.

٢- قلب حركة الفتحة الطويلة (الألف) إلى ضمة قصيرة.

تقلب الفتحة الطويلة إلى ضمة قصيرة في المبني للمجهول من صاحب وضارب وكاتب وما شابهها، حيث تتحول البنية إلى صوحب وضورب وكوتب، وذلك لأن الصيغة الجديدة تتطلب ضم الأول، وبهذه الضمة تقلب الفتحة الطويلة إلى ضمة قصيرة تكون مع ضمة الصيغة الضمة الطويلة، لأنها نقلة صرفية من جهة، ولقيام الحركات بوظائف نحوية من جهة أخرى.

د- قلب الحركة إلى شبه حركة

تقلب الحركة إلى شبه حركة في التصغير، كتصغير، غزال وعجوز ورغيف. وأحسب أن سبب القلب يعود إلى المحاذير المقطعية، إضافة إلى أن هذه البنى من قبيل النقلات لصرفية، لأن البنية تتطلب تغييرات تتناسب مع الدلالة الجديدة. وبهذا القلب تحدث المماثلة بين أشباه الحركات أو أنصافها. على النحو الآتي:

---

(١) القرالة، زيد خليل، الحركات في اللغة العربية، ص١٠٢.

(٢) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٨٦.

غزال &a| zaal ← غُزَيال &u| zay| aal ← غُزَيّل &u| zay|

عجوز ca| guuz ← عُجَياز cu| gay| aaz ← عُجَيّز cu| gay| yiz

رغيف &iif| ra ← رُغَييف ru| &ay| iif ← رُغَيّف ru| &ay| yif

ويوضح هذه المماثلة المعادلات التالية:

yy ⟵ y+aa

yy ⟵ y+uu

yy ⟵ y+ii

أي تتحول الحركة الطويلة إلى ياء شبه حركة مماثلة لشبه الحركة السابقة، فالياء الأولى تمثل مورفيم التصغير، والياء الثانية تقوم بوظيفة تمييزية حيث تميز الثلاثي من غير الثلاثي، وتحوّل نبر الطول إلى نبر توتر، واجتلبت الكسرة بعد الياء الثانية ليستقيم إيقاع الصيغة. تقلب الحركة الطويلة الواو في صيغة مفعول نحو مرضوي ← مرضيّ لإحداث مماثلة بين الصوتين.

هـ- قلب شبه الحركة إلى حركة

تلتقي الحركات وأشباهها في شيء من السلوكات الصوتية، المتمثلة في طبيعة المخرج، والموقع لهذه الأصوات ويؤدي هذا الشبه إلى تشابهها في التغييرات التي تعتريها. ومن مواضع هذا القلب ما يلي:

١- قلب الواو شبه الحركة إلى كسرة قصيرة، في مثل موزان zaan |miw حيث تصبح. ميزان zaan |mii.

وتمثلها المعادلة التالية:

iw ⟵ i أثرت الحركة القصيرة في نصف الحركة الواو وذلك لسكونها ووقوعها في نهاية من جهة، والصعوبة الانتقالية من جهة أخرى.

وبتتابع الحركات القصيرة تتكون الحركة الطويلة i + i ⟵ ii وتقلب نصف الحركة الياء إلى ضمة قصيرة في مثل: مُيْقن حيث تصبح موقن. ميقن qin |muy موقون qin|muu.

وتمثيلها المعادلة التالية: uy ⟵ u

وبتتابع الحركات القصير تتكون الحركة الطويلة هكذا

uu ⟵ u+u

ويمكن بناء قاعدة عامة تنص على قلب نصف الحركة الواو إلى كسرة قصيرة إذا سبقت بكسرة قصيرة. وقلب نصف الحركة الياء إلى ضمة قصيرة إذا سبقت بضمة قصيرة.

وفي بنية أوْلى الذي أصلها وُوْلى تقلب نصف الحركة الواو ضمة قصيرة بعد قلب الأولى همزة وذلك للصعوبة النطقية، وإحداث تماثل بين الصوتين المتجاورين w+u ← u

وبتتابع الحركتين القصيرتين سكونت الحركة الطويلة u+u ← uu

و- قلب شبه الحركة إلى شبه حركة أخرى

يقسم هذا القلب إلى قسمين هما:

أ- قلب نصف الحركة الواو إلى ياء. ويقع هذا القلب في المواضع الآتية:

ا- إذا سبقت الواو بوصفها نصف حركة بكسرة نحو:

صِوام ← صيام

حِواض ← حياض

رَضِوَ ← رَضِيَ.

وذلك للصعوبة الانتقالية من موضع الكسرة الأمامية إلى مخرج نصف الحركة (الواو) الخلفية.

أي أن الكسرة أثرت في الواو نصف الحركة فقلبتها إلى نصف حركة مجانسة لها وهي الياء، وذلك لإحداث تجانس بين الأصوات المتجاورة وتمثلها لمعادلة التالية.

w+ i ← y+ i

٢- إن تجتمع الواو والياء في بنية واحدة والأولى ساكنة مثل: سيود وطيو ففي (سَيْود) أثرت الكسرة القصيرة في نصف الحركة الواو فقلبتها إلى نصف حركة من جنسها وهي الياء. وتمثلها المعادلة الآتية:

y+w+i ← y+y+i

أما (طيوٌ) فقلبت نصف الحركة الواو إلى ياء للصعوبة الانتقالية من مخرج نصف الحركة الياء إلى مخرج نصف الحركة الواو، فالأولى أمامية والأخرى خلفية.

٣- إذا اجتمعت الضمة الطويلة (الواو) وواو لام مفعول بوصفها نصف حركة تقلب نصف الحركة الواو إلى ياء وذلك لإحداث مخالفة بين الحركات وأنصافها هكذا:

مرضوو mar|duuw ← مرضوي mar| duuy.

ثم تقلب الحركة الطويلة (الواو) إلى نصف الحركة (الياء) فتصبح الصيغة مَرْضيّ، وتجلب الكسرة قبل الياء المدغمة للمناسبة. وهذا من قبيل النقلات الصرفية.

ومثلها إذا كانت الواو بوصفها نصف حركة لاماً لجمع تكسير على وزن فُعول وقبلها الضمة الطويلة، تقلب نصف الحركة الواو إلى ياء. ثم تقلب الحركة الطويلة (الواو) إلى ياء نصف حركة وتدغم في الياء الأخيرة وتكسر فاء الصيغة للمناسبة مثل:

عُصوو ← عُصوي ← عِصيّ

وهي من قبيل النقلات الصرفية أيضا.

٤- إذا وقعت الواو بوصفها نصف حركة رابعة فصاعدا وسبقت بفتحة تقلب إلى نصف الحركة (الياء)؛ لأن الياء أخف من الواو من جهة، والصعوبة في الانتقال من الانفراج إلى الاستدارة من جهة أخرى. مثل:

أعطوت ɔac| taw| tu ← أعطيت ɔac| tay| tu

٥- تقلب الواو نصف الحركة إلى الياء نصف الحركة في الصفة لوظيفية تمييزية بين الاسم والصفة من جهة، وللصعوبة الانتقالية من الاستدارة إلى الانفراج من جهةٍ أخرى نحو:

دُنوا dun| waa ← دُنيا dun| yaa

ز- قلب نصف الحركة الياء إلى واو

١. تقلب نصف الحركة الياء إلى نصف الحركة الواو إذا سبقت الأولى بضمة قصيرة، وذلك للصعوبة الانتقالية، ولإحداث تجانس بين الحركات وأنصافها. نحو:

نَهُيَ na| hu| ya ← نَهُوَ na| hu| wa

٢- تقلب نصف الحركة الياء إلى نصف الحركة الواو في الاسم لوظيفية تمييزية نحو:

تَقْيَا taq| yaa تَقْوى taq| waa

٢- بناء قواعد الإعلال بالحذف.

يمكن بناء قواعد للإعلال بالحذف تختلف بعض الشيء عما جاء عند القدماء وتقرّب وجهات نظر المحدثين في تعليلاتهم لمثل هذا الإعلال.

ونرى أن هذا الإعلال يقع في ثلاثة مواضع. هي:

أ- حذف الصامت (الهمزة)

تحذف الهمزة وحركتها في مضارع (أفعل)، وفي اسم الفاعل واسم المفعول منها. إذا سبقت بضمة وتليت بفتحة، وذلك للصعوبة الانتقالية بين الحركة السابقة والحركة اللاحقة نحو:

يُؤَكرم yu| ɔak| rim يُكْرم yuk| rim

مُؤَكرِم mu| ʔak| rim　　مُكْرِم muk| rim

مُؤَكرَم mu| ʔak| ram　　مُكْرَم muk| ram

وبهذا الحذف يتغير النسيج المقطعي للبنية.

ب- حذف نصف الحركة

تحذف نصف الحركة في المواضع الآتية

١- تحذف الواو بوصفها نصف حركة في مضارع المثال الواوي وتحذف كذلك في الأمر منه والمصدر. أما المضارع فيبدو أن سبب الحذف يعود إلى الصعوبة الانتقالية من الفتحة إلى نصف الحركة الواو، ولسكون الواو ووقوعها في نهاية مقطع. أما الأمر منه فلنا فيه رأيان:

الأول: وهو الأفضل أن نتعامل مع البنية بعد الحذف، ونحذف مورفيم المضارعة مع حركتهِ.

يَعِدْ ya| cid ⟵ عِدْ cid

الآخر: أن يؤخذ من البنية العميقة ويكون سبب الحذف المحاذير المقطعية. وهو تكوين عنقود فونيمي عند حذف مورفيم المضارعة.

يَوْعِد yaw| cid ⟵ وْعِد wcid⟵ عِد cid

والمصدر يسير بالخطوات السابقة غير أننا نلحق به التاء للدلالة عليه.

يَوْعد ⟵ وْعد ⟵ عد ⟵ عدة

٢- تحذف نصف الحركة الواو والياء إذا وقعتا بين حركتين متماثلتين نحو:

قول qa| wa| la ⟵ قال qaa| la

يبيع ba| ya| ca ⟵ باع baa| ca

غزو &a| za| wa ⟵ غزا &a| zaa

وإذا كانت الحركتان غير متماثلتين، فيتم التماثل بينهما أولاً، ثم تحذف نصف الحركة

مثل: طوُل ta| wu| la　　طوَلَ ta| wa| la　　طال taa| la

خَيَفَ xa| yi| fa　　خَيَفَ xa| ya| fa　　خاف xaa| fa

وفي المبني للمجهول من الأجوف تسقط نصف الحركة لوقوعها بين حركتين متماثلتين بعد تماثلهما نحو:

قال qaa| la قُولَ qu| wi| la قِولَ qi| wi| la قيل qii| la

باع baa| ca بُيعَ bu| yi| ca بيعَ bi| yi| ca بيع bii| ca

٣- تحذف نصف الحركة إذا تحركت الواو بالضم أو بالفتح، والياء بالكسر والفتح ويعوض عنها بطول الحركة، نحو:

يَقوُل yaq| wu| lu ← يقول ya| quu| lu

مَقْوَم maq| wam ← مقام ma| qaam

يَبيع yab| yic ← يبيع ya| bii| cu

مَعيَش mac| yas ← معاش ma| caas

٤- تحذف نصف الحركة دون أن يعوض بدلاً منها، وذلك في اسم المفعول من الأجوف نحو:

قال qaa| la مَقْوول maq| wuul مقول ma| quul

باع baa| ca مَبْيُوع mab| yuuc مبوع ma| buuc مبيع ma| biic

تُقلب الضمة الطويلة في الأجوف اليائي إلى كسرة طويلة لوظيفية تمييزية تبين أصل العين.

ومن ذلك أيضا المصدر يوزن (إفعال واستفعال) نحو:

إقوام ɔiq| waam إقام ɔi| qaam إقامة ɔi| qaa| mat

استقوام ɔis| tiq| waam استقام ɔis| ti| qaam استقامة ɔis| ti| qaa| mat

وتضاف في المصدر لاحقة التاء للتخلص من المقطع الطويل المغلق.

ج- تقصير الحركة

تقصر الحركة في اللغة العربية لتقوم بوظيفة نحوية من جهة، والتخلص من المقاطع الطويلة من جهة أخرى. ويقع هذا التقصير في المواضع الآتية:

١- تقصر الحركة في الأفعال الماضية الجوفاء عند إسنادها إلى ضمائر الرفع.

وفي الأمر منها. نحو:

قولت quul| tu قلت qul| tu

بيعت biic| tu بعت bic| tu

والأمر منه نحو: قول quul قُل qul

بيع biic بع bic

ويعود السبب في هذا التقصير إلى التخلص من المقطع الطويل المغلق.

٢- تقصر الحركة في الفعل المضارع المعتل العين، والمعتل اللام في حالة الجـزم. وذلـك نحو:

يقولُ lu| quu| ya| ⟵ لم يقولْ lam| ya| quul ⟵ لم يقل lam| ya| qul

يبيعُ cu| bii| ya| ⟵ لم يبيع lam| ya| biic ⟵ لم يبع lam| ya| bic

أما الناقص فلنا فيه وجهة نظر تتمثل بما يلي:

١- إذا أخذ من البنية العميقة قبل الإعلال بالحذف مثل:

يغزُو wu| zu| ya&| ⟵ لم يغزوْ lam| ya&| zuw ⟵ لم يغزُ lam| ya&| zu

يرميُ yu| mi| yar| ⟵ لم يرميْ lam| yar| miy ⟵ لم يرم lam| yar| mi

فتحذف نصف الحركة للثقل.

وتقول نبال نزال: " الفعل الناقص المجرّد من اللواحق فإنه حركاته الإعرابية الاصـلية مختلفة (ظاهرة ومقدرة)، نحو: يرمي، لن يرميَ، لم يرم، إذ تشكّل المزدوج الحركي في المقطع الانتهائي للفعل: ... المجزوم الأصل: lam| yar| miy ⟵ lam| yar| mi. تشكّل مزدوج هابط مرفوض يسقط منه شبه الحركة ولا يعوّض السقوط " (١).

٢- تقصير الحركة من البنية السطحية نحو:

يغزو ya&| zuu ⟵ لم يغز lam| ya&| zu

يرمي yar| mii ⟵ لم يرم lam| yar| mi

إن هذه القواعد هي خلاصة تجربة علماء أفذاذ، لا ندّعي ابتكارها، وإنما عملنـا علـى إعادة تبويبها، وتصنيفها، لعلنا نحقق شيئاً في خدمة هذه اللغة، وإن كان لنا -بعض الأحيـان- رأي يخالف ما جاء به القدماء والمحدثون، فيبقى رأي، يحتمل الخطأ قبل الصواب.

---

(١) نزال، نبال، (٢٠٠٤)، التفسيرات الصوتية للظـواهر النحويـة، رسـالة دكتـوراه، جامعـة اليرمـوك، ص١٢٤-١٢٥.

الخاتمة وأهم النتائج

حاولنا في هذا البحث المتواضع دراسة القواعد الصرف صوتيه بين القدماء والمحدثين, وبيان دور الحركات وحروف اللين في توجيه القاعدة الصرفية, وقد تبين لنا من خلال هذا البحث قدرة علمائنا اللغويين القدامى, وفكرهم النير في دراسة القواعد الصرف صوتية, وتقعيدهم لموضوعي الإبدال والإعدال, وقد اتضح لنا أثناء هذا البحث مجموعة من الحقائق, وسنحاول في هذة العجالة إيجاز أهم تلك الحقائق التي وقعنا عليها في أثناء دراستنا لقواعد الصرف صوتية بين القدماء والمحدثين وهي كما يلي:-

١- لم يتطرق القدماء إلى الحركات بوصفها أصوات تقوم بدور رئيس في البنى اللغوية, وإنما كان اهتمامهم منصباً على الحركات من ناحية اعرابية فقط.

٢- لم تكن الحركات محوراً رئيسياً في الدراسات اللغوية القديمة, وإنما كان الاهتمام موجها على الحروف الصوامت, ولم يظهر مصطلح الحركات ضمن دراسة مفردة ومنفصلة في المراحل الأولى, ولم يطلق القدماء على الحركات الطويلة اسم حركات, وإنما تم معالجتها ضمن الأصوات الصامتة, وقد اهتم القدماء بالحركات الطويلة أكثر من اهتمامهم بالقصيرة منها, وذلك لأنها تدخل في بناء الكلمة أو الهيكل الرئيس في نظرهم.

٣- خلط القدماء بين الحركات الطويلة وحروف اللين, مما ساقهم إلى الخلط في تفسيراتهم للسلوكات الصرفية, بل نجدهم يجمعون بين حروف المد واللين في مجموعة صوتية واحدة, على الرغم من التفريق في الصفات من الناحية النظرية.

٤- قام المحدثون بتوصيف الحركات توصيفاً دقيقا, وفرقوا بينها وبين حروف اللين (أشباه الحركات) وبينوا دورهما في الدراسات الصوتية.

٥- اختلف المحدثون بتوصيف السكون, فمنهم من عدها حركة, ومنهم من نفى عنها هذه الصفة, فالسكون كوجود فعلي مادي شكلي موجود في اللغة, ولكن من حيث التحقق النطقي غير موجود, ولا يوجد لها أثر سمعي فالحركات القصيرة في اللغة العربية لاتتعدى الثلاث: الفتحة القصيرة، والكسرة القصيرة، والضمة القصيرة.

٦- إن كمية الحركات الطويلة إلى الحركات القصيرة لا تساوي بالضرورة ضعف القصيرة, بل تتفاوت الكمية بين القصيرة والطويلة حسب الأصوات المجاورة.

٧- اختلف المحدثون في وجود الحركة المزدوجة كحقيقة صوتية, غير أننا نرى فيها أنها صوت انتقالي، بمعنى أن اللسان ينتقل من موقع نطق الحركة إلى مخرج نصف الحركة, أو

العكس. ولا نرى فيها الصفات المميزة للحركة لا من ناحية اكوستيكية أو من ناحية فونولوجية, لأنها لا تشغل قمة المقطع برمتها.

٨- توهم القدماء بوجود حركة قصيرة قبل الحركة الطويلة من جنسها, وهذا الوهم ساق الى الخطأ في تفسير السلوكات الصرفية.

٩- الصوت المطبق له قوة تأثير ليس على ما جاوره من الأصوات، بل يمتد نفوذه الى المقطع برمته.

١٠- الأصوات الصفيرية أقوى من الأصوات المطبقة، لذلك أجازوا أن يقلب المطبق إلى مطبق صفيري, ولم يجيزوا قلب المطبق الصفيري إلى مطبق، فالصفير ملمح متمكن.

١١- تعد الصوامت أقوى من نصفي الحركة (الواو و الياء), بيد أن الإدغام يؤدي إلى تقويتهما الى حد يصبحان معه بمنزلة الصوامت.

١٢- يزداد الصامت قوة بالحركة، في حين يصبح ضعيفاً إذا لابسه السكون أما نصفا الحركة فيستثقل النطق بهما متحركتين، ويزداد ضعفهما في حالة وقوعهما بين الحركات.

١٣- الملمح الحركي غير مرغوب فيه في السلسلة الكلامية، لذا يميل الناطق العربي إلى التخلص منه عن طريق إحداث المخالفة بين الأصوات المتماثلة.

١٤- يعد صوت الهمزة من الاصوات الصعبة في النطق، فالبنية المشتملة على همزتين بنية مستثقلة، لذا يعمد الناطق للتخلص من هذا الثقل بقلب الهمزة الثانية الى حركة أو نصف حركة، غير أن الهمزة في بعض المواقع تستخدم لتقوية المقطع الضعيف عندما يكون مبدوءاً بنصف حركة. وتكون وسيلة لإقفاله إذا انتهى بنصف حركة.

١٥- يرى القدماء والمحدثون أن التشابه الكتابي بين الواو والياء بوصفهما نصفي حركة والواو والياء بوصفهما حركتين أدى إلى الخلط في توجيه السلوكات الصرفية, غير أننا نرى أن هذا التشابه هو الذي أدى إلى التمييز بينهما وأجهد العلماء أنفسهم في إعطاء الهوية المميزة لكل صوت منهما.

١٦- إن جل قواعد القدماء تقوم على أسس تعليمية, وهي لا تخضع لقواعد صوتية بحته, ومن خلال النظر في هذة القواعد نلحظ أن سبب الاعلال عندهم يقوم على الاسس التالية:

أ. الهروب من اجتماع الأمثال.

ب. ثقل الواو والياء المتحركتين بحركة من جنسهما على حد قولهم.

ج. الخوف من اللبس بين المفرد والمثنى.

د. الحمل والقياس والاطراد.

هـ. طلب الخفة والهروب من الثقل.

و. التخلص من التقاء الساكنين.

١٧- جلت الدراسة التفسيرات المتناقضة لدى القدماء في بعض الاحيان فقد وصفوا الحركات الطويلة بانها ساكنة, وقالوا عن الألف ساكنة في موضع, وفي موضع آخر قالوا: حركت الألف فقلبت إلى همزة, نحو: بناء – كساء – رداء.

١٨- يقوم النظام المقطعي بدور كبير في توجيه السلوكات الصرفية وتفسيرها تفسيراً صوتياً يتفق والنسيج المقطعي للبنية اللغوية.

١٩- المقاطع المفتوحة المتوالية تضعف البنية وينتج عنها ثقل في النطق لذا يعمد الناطق إلى التخلص من توالي تلك المقاطع، إما بإغلاقها أو بإسقاط جزء منها، وهذا يتطلب إعادة التشكيل المقطعي للبنية.

٢٠- لا وجود للإعلال بالنقل في العربية، وما ورد عند القدماء تحت هذا الباب ما هو إلا وهم وخلط بين الحركات وأشباه الحركات.

٢١- تقلب نصف الحركة إلى همزة إذا سبقت الأولى بفتحة طويلة وتليت بحركة قصيرة في النقلات الصرفية. ويعود السبب في هذا القلب إلى التخلص من الملمح الحركي وتقوية النبر، والمحاذير المقطعية.

٢٢- تقلب الحركة إلى حركة وإلى شبه حركة ، وتقلب شبه الحركة إلى حركة وإلى شبه حركة أخرى.

٢٣- تحذف نصف الحركة إذا وقعت بين حركتين متماثلتين. وتحذف الهمزة إذا وقعت بين ضم وفتح.

٢٤- تقصّر الحركة في اللغة العربية لتقوم بوظيفة نحوية من جهة، والتخلص من المحاذير المقطعية من جهة أخرى.

٢٥- خلصت الدراسة إلى أن النقلات الصرفية لها خصوصية في التفسيرات الصوتية، فلا يجوز إقامة بنية الجمع على بنية المفرد مباشرة.

اقتراحات وتوصيات

أما بعد،

فقد تبين للدراسة الصوتية التفسيرية أن الميزان الصرفي يختلف عما جاء عند القدماء؛ لذا توصي الدراسة بأن يدرس الميزان الصرفي دراسة صوتية حديثة، ويعاد النظر في صِيَغِه لتتلاءم مع التغييرات التي تعتري البنية.

وتوصي الدراسة كذلك بأن يعاد النظر في علامات إعراب الفعل المضارع المعتل الآخر المجزوم، ويدرس الفعل المضارع المعتل دراسة صوتية حديثة تنطلق من تعالق المستويات اللغوية.

وتقترح الدراسة أن يدخل النظام المقطعي في الوظيفة النحوية ويضاف إلى علامات الإعراب تقصير الحركة.

وتوصي الدراسة بأن يدرس موضوع الحمل والقياس والاطراد دراسة صوتية حديثة، تتفق ومعطيات الدرس اللغوي الحديث، فقد عملت هذه المصطلحات على توجيه الدراسات الصرفية عند القدماء توجيها بعيداً عن الصواب.

المصادر والمراجع

أ- العربية :

- القران الكريم.
- ابن أحمد , الخليل (ت ١٧٥ هـ) , **العين**, سلسلة المعاجم والفهارس, (تحقيق : مهدي المخزومي, وإبراهيم السامرائي)، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨.
- الأزهري, زين الدين خالد بن عبد الله. (ت ٩٠٥ هـ), .**شرح التصريح على التوضيح** , القاهرة , المطبعة الأزهرية، ١٣١٣هـ.
- الاستراباذي, رضي الدين محمد بن حسن. ت (٦٨٦ هـ) **شرح شافية ابن الحاجب**, (تحقيق: محمد نور الحسين وآخرين), بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢.
- استيتية, سمير (١٩٩٤)، تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الحسن البصري , **مجلة كلية الدراسات العربية الإسلامية**، عدد٨
- ـــــــــــ (١٩٩٤)، تحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير, **مجلة جامعة أم القرى**، عدد ٩.
- ـــــــــــ (١٩٨٨)، ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات, جهاز مبتكر لقياسها, **أبحاث اليرموك**.
- الأسمر, راجي, (١٩٩٣) **المعجم المفصل في علم الصرف**, مراجعة, أميل بديع يعقوب, ط١, لبنان: دار الكتب العلمية.
- الأنباري , كمال الدين أبو بركات عبد الرحمن بن محمد. (ت ٥٧٧ هـ) ، **أسرار العربية**, (تحقيق : محمد حسين شمس الدين), بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧.
- الانطاكي, محمد (١٩٧١) . **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها** , بيروت : دار الشرق .
- أنيس : إبراهيم . (١٩٧٥) **الأصوات اللغوية**, ط٥, القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

ـــــــــــــ, ط٣, القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- أيوب، عبد الرحمن (١٩٦٨) **أصوات اللغة**, ط٢, مصر: مطبعة الكيلاني.

ـــــــــــــ ، (١٩٦٩)،اللغة والتطور, القاهرة.

- باي, ماريو (١٩٩٨) **أسس علم اللغة**, (ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر), ط٨ , القاهرة: عالم الكتب.

لغات البشر, ترجمة: صلاح العربي, القاهرة, (١٩٧٠).

- بحرة, سامر. (د.ت)، **المقطع في العربية, دراسة صرفصوتية إحصائية**, رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة تشرين، دمشق، سوريا.

- برجشتراسر (١٩٨٢) **التطور النحوي للغة العربية**, (أخرجه وصححه وعلق, رمضان عبد التواب)، القاهرة: مكتبة الخانجي, الرياض: دار الرفاعي.

- بركة , بسام .(١٩٨٨) .**علم الأصوات العام** – أصوات اللغة العربية – بيروت: الإنماء القومي.

- بروكلمان, كارل. (١٩٧٧) . **فقه اللغات السامية**, (ترجمة رمضان عبد التواب), الرياض: مطبوعات جامعة الرياض.

- بشر , كمال . (١٩٦٩) **دراسات في علم اللغة**, القاهرة, دار المعارف.

ـــــــــــــ ، (١٩٨٠)، **علم اللغة العام–الأصوات** ، ط١ , القاهرة: دار المعارف.

- بعلبكي, رمزي منير. (١٩٩٠) **معجم المصطلحات اللغوية**, ط, بيروت: دار العلم للملايين.

- بكوش, الطيب. (١٩٩٢) **التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث**, ط٣, تونس: مؤسسات عبد الكريم عبد الله.

- ابن الجزري , شمس الدين أبو الخير. (ت ٨٣٣ هـ). (د .ت) **النشر في القراءات العشر**, (تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع) , بيروت دار الكتب العلمية.

- ابن جني, أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ). (١٩٩٢) **الخصائص**, ط٢, تحقيق: محمد علي النجار, بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر.

ـــــــــــــ,(١٩٨٥)، **سر صناعة الأعراب**، (تحقيق: حسن الهنداوي), دمشق: دار القلم.

ـــــــــــــــ, (١٩٩٩)، **المنصف**، شرح كتاب التصريف لأبـــي عثمـــان المـــازني, (تحقيق وتعليق: محمد عبد القادر أحمد عطا), بيروت: دار الكتب العلمية.

- حسّان, تمام. (١٩٧٩). **اللغة العربية معناها ومبناها**, ط٢, الهيئـــة المـــصرية العامة للكتاب.

ـــــــــــــــ ، (١٩٧٤)، **مناهج البحث في اللغة**, ط٢, الدار البيضاء: دار الثقافة.

- حسن, عباس. (١٩٨٠) **النحو الوافي**, ط٤, القاهرة: دار المعارف.
- الحمو، احمد (١٩٨٩)، **محاولة السنية في الاعلان**، مجلة عالم الفكر، مجلد٢، عدد٣٩.
- حسنين, صلاح الدين. (١٩٨١). **المدخل إلى علم الأصوات دراســـة مقارنـــة**, ط١, دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر.
- حماد, محمد نمر. (١٣٢٣هـــ) **إتحاف العباد في معرفة النطق بالضاد**. نابلس.
- الحملاوي, أحمد. (١٩٦٥) **شذا العرف في فن الصرف**, ط١٦, القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي.
- أبو حيان , محمد بن يوسف بن علي . (د.ت)، **المبدع في التصريف**, (تحقيق: عبد الحميد السيد طلب، الكويت): مكتبة دار العروبة، ١٩٨٢.
- الخضري, محمد. (١٩٤٠). **حاشية الخضري**, القاهرة, مطبعة البابي الحلبي.
- الخولي, محمد. (١٩٨٢).**معجم علم اللغة النظري**, ط١, بيروت: مكتبة لبنان.
- الداني, أبو عمرو عثمان بن سعيد. (د.ت). **المحكم في نقط المصاحف**, تحقيق: عزة حسن, دمشق، ١٩٦٠.
- الراجحي ,شرف الدين علي. (١٩٨٩). **البسيط في علم الصرف**, دار المعرفـــة الجامعية.
- الراجحي عبده. (١٩٨٤). **التطبيق الصرفي**, بيـــروت: دار النهـــضة العربيـــة للطباعة والنشر.
- رمضان, محيي الدين. (د. ت). **في صوتيات العربية**, عمان: مكتبـــة الرســـالة الحديثة.
- ابن السراج, محمد بن سهيل. (ت٣١٦هـــ), **الأصول في النحو**, (تحقيق: عبد الحسين الفتلي), بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

- السعران, محمود. (د . ت). **علم اللغة, مقدمة للقارىء العربي**, بيروت: دار النهضة.
- ابن أبي سلمى, زهير (د.ت). **ديوان زهير**, مطبعة دار الكتب، ١٣٦٣هـ.
- سيبويه, أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر, (ت ١٨٠هـ), **كتاب سيبويه**, (تحقيق: عبد السلام هارون), بيروت: عالم الكتب والطباعة والنشر، ١٩٦٦.
- ابن سينا, الحسين بن عبد الله.(ت٤٢٨هـ), **رسالة أسباب حدوث الحروف**, (تحقيق: محمد حسن الطيان, ويحيى مير العلم), دمشق: دار الفكر، ١٩٨٣.
- شاهين, عبد الصبور. (١٩٨٧). **أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي**, القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ـــــــــــ ، (١٩٧٥)، **في التطور اللغوي**, القاهرة: المطبعة العالمية.
- ـــــــــــ ، (١٩٨٠)، **في علم اللغة العام**, ط٣, بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ـــــــــــ ، (١٩٨٠)، **المنهج الصوتي للبنية العربية**, بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الشايب, فوزي. (٢٠٠٤). **أثر القوانيين الصوتية في بناء الكلمة العربية**, إربد: عالم الكتب الحديث.
- ـــــــــــ ، (١٩٨٣)، **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية**, رسالة دكتوراه (غير منشورة), عين شمس، القاهرة، مصر.
- ابن أبي طالب مكي, (ت ٤٣٧هـ), **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**, (تحقيق: أحمد حسن فرحات), دار الكتب العربية، ١٩٧٤.
- عباينة , جعفر نايف (٢٠٠٤)، التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم , **مجلة مجمع اللغة العربية الاردني**, عدد ٦٦, كانون ثاني – حزيران.
- عبد التواب, رمضان. (١٩٨١). **التطور اللغوي, مظاهره وعلله وقوانينه**, القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ـــــــــــ ، (١٩٨٢)، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**, القاهرة مكتبة الخانجي.
- عبده, داود. (١٩٧٣). **أبحاث في اللغة العربية**, بيروت: مكتبة لبنان.
- ـــــــــــ ، (١٩٧٠)، **دراسات في علم الأصوات العربية**, الكويت, مؤسسة الصباح.

- ـــــــــــــ ، (١٩٩٠)، **دراسة بعض أحكام التجويد في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة**, العربي للنشر.
- عبد الجليل, عبد القادر. (١٩٩٨). **الأصوات اللغوية**, عمان: دار الصفاء.
- ـــــــــــــ ، (١٩٩٨)، **علم الصرف الصوتي**, عمان: أزمنة.
- ـــــــــــــ ، (٢٠٠٢)، **علم اللسانيات الحديثة**, عمان: دار الصفاء.
- ابن عصفور, أبو الحسن على بن مؤمن. (ت ٦٦٩هـ)، **المقرب**, (تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري), بغداد: مطبعة العاني، (د.ت).
- ـــــــــــــ ، **الممتع في التصريف**, ط٣, (تحقيق: فخر الدين قباوة), بيروت: دار الأفاق الجديدة, ١٩٧٨.
- ابن عقيل , بهاء الدين عبد الله. (ت ٧٦٩هـ), **شرح ابن عقبل على ألفية ابن مالك**, بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩.
- علي, حازم. (١٩٩٣) **ظاهرة المقطع الصوتي في اللغة العربية**, مراجعة رمضان عبد التواب, القاهرة: مكتبة الآداب.
- علي, سعيد محمد. (٢٠٠٢)، **الدرس الصوتي عند ابن عصفور**, رسالة ماجستير (غير منشورة), جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.
- عمر, أحمد مختار. (١٩٧٦).**دراسة الصوت اللغوي**, ط١, القاهرة: عالم الكتب.
- الفارابي, أبو نصر محمد بن طرخان. (ت ٩٥٠هـ), **الموسيقى الكبير**, (تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة), القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ت).
- الفراء, أبو زكريا يحيى بن زياد، (ت ٢٠٧هـ), (١٩٨٠).**معاني القرأن**, بيروت: عالم الكتب.
- فليش, هنري. (١٩٨٣). **العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد**, ط٢, (تحقيق وتعريب عبد الصبور شاهين), بيروت: دار الشرق.
- فندريس, جوزيف . (١٩٥٠)**اللغة**, (ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص), القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- القرالة , زيد خليل . (٢٠٠٤) **الحركات في اللغة العربية, دراسة في التشكيل الصوتي**, إربد: عالم الكتب الحديثة.

- ـــــــــــــ ، (٢٠٠٤)، **قراءة أبي عمرو بن العلاء دراسة نطقية إكوستيكية**, إربد: عالم الكتب الحديثة.
- كانتينو, جان (١٩٩٦). **دروس في علم أصوات العربية**, (ترجمة صالح القرمادي), الجامعة التونسية: مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والاجتماعية.
- اللغوي, أبو الطيب. (د.ت). **الإبدال في كلام العرب**, (تحقيق: عز الدين التنوخي), دمشق، ١٩٦٠.
- مالبرج, برتيل . (١٩٩٤) **الصوتيات**, ترجمة: محمد حلمي هليل, القاهرة: عين للدراسات والبحوث الاسلامية.

ـــــــــــــ ، (١٩٨٤)، **علم الأصوات**, تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين, مكتبة الشباب.

- المبرد , أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ). **المقتضب**, (تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة), بيروت: عالم الكتب، (د.ت).
- مصلوح, سعد. (١٩٨٠). **دراسة السمع والكلام**, القاهرة: عالم الكتب.
- المطلبي, غالب. (١٩٨٤). **في الأصوات اللغوية** – دراسة في أصوات المد العربي, العراق: وزارة الثقافة والاعلام.
- ابن منظور, أبو الفصل جمال الدين بن مكرم (ت٧١١)هـ, **لسان العرب**, ط٣, بيروت: دار الصادر، ١٩٤٩.
- ابن النديم, محمد بن اسحق. (ت٣٨٥هـ). **الفهرست**, (تحقيق: رضا تجدد بن علي), طهران: مكتبة الأسدي، ١٩٧١.
- نزال, نبال نبيل. (٢٠٠٤)، **التفسيرات الصوتية, للظواهر النحوية**, رسالة دكتوراه (غير منشورة), جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
- النعيمي, حسام (١٩٩٨) **أبحاث في أصوات العربية**, بغداء: دار الشؤون الثقافية العامة.
- نور الدين, عصام (١٩٩٢) **علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)**, لبنان: دار الفكر.
- محمد جواد النوري, محمد جواد (١٩٩٣). **التفكير الصوتي عند سيبويه**, القدس: مركز الأبحاث الإسلامية.

- ـــــــــــــ ، في التطور الصوتي, **مجلة النجاح للأبحاث**، المجلد الثاني، العدد الخامس.

والتطور الصوتي، **البلقاء للبحوث والدراسات**, عمان: جامعة عمان الاهلية، مجلد ٢, عدد ١.

- ـــــــــــــ ، **دراسة صوتية في موضوعي الإعلال والإبدال في العربية**، أبحاث لم تنشر بعد.
- ـــــــــــــ ، (١٩٩٧)، **علم أصوات العربية**, عمان: مطبوعات جامعة القدس المفتوحة.
- ـــــــــــــ ، (١٩٩١)، **فصول في علم الأصوات**, نابلس: مطبعة النصر التجارية.
- ـــــــــــــ ، **من العوامل الصوتية في تشكّل البنية العربية**، أبحاث لم تنشر بعد.
- ابن هشام , أبو محمد عبد الله جمال الدين. (ت٧٦١). **أوضح المسالك على ألفية ابن مالك.**
- هلال, عبد الغفار. (٩٩٦١) **أصوات اللغة العربية**, ط٣, القاهرة: مكتبة وهبة.
- وافي, علي عبد الواحد (١٩٥٧) **علم اللغة**, ط٤, القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
- ابن يعيش, أبو البقاء موفق الدين. (ت ٦٤٣)، **شرح المفصل**, بيروت عالم الكتب، القاهرة: مكتبة المنتهى، (د.ت).

ب – المراجع الأجنبية

١. AL-Ani,salman, (١٩٧٠)

Arabic phonology . Mouton : Indiana University

٢. Beeston , A.F.L . (١٩٧٦)

The Arabic language Today , London

٣. Brosnahan, L.Fand Malmberg . (١٩٧٠)

Introduction to phonetics

THE MOPHO- PHONOGICAL RULES AMONG ANCIENT ANDMODERM ARAB LINGUISTS

By

Said Mohammed Ismael Ali.

Supervisor

Dr. Jafar Ababneh.

Abstract

This thesis has been introdueced as a complement of the requirements before a doctoral thesis in Arabic language

Studies and researches have explained the most important Morpho phonological Rules for the two subject of replacement and assimilation in Arabic language, through voice explarnation, from the fact of hard connections between language levels and the dependency of each level upon the other.

Ancient and modern Arab linguists studies the movements and they limited the differernces between rising and semivowels and their effects of guiding the studies of Morpho- phonological rules.

Morpho phonological rules have been explained by ancient Arab linguists, then it explained the voice explaination for replacement and assimilation for the modern linguists.

Comparing between the products of the two teams of explainations for these two subjects, they made to reconstruct the Morpho- phonological rules and make it up to date with the modern vocal lesson.

The learning plan can be divided into the following steps:

An Introduction, four section and conclusion.

The introduction includes: reson for choosing such an item, their way followed via education and the learning plan.

The first section talked about movements, and the letters of rising and semi vowels as used by ancient and modern linguists, and their effects on constructing the monpho- phonological rules in Arabic language.

The second section talked about the rules of replacement and assimilation by the ancient linguists and their explainations for those rules.

The third section talked about rules of replacement and assimilation by the modern linguists, and their explainations depending on their storage in this fialed. The fourth section has comments on the rules of the both teams, and building newer rules. Finally, the conclusion has displayed the most important results that the researcher has got, besides to some recomendations and suggestions.